

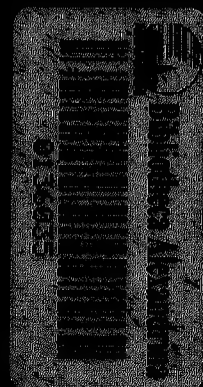
الإسلاميون وتركيا العلمانية

نموذج الإمام سليمان حلي

مكتبة دار الفجر



دار الألف العربية



الإسلاميون تركوا الجلبانين
نمذج الإمام سليمان حلي

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م

جميع الحقوق محفوظة



القاهرة - ٥٥ شارع محمود طلعت

(من شارع الطيران) - مدينة نصر

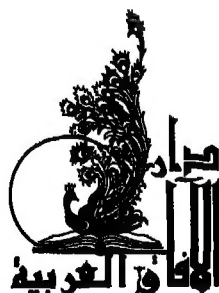
تليفون : ٢٦١٠١٦٤

رقم الإيداع : ٤٠١٢ لسنة ١٩٩٨

الترقيم الدولي : 9-21-5727-977

الإسلاميون وتركيا العظمى نموذج الإمام سليمان حلي

هدي درویش



تقديم

عن الإمام والكتاب

الإمام سليمان حلمى طوناخان ، اسم لابد أن تعيه الذاكرة المسلمة عموماً والعربية خصوصاً فى كل أنحاء العالم لتعرف جهوده . لأن ما فعله الإمام سليمان حلمى طوناخان لم يفعله أحد من قبل ولا من بعد .

تصدى للتطبيق العلمانى فى تركيا والسلطة الكمالية فى أوج قوتها ، سلطة تشبه بل تزيد وتزيد وتزيد عن قوة سلطة الرئيس جمال عبدالناصر فى مصر وممارساته .

ولماذا الإمام سليمان حلمى طوناخان بالذات ؟

ذلك لأنه قام يدعو إلى إحياء الإسلام فى تركيا بعد أن تصورت السلطات الرسمية أنها أماتته بإلغائها النص الدستورى على أن الإسلام دين الدولة ، كما كان قبل الحركة الكمالية. وبعد أن قال الزعيم التركى فى مجلس الأمة أن تركيا الرسمية لم تعد تلتفت إلى الإيمان بالغيب وإلى ما يظن أنه كتب سماوية كما قال الزعيم التركى عام ١٩٣٧ م .

قام الإمام سليمان حلمى طوناخان يدعو لإحياء الإسلام فى تركيا بعد أن أمرت السلطات الكمالية بإلغاء التعليم الدينى الإسلامى ومقررات العلوم الإسلامية وقضت على مراكز التصوف التركى التى كانت ينبوع المقاومة الإسلامية ضد إجراءات الحركة الكمالية وقتها .

قام الإمام سليمان حلمى طوناخان لإحياء الإسلام فى تركيا بعد أن طبقت السلطات الحكومية سياسة القمع للقضاء على كتاتيب تحفيظ القرآن وحملة القرآن والعاملين بالكتاب والسنة .

وكان منهج الإمام سليمان حلمى طوناخان بسيطاً فى بساطة الإسلام نفسه :

ألغت السلطة مقررات اللغة العربية من المدارس وألغت دروس السنة النبوية والعلوم الإسلامية اذن فلتكن الدعوة هى البعد عن الفلسفات والكلام ولتكن عملاً علمياً يتجه نحو القلب وأجنحته : القرآن وعلومه .

خرجت دعوة الإمام سليمان حلمى تقول : مادامت السلطة قد ألغت مقررات اللغة العربية وحروفها الجميلة وحجبت المسلمين فى تركيا عن التواصل مع تراثهم فلا بد من إحياء اللغة العربية وجعلها الطريق المباشر ليتعلم كل من على التراب التركى دينه مباشرة من غير ذى وساطة لغة أخرى حتى لو كانت اللغة التركية نفسها ، ليستطيع المسلم على التراب التركى الوصول بسهولة إلى تراثه الإسلامى . ومن هنا جاء المحور الأول من دعوة الإمام سليمان حلمى اجادة المسلمين فى بلاده الحروف العربية واللغة العربية واسطة ومدخلا للقرآن الكريم وحفظه .

وكان المحور الثانى : الولوج إلى حفظ القرآن وتحفيظه ، ذلك لأن الإمام رأى أن الأساس فى أى دعوة إسلامية هو القرآن الكريم وبدونه لا تكون دعوة ، فانتشرت كتاتيب تحفيظ القرآن الكريم التى رعاها الإمام وتلامذته من بعده لتنتشر فى كل أرجاء الأناضول والجزء الأوروبى الصغير من تركيا .

وأصبح الفلاح فى الأناضول يربط بين تحفيظ القرآن الكريم وبين مدارس تحفيظ القرآن التى توسع فى إنشائها كثيراً تلامذة الإمام سليمان حلمى وأصبح القروى والحضرى فى القرية أو فى المدينة يجلس الإمام ويحترمه لأنه غار على القرآن الكريم فوضعه فى صدور الطلاب الصغار لتحفظه الأجيال فى تركيا عبر التاريخ الحديث من قيام الحركة الكمالية إلى الآن وإلى ما شاء الله .

وماذا عن الحديث النبوى والعلوم الإسلامية فى منهج الإمام ؟

لقد أحدث الإمام سليمان حلمى طوناخان ما يشبه المعجزة أو فلنقل الكرامة لأنه ضغط مناهج الحديث الشريف والتفسير والعلوم الإسلامية التى كانت تدرس فى مدارس الدولة العثمانية قبل أتاتورك فى ١٥-٢٠ عاماً فأصبحت مدارس الإمام سليمان حلمى تدرسها فى سنتين تخرج فى ظلها دعاة الإحياء الإسلامى منذ إنشاء حركة الإمام ومدارسه فى عهد أتاتورك إلى الآن وإلى ما شاء الله .

ماذا يريد المطالبون بالإحياء الإسلامى فى البلدان الناطقة بغير العربية أكثر من هذا . دعوة فطرية بسيطة فى بساطة الإسلام نفسه .

والتقارير التى أمامنا تقول أن دعوة الإمام سليمان حلمى هى ثانى أقوى قوة إسلامية فى تركيا بعد الحركة النقشبندية .

ودعوة الإمام امتازت بالبساطة والقوة والمقاومة العاقلة . مقاومة التيار العلمانى الرسمى للدولة . لم تكن هى المقاومة التى تنسم بالعنف فالعنف فى رأى الإمام لا يولد إلا العنف والعنف فى رأى الإمام لا ينشر للإسلام دعوة .

وجد الإمام أن منهجه وهو منهج علمى فى مجال العلم الإسلامى هو نفسه مقاومة وحفظ أولاد المسلمين القرآن ودراستهم لعلومه .. مقاومة .

البساطة والفطرية والروحية والعلمية والحلم : كانت آليات حركة الإمام سليمان حلمى التى جعلت آسيا الوسطى والقوقاز والبلقان تفتح صدورها وقلوبها بعد تركيا للفرسان القادمين فى زى الدعاة البسطاء : تلامذة سليمان حلمى .

والكتاب الذى بين أيديكم الآن ، أسعدنى عندما ظهر إلى الوجود ، ذلك لأنه كان أحد أحلامى العلمية ، تركت فكرته لتلميذتى الأستاذة هدى درويش ، كما أعطيت بعض تلامذتى بعض موضوعات شغلتنى وكنت أتمنى عملها .

نجحت السيدة هدى درويش أيما نجاح فى إخراج هذا السفر الودييع إلى النور ساعدها على ذلك النجاح إشرافها على إدارة المركز المصرى للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركى والبلقان حيث المصادر والمراجع من الكتب والمخطوطات وحيث المصادر والمراجع الحية بلقاءاتها مع العلماء والاكاديميين الأتراك ونقاشها معهم والإفادة منهم كما كانت رحلتها إلى استانبول فى سبيل التزود بالعلم فى ساحة عملها فى هذه الدراسة خير معين لها على استيعاب هذه الدراسة الطيبة وأفادت بالفعل من تلامذة الإمام سليمان حلمى طوناخان خير إفادة .

وقد ساعدها فى هذا النجاح تكوينها الروحى وتكوينها العلمى إذ أنها ابنة محمود درويش أحد الرواد الأوائل للدراسات المصرية وقد كان أستاذا للدراسات الفرعونية فى السوربون بفرنسا وهى من بيت علم يزينه الإشتغال بالعلم كما يزينه الأصل العريق فالسيدة هدى درويش تركية الأصل عريقة النسب يرجع إنتماء إسرته إلى مدينة طرابزون فى الأناضول وهاجرت الأسرة إلى مصر فى وقت مبكر .

وأرجو الله أن تستمر الأستاذة هدى درويش فى دراساتها فى هذا الجانب الذى نحتاجه ونحتاجه المكتبة العربية ويحتاجه كل مسلم بعد أن سدت فراغا كان سده مطلباً ملحا بدراساتها هذه . وهى أول دراسة متكاملة فى كل لغات العالم عن الإمام سليمان حلمى طوناخان وجهوده فى سبيل إحياء الإسلام .

الدكتور محمد حرب

رئيس المركز المصرى للدراسات العثمانية
وبحوث العالم التركى والبلقان

القاهرة / مدينة نصر

فى ١٩٩٨/١/٢م

مُقَدِّمَةٌ

كان رجال الدولة العثمانية فى عهدهما الأخير يعتقدون أن توقف الدولة العثمانية يعود إلى عدم أخذهم بالنظم الغربية ، فى وقت سبقت فيه أوروبا البلدان الإسلامية فى التقدم التكنولوجى، وبالتالي أخذت البلاد تقتبس النظم الغربية فى الإدارة والجيش .

وقد بدأت رسميا فكرة تغريب الدولة العثمانية فى عهد السلطان عبدالمجيد الأول فيما عرف بعهد التنظيمات وكان ذلك عام ١٨٣٩م وكان الهدف منها الاقتباس من الغرب فى جميع نواحي الحياة الثقافية والحضارية .

ولما بدأت الحركة الكمالية فى تركيا بقيادة مصطفى كمال باشا عام ١٩١٩ م عقب انهيار الدولة العثمانية واحتلال الحلفاء لأراضيها ، ثم قامت حرب الاستقلال التركية التى انتهت بإجلاء القوات الأجنبية: الإنجليزية، والفرنسية، والإيطالية واليونانية وقيام الجمهورية التركية .

بدأ مصطفى كمال باشا بدوره اتخاذ الخطوات التنفيذية لتغريب الدولة، فكان هدفه الأول منها جعل تركيا دولة غربية علمانية بعد أن كانت الدولة العثمانية دولة شرقية إسلامية تتخذ الإسلام أساساً لتكوينها.

اتخذت الحركة الكمالية بقيادة مصطفى كمال أتاتورك من الغرب نموذجاً يحتذى ومثلاً أعلى لتركيا، وفى سبيل هذا وبهدف طمس الهوية الإسلامية التركية وقطع كل ما يصلها بتراتها وهويتها الإسلامية الشرقية قامت بالإجراءات التالية :

١- إلغاء الخلافة الإسلامية .

٢- فصل الدين عن الدولة (أى جعلها دولة علمانية) .

٣- الابتعاد عن الشرع الإسلامى فيما يتصل بالأحوال الشخصية ، وإلغاء التكايا والزوايا ، وإلغاء وزارة الأوقاف ، وإلغاء وزارة الشرعية .

وفى سبيل تغريب تركيا الجديدة ، أرادت الحركة الكمالية فصل الشعب التركى عن تراثه الإسلامى، وكان هذا التراث مكتوباً باللغة التركية بحروف عربية فصدر قرار بإلغاء الحروف العربية عام ١٩٢٨ م .

واتبع مصطفى كمال باشا الذى تلقب فيما بعد بأتاتورك خطوات منظمة لتغريب البلاد ، وما يعيننا هنا من خطواته فى هذا الصدد هو : إلغاء الحروف العربية التى كانت تكتب بها اللغة التركية ، فقد أمر أتاتورك فى قرارات جمهورية باتخاذ الأتراك الحروف اللاتينية شكلاً لكتابة اللغة التركية وذلك لتحقيق الآتى :

١- العمل على اقتراب تركيا من أوروبا ثقافياً .

٢- قطع الصلة بين الأتراك بعد تخليهم عن استخدام الحروف العربية وبين تراثهم الإسلامى ، وهو مكتوب باللغة التركية بالحروف العربية من فقه وتفسير وحديث وعلوم إسلامية . وكانت الحروف العربية تيسر للتركي العادى قراءة القرآن الكريم ، بعكس الحروف اللاتينية التى قطعت الطريق بين التركي وبين قراءة القرآن الكريم .

٣- قطع الصلة تماماً بالقرآن الكريم .

٤- قطع الصلة تماماً بالعلوم الإسلامية .

وتنفيذا لهذه القرارات، تم إلغاء التعليم العثمانى - وهو تعليم دينى شرعى - واستبدال ذلك التعليم بنظم ومناهج تعليم علمانية غربية - وتوحيد التدريس عن طريق إغلاق المدارس الدينية الإسلامية ومدارس الوعظ والإرشاد . ونتج عن ذلك إلغاء العلوم الإسلامية ، وبالتالي اختفت المدارس والجامعات الإسلامية وحل محلها نظام تعليمى مدنى واحد يتمثل فى مدارس وزارة المعارف لا يدخل فى برامجها العلوم الإسلامية .

ولكى يكون التعليم الدينى العالى تحت رقابة الدولة صدر مرسوم بإنشاء كلية للإلهيات تابعة لجامعة أنقرة لتدريس العلوم الإسلامية ، حيث أحكمت الدولة الرقابة على مناهجها حتى لا تأتى بتيار إسلامى قد يعيد للإسلام مكانته فى السياسة التركية داخلياً وخارجياً وما شابه ذلك .

وأصبح الطالب فى هذه الكلية يواجه توجيهات مضادة ، وبلقن أن الثقافة والتقاليد الإسلامية من أسباب تأخر التركى .

وفى ظل هذه الظروف رأى بعض رجال الدعوة الإسلامية فى تركيا أن الإسلام قد انتهى من الحياة الرسمية، خاصة بعد إلغاء النص الدال على أن الإسلام دين الدولة فى الدستور التركى، وأصبحت مسألة تعليم القرآن وأمور الدين للأولاد مسألة شخصية قوبلت فى صدر عهد الكمالية بمنع رسمى، وقام مجلس الأمة فى حكومة مصطفى كمال باشا بإلغاء الطرق الصوفية خوفاً من انبعاث الإسلام مرة أخرى . وتم استبدال العطلة الأسبوعية من الجمعة إلى الأحد اقتداءً بالغرب . وتم اتخاذ التقويم الغربى تقويماً رسمياً للبلاد . وجدير بالذكر أن التطبيق الكمالى للعلمانية اتسم بالشدة وإرهاب الدولة .

وفى ذلك الوقت العصيب من تاريخ تركيا ووسط هذه الأجواء المتمردة على الأساس الإسلامى للدولة ؛ ظهرت مجموعة من الدعاة ينادون بتقوية التيار الإسلامى الذى أصبح سرياً بعد تصدى الدولة للإسلام ، وقام بعضهم بكتابة رسائل لتثبيت الإيمان فى نفوس الأتراك .

ومن هؤلاء الدعاة الذين كان لهم دور متميز فى حركة الإحياء الإسلامى فى تركيا أثناء الحركة الكمالية الشيخ سعيد النورسى ، والشيخ عاطف الاسكليبى، والشيخ سعيد الكردي ، والإمام سليمان حلمى .

والامام سليمان حلمى (١٨٨٨-١٩٥٩م) من أبرز الدعاة فى التاريخ التركى الحديث الذين ظهوروا فى الحياة التركية ، وقد كان متخرجاً من المدارس العثمانية الإسلامية التى قام مصطفى كمال بإلغائها .

قام هذا الداعية فى أوج الحركة الكمالية بالعمل على إحياء الإسلام والعمل على بعث الدين بعد ان أطاحت الحركة الكمالية بالإسلام من الدستور ومن التعامل الرسمى ، ورأى أنه لا سبيل إلى الحفاظ على الإسلام وما كان عليه من سطوة وانتشار فى النفوس بين الناس إلا عن طريق الآتى :

١- العمل على إحياء القرآن الكريم بين الناس ، وذلك عن طريق تحفيظ القرآن الكريم ، واستتبع هذا إنشاء كتاتيب لتحفيظه ومدارس لتعليم الإسلام فى سرية تامة غير معلنة خوفاً من العقاب ، حيث إن قانون الجزاءات التركى فى هذا الحين كان يحرم التعامل مع القرآن الكريم . وحتى لو حدث أى انقلاب آخر فى شكل الحروف فلن يكون مانعاً أمام الناس بالمصدر الأساسى للإسلام .

٢- نشر اللغة العربية بين الأتراك ، والهدف من ذلك تعليم التركى اللغة العربية فيتصل بالقرآن الكريم اتصالاً مباشراً ، وبذلك يكون قد اجتاز عائق الحروف اللاتينية التى فرضت على الناس والمدارس والصحف والحياة التركية .

٣- نشر العلوم الإسلامية من فقه وتفسير وحديث ، وذلك لحفظ التراث العقدى الإسلامى وسهولة رجوع الأمة إليه ، ولذلك كانت برامج المدارس التى أقامها الإمام تعتنى بدراسة أمهات كتب اللغة والفقه والحديث والتفسير والعلوم الإسلامية .

واستطاع الإمام سليمان حلمى عمل مناهج لهذا كله ، واعتمد تماماً على السرية وظلت هذه السرية إلى عام ١٩٤٥م وقت قيام الحكم الديمقراطى فى تركيا ، ثم خرجت هذه الحركة من حيز السرية إلى العلنية وأصبحت تنشر أفكارها فيما يتعلق بالاهتمام باللغة العربية والعلوم الإسلامية حتى الآن فى كل أرجاء تركيا ، حتى أنها خرجت إلى

آسيا الوسطى والقوقاز ودول البلقان . وهذه الجماعة الآن تعد من أقوى جماعات الدعوة الإسلامية في تركيا وأكثرها نفوذاً شعبياً وسياسياً .

عاش الإمام سليمان حلمي الفترة من ١٨٨٨-١٩٥٩م فعاصر السلطان عبدالحميد الثاني فكان الإمام بحبه ويوقره كما عاصر فترة الاتحاد والترقي واتخذ موقفاً مضاداً منذ البداية منهم على عكس كثير من الدعاة الذين خدعتهم الانقلابات التركية، كما عاصر فترة انهيار الدولة العثمانية وقيام الجمهورية التركية وظهور مصطفى كمال وتغييراته التي أحدثها في الدولة . هذا وقد عاصر عصمت اينولو وعدنان مندريس ، كما عاش فترة التغيرات الحياتية التي تمت في الدولة وانتهت بالقضاء على اللغة العربية بل على الاسلام بوجه عام ، فأخذ على عاتقه مهمة الحفاظ على الاسلام وعودته إلى أصوله .

وقد جاء اختياري لهذه الدراسة من أجل التعريف بهذه الحركة الإسلامية ؛ على اعتبار أنها تجربة حية أمام الشعوب المسلمة التي تجاهد من أجل المحافظة على إسلامها . لأنه في حالة اعتناق الشعوب الإسلامية الناطقة بغير العربية فكرة نشر اللغة العربية بينهم سيؤدي ذلك إلى اتصال هذه الشعوب بالإسلام ومصادره الأساسية - من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ومصادر التشريع الإسلامية الأخرى - بطريقة التعامل المباشر ، وبالتالي يختفى الحاجز اللغوي أو الحرفي الذي قد يمنع هذه الشعوب من أن ينهلوا من القرآن الكريم ومصادره .

أما بالنسبة لاختياري نموذج دعوة الإمام سليمان حلمي فذلك لأنه أول حركة إصلاحية دينية تتخذ من اللغة العربية أساساً لإصلاح المسار الإسلامي ، في بلاد كان مقدراً لها حسب إرادة البشر أن يقضى على كتاب الله وعلى اللغة العربية والعلوم الإسلامية فيها .

وترجع أهمية هذه الدراسة أنها أول دراسة لمكانة اللغة العربية وللعلوم الإسلامية في تركيا ، وبيان أن هذه المكانة لم تضعف نتيجة التوجه الحكومي التركي وإنما زادها هذا التوجه قوة وإصراراً .

كما تعد هذه الدراسة هي أول دراسة لشخصية الإمام سليمان حلمي ، هذا الإمام الذي عانى كثيراً في سبيل دعوته دون أن يبحث عن الشهرة أو المكانة الدنيوية ، وهو الذي اعتقل وسجن وصبر كثيراً حتى كونه تياراً لحفظ القرآن الكريم واللغة والعلوم الإسلامية، تشهد لها البلاد بفضلها في حركة الإحياء الاسلامي ، وواجه الكثير من الصعاب من أجل دعوته فلم يثنه ذلك عن تحقيق أهدافه .

وقد ظلت جماعته لا تؤمن بالدعاية وتعتمد على العمل الجاد وترفض الكتابة عنها، وبالتالي فلم تظهر أى دراسات عنه فى أى لغة من اللغات حتى فى تركيا نفسها !!

ولكى أستطيع الكتابة عن هذه الحركة وعن مؤسسها استأذنت المشرف على هذه الجماعة "كمال قاجار" وهو شخصية تركية بارزة شغل من قبل منصب ممثل تركيا فى الجماعة الأوربية ، وقد استأذنت فضيلته فى الكتابة عن جماعتهم ، وكان متردداً فى الإذن لى فى الكتابة عن الإمام سليمان حلمى ومدرسته ، لولا توسط أستاذى الفاضل الدكتور محمد حرب الذى لقى بتقله فى هذه المسألة ، خاصة وأن هذا الموضوع كان من أمنيات الدكتور محمد حرب أن يكتب عنه من قبل ، فأذن لى وأمر بإطلاعى على كل بيانات مدرسة سليمان حلمى أفندى وتكويناتها ، وهى معلومات جمعتها لأول مرة عند سفرى إلى تركيا أثناء هذه الدراسة .

وقد استقيت أهم مراجعى فى هذه الرسالة من رحلتى إلى مقر هذه الدعوة باستانبول من مصادرها الحية على يد تلامذة الامام سليمان حلمى الكبار .

وقد طلبت من أبناء هذه الجماعة معلومات إضافية إلا أنه تعذر تحقيق طلبى بناء على طلب قادة الجيش التركى الذين طالبوا الحكومة التركية بالحد من النشاط التعليمى الدينى فى تركيا ، خوفاً من الجيش على العلمانية التى هى اساس الدولة التركية الآن ، من الدراسات الدينية الاسلامية .

وعلى الرغم من الأحداث والظروف الراهنة فى تركيا فمدارس الإمام سليمان حلمى القرآنية تنتشر الآن فى جميع أرجاء تركيا والعالم التركى بوجه عام .

ونموذج هذه الدعوة يمكن ان يحتذى فى بلاد آسيا الوسطى مثل: أذربيجان، واوزبكستان ، وطاجكستان ، وتركمانستان ، وقازاقستان، وبلاد الشيشان ، وقيرغيزستان . ودول البلقان مثل: البانيا ، والبوسنة والهرسك ، ومقدونيا ، وغيرها من الدول التى تحررت من ربة الشيوعية ، حيث تعد هذه الدعوة النبراس الواعى لكل الأمم الناطقة بغير العربية .

وقد قمت بتقسيم بحثى هذا إلى مقدمة وثلاثة أبواب ، وخاتمة على النحو التالى :

الباب الأول بعنوان : اللغة العربية والعلوم الإسلامية عبر التاريخ العثمانى وقسمت هذا الباب إلى فصلين :

الفصل الأول بعنوان : تطور الدولة العثمانية من النشأة إلى سقوط الخلافة الإسلامية .

وترجع أهمية هذا الفصل إلى أنه يعد المدخل الطبيعى للتعرف على أساس الدولة العثمانية التى واجهت الإجراءات الكمالية فيما بعد ، كيف نشأت، وكيف كانت أقوى

دولة فى العالم فى ذلك الوقت جيشاً ونظاماً وفتوحاً ، وكيف أصبحت امبراطورية كبرى تطوى معظم دول العالم تحت كنفها ، إلى جانب كونها دولة الخلافة العظمى .

ومن خلال استعراضى لتطور هذه الدولة استرعى انتباهى أن سلاطين هذه الدولة كانوا يرتبطون ارتباطاً وثيقاً بعلمائهم ، كما لاحظت تعلقهم وشغفهم باللغة العربية ، وكان بعض سلاطين الدولة يستشيرون العلماء والمشايخ فى أمور الدولة ؛ اقتداءً بوصية عثمان مؤسس الدولة والذي أوصى بها ابنه أورخان وكل من جاء بعده فى الحكم وهى :

" يا بنى ! إذا واجهتك فى الحكم معضلة فاتخذ من مشورة علماء الدين مؤثلاً .

ومثالنا فى هذا السلطان محمد الثانى " فاتح القسطنطينية " والذي جاء فى حقه حديث رسول الله "صلى الله عليه وسلم" : "لتفتحن القسطنطينية ، فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش "فقد كان محمد الثانى يذهب إلى أستاذه ومربيه الشيخ آق شمس الدين ، وجيشه واقف على أسوار القسطنطينية ، يطلب منه الدعاء له بالنصر فيبشره الشيخ بنصره بإذن الله .

والسلطان سليم الأول الذى اشتهر بفتوحاته الكبرى، والذي حمل لقب أول خليفة للدولة العثمانية بعد سقوط الخلافة العباسية، فعند فتحه لمصر وتسلمه برودة الرسول صلى الله عليه وسلم والمخلفات النبوية الشريفة ، أمر السلطان سليم الأول اثنى عشر حافظاً من حفظة القرآن الكريم بتلاوة القرآن بالمناوبة بينهم فى المكان الذى وضعت فيه هذه المخلفات الشريفة حتى لا تنقطع التلاوة من المكان ليلاً أو نهاراً ، وظل هذا الأمر هكذا حتى قيام الحركة الكمالية . وهذا يدل على حرص السلاطين العثمانيين بالحفاظ على القرآن الكريم طوال مدة حكمهم للدولة .

ومن ناحية أخرى كانت الدولة العثمانية تمتلك أقوى جيش نظامى فى العالم فى ذلك الوقت ، ألا وهو الجيش الإنكشارى ، وكان محرك هذا الجيش إحدى الطرق الصوفية والتي كانت تسمى بالطريقة البكتاشية وعلى رأسها الحاج بكتاش ولى شيخها . ومن هنا يتضح كيف قامت الدولة العثمانية على دعائم إيمانية إسلامية ثابتة .

كما قمت من خلال هذا الفصل باستعراض سريع لأعمال هؤلاء السلاطين ، فعرضت بداية ميل بعضهم نحو إصلاح أمور الدولة عن طريق الاتجاه إلى الغرب ، حتى جاء السلطان عبدالحميد وقام بإصلاح الدولة ونادى بتحقيق الجامعة الإسلامية التى تضم بلاد العالم ، وقيامه بإصلاح التعليم وتطويره. هذا إلى جانب احترامه لعلماء الدولة على الرغم من الضغوط الشديدة التى بدأت تسرى فى الدولة والمؤامرات التى قامت ضده والتى هدفت إلى خلعها . كما أعطيت فكرة سريعة عن مدى تغفل الأوربيين فى

الدولة فى ذلك الوقت وحجم المؤامرات الداخلية والخارجية التى كانت تحاط بالدولة حتى تم خلع السلطان عبد الحميد. وبخلعه فقدت الدولة العثمانية مجدها وقوتها رويدا رويدا .. حتى انتهت دولة الخلافة العظمى على أنقاض المؤامرات والسيطرة الأجنبية التى كان لها تأثيرها فى فكر بعض رجال الدولة فى هذا الوقت ، وكان هذا تمهيدا طبيعيا لقيام الحركة الكمالية واتخاذها لإجراءاتها المعروفة .

ثم انتقلت إلى الفصل الثانى وهو بعنوان مكانة اللغة العربية والعلوم الإسلامية فى الدولة العثمانية .

وفى هذا الفصل أوردت أهمية اللغة العربية ومكانتها فى الدولة ، وكيف كان اهتمام العثمانيين بالعلم واعتمادهم على اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن ، كما أوردت نبذة عن المناهج التى كانت تدرس فى المدارس العثمانية الأولى، وكانت مناهج عربية تدرس اللغة والفقه، حيث كانت اللغة العثمانية تكتب بالحروف العربية.

كما أفردت قائمة بعلماء الدولة فى عهد كل سلطان على حدة ، وذلك لإظهار قوة هؤلاء العلماء ومدى تأثيرهم على سلاطين الدولة العثمانية .

أما الباب الثانى : فهو بعنوان قيام الحركة الكمالية وإجراءاتها تجاه الإسلام .
وقسمته إلى أربعة فصول :

الفصل الأول : الحركة الكمالية وحرب الاستقلال .

وقد قسم هذا الفصل إلى ثلاث نقاط :

الأولى : نتحدث عن الجذور التغريبية لقيام الحركة الكمالية ، وتحدثت فيها عن الاتجاه نحو الغرب ومحاولات بعض السلاطين تقليد الغرب.

أما النقطة الثانية فتدور حول انبثاق الحركة الكمالية ومساعدة الاتحاديين لها .

ثم جاء فى النقطة الثالثة قيام الجمهورية وإنهاء الدولة العثمانية من خريطة العالم .

ثم انتقلت إلى الفصل الثانى من الباب الثانى وهو بعنوان : الحركة الكمالية وإجراءاتها فى مجال الدين . فجاء فى هذا الفصل بيان بالإجراءات التى تمت فى الدولة وغيّرت مجريات الحياة فيها. وقد تم تقسيم هذا الفصل أيضا على ثلاث خطوات شملت بداخلها معظم الإجراءات الكمالية التى عملت على محو وجود الدولة العثمانية ، حيث كانت من أخطر الإجراءات التى قامت بتنفيذها الحكومة التركية برئاسة مصطفى كمال أتاتورك ، وكانت هذه الخطوات هى :

١ - إلغاء الخلافة .

٢ - إغلاق الكتايا والزوايا .

٣ - اعتماد القانون المدنى السويسرى .

ثم أتبعته بالفصل الثالث الذى اشتمل على إجراءات الحركة الكمالية فى مجالى اللغة العربية والعلوم الإسلامية. وقد تضمن الفصل الثالث ثلاث نقاط :

الأولى هى قانون توحيد التدريس الذى أنهى به مصطفى كمال أتاتورك نظام التعليم الذى كان يسود الدولة العثمانية .

والنقطة الثانية اشتملت على إلغائه الحروف العربية تماماً، وكانت هذه الخطوة خطوة انقلابية شديدة حيث قضت على علاقة الدولة باللغة العربية والإسلام.

ثم قام بإصدار قانون الانقلاب اللغوى وتصفية جميع الكلمات التركية من اللغة العربية. وكانت هذه النقطة هى الأخيرة فى إجراءات مصطفى كمال ضد اللغة العربية ومحاربتها لها ونجاحه فى تتريك الدولة . وبهذه الخطوات تم فصل الدين تماماً عن الدولة ، كما تم إعلان علمانية الدولة وسيرها وفقاً للنظم الأوروبية.

وكان لابد وأن يظهر معارضين لهذه الإجراءات ومدافعين عن الإسلام يطلبون الرجوع إلى أصول الدولة التى قامت عليها. وقد أخذت هذه المعارضة أشكالاً عديدة، فمنهم من اتبع الأسلوب الدموى فى المقاومة، ومنهم من اتخذ الأسلوب السلمى.

وقد جاء توضيح هذا الأمر فى الفصل الرابع وهو بعنوان : ردود فعل الاتجاهات الدينية تجاه إجراءات الحركة الكمالية .

وقد قسمت هذا الفصل إلى ثلاث نقاط . تحدثت فى النقطة الأولى عن ردود فعل النقشبنديين ومنهجهم فى ذلك .

والنقطة الثانية تحدثت فيه عن ردود فعل النورسيين وموقفهم تجاه هذه الإجراءات.

أما الفصل الثالث فتحدثت عن ردود فعل تلامذة الإمام سليمان حلمى ، وهو النموذج الذى تناولته بالتفصيل فى هذا البحث واعتبرته الأسلوب المثالى للمقاومة السلمية ، فقد كان رد فعل الإمام سليمان حلمى لهذه الإجراءات هو العمل على تدريس القرآن وتحفيظه والمحافظة على اللغة العربية ؛ عن طريق فتح مدارس قرآنية تصل المسلم بالقرآن مباشرة إلى الإسلام .

وقد وجدت أن هذه الدعوة هى أقرب الدعوات الدينية إلى الإسلام ، حيث اعتمد الإمام سليمان حلمى فى دعوته لإحياء الإسلام على الاتصال المباشر بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فجاءت دعوة الإمام سليمان حلمى لتضمن استمرار الإسلام على مر الزمان ؛ عن طريق تخريج أجيال من المدارس القرآنية وبذلك يظل الإسلام قائماً حياً لا ينقطع .

ثم انتقلت إلى الباب الثالث والأخير الذى تحدثت فيه بالتفصيل عن النموذج الذى اتخذته لكتابتي هذا الموضوع .

والباب بعنوان : نموذج الإمام سليمان حلمى .

وقد قسمته إلى ثلاث فصول، الفصل الأول بعنوان الظروف التاريخية التى صاحبت ظهور الإمام سليمان حلمى. ويعد هذا الفصل تمهيداً للحديث عن حياة الإمام سليمان حلمى والظروف التى أحاطت به والتى نشأ فيها.

والفصل الثانى عنوانه : الإمام سليمان حلمى حياته وأعماله .

تناولت فيه المراحل الأولى من حياته ، والصفات التى كان يتميز بها عن أقرانه، ثم تحدثت عن نشاطه الدراسى والظروف التى أحاطت به ، وأوضحت الوسائل التى لجأ إليها الإمام سليمان حلمى لجمع طلابه ، فتحدثت عن موقفه تجاه الحكومة وفى المقابل موقف الحكومة تجاهه ، كما أظهرت المصاعب التى لاقاها فى سبيل تحقيق أهدافه، ثم دعوته لإحياء الإسلام عن طريق فتح مدارس تحفيظ القرآن ، ثم توجهت إلى الحديث عن النواحي المعنوية فى حياته ؛ فتحدثت عن تربيته الإسلامية ، وشخصيته التصوفية والسلسلة التى ينتسب إليها ، وعن عباداته وأذكاره، كما قدمت موقف تلامذته وتعلقهم به فى حياته، واستمرارهم فى خدمة الإسلام سائرين على نهجه ، وإنشائهم " رابطة مساعدة طلاب مدارس القرآن " والأهداف التى يحققونها ، ثم ختمت حديثى عن الإمام المجدد سليمان حلمى بعرض بعض آرائه ونصائحه لطلابه ، هذا إلى جانب سرد لأعماله وفى النهاية كان حديثى عن وفاة هذا الإمام الجليل .

أما الفصل الثالث والأخير فيستعرض مناهج اللغة العربية والعلوم الإسلامية التى تدرس فى مدارس الإمام سليمان حالياً والتى حصلت عليها أثناء رحلتى من جماعة الإمام أنفسهم وهى نفس المناهج التى كانت تدرس فى المدارس العثمانية القديمة .

وهذه المناهج تعتبر إضافة جديدة وغنية للمكتبة العربية حيث أنها المرة الأولى التى تقدم فيها هذه المناهج إلى عالم الكتب .

وأرجو من الله أن أكون قد وفقت فى إعطاء فكرة عامة عن هذا الإمام الجليل ودعوته الإسلامية الرائدة للحفاظ على الإسلام من خلال مصدره الأساسى وهو القرآن الكريم ولغته العربية ضد التيار العلمانى الحالى فى تركيا .

هدى درويش

الباب الأول

اللغة العربية والعلوم الإسلامية عبر التاريخ العثماني

الفصل الأول : تطور الدولة العثمانية من النشأة إلى سقوط
الخلافة الإسلامية

الفصل الثاني : مكانة اللغة العربية في الدولة العثمانية

الفصل الأول

تطور الدولة العثمانية من النشأة إلى سقوط الخلافة الإسلامية

- ١- نشأة الدولة العثمانية
- ٢- عهد الإمارة
- ٣- عهد السلطنة
- ٤- عهد الخلافة
- ٥- ما قبل حركة الجامعة الإسلامية
- ٦- السلطان عبد الحميد والجامعة الإسلامية
- ٧- ظهور الاتحاد والترقي وهزيمة الدولة العثمانية

١ - نشأة الدولة العثمانية :

يحفل تاريخ العالم بالعديد من الدول العظمى التي كان لها دورها البارز في تغيير خريطة العالم على مر العصور . ومن أعظم الدول الإسلامية التي كان لها شأنها الكبير في تاريخ العالم ؛ وعاشت حقبة من الزمان امتدت إلى ستة قرون ونيف ؛ الدولة العثمانية . تلك الدولة التي كان تكوينها بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر الميلادي والتي امتدت رقعتها لتتوسط قارات ثلاث ، وكانت بحكم موقعها الجغرافي بوابة العالم الإسلامي التي تقف أمام العالم الأوربي^(١) .

وقد كانت الدولة العثمانية التي خلفت الدولة العباسية من أعظم الدول الإسلامية مساحة وعمراً وسُنَّة . وكان العثمانيون متذهبين بمذهب أهل السنة ، ناصرين لهم ، صحيحي العقيدة ، قائمين بتعظيم الصحابة والعلماء ، وكانوا يقومون بتأدية شعائر الحج وتأمين الطرق للحجاج ، كما كانت لهم فتوحاتهم الشهيرة وغزواتهم الكثيرة .

قيل إن نسب العثمانيين ينتهي إلى يافث بن نوح عليه السلام . وقيل إن أصلهم من العرب ، فقد ذكر العلامة السنجاري في تاريخه عن منبع آل عثمان أن أصلهم من عرب الحجاز وأنهم من المدينة المنورة^(٢) .

سكن العثمانيون في بداية عهدهم جنوب صحراء قاراقورم بشمال خراسان ، وكان يبلغ عددهم حوالي نصف مليون نسمة ، وقد اضطروا للهجرة والنزوح من موطنهم الأصلي هذا متجهين نحو الأناضول ؛ خوفاً من الزحف المغولي الذي كان يقوده جنكيزخان في العالم في ذلك الوقت . وكان من بين هؤلاء المهاجرين عشيرة تسمى "قايي" (KAYI) يبلغ عددها حوالي ٤٠٠٠ نسمة^(٣) وكان أرطغرل والد الأمير عثمان مؤسس الدولة العثمانية التي عرفت باسمه قائد هذه العشيرة^(٤) .

(١) بلغ عدد سكان الدولة العثمانية عام ١٨٦٠م حوالي ٣٧ مليون نسمة ، منهم في الجزء الأوربي ١٦,٧٣٠,٠٠٠ وفي آسيا وأفريقيا ٢١,٠٠٠,٠٠٠ وبلغت مساحتها ٤,٥٣٧,٣٠٠ كم^٢ انظر خير الدين باشا التونسي ، ألقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك ، تونس ، ١٢٨٤هـ ، ص ١٠٣ والشوايكة ، ص ٥ . وليماس أوزطوننة : تاريخ الدولة العثمانية ، استانبول ١٩٩٠م ، ص ٤٤-٤٥ ، وهذه الإحصائية نراها هامة لاعطاء فكرة واضحة عن ضخامة الدولة العثمانية .

(٢) السيد أحمد بن زيني دحلان ، الدولة العثمانية ، الفتوحات الإسلامية ، مكتبة الحقيقة ، استانبول ، ١٩٨٦م ، ص ١٠٩ .

(٣) محمد حرب ، العثمانيون في التاريخ والحضارة ، المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم السنركي والبلقان ، القاهرة ، ١٩٩٤م ، ص ١٠ .

(٤) محمد حرب ، الدولة العثمانية ، موسوعة سفير في التاريخ الإسلامي ، م ٨ ، القاهرة ، ١٩٩٦م ، ص ٥ .

٢ - عهد الإمارة :

اشترك أرطغرل مع السلطان علاء الدين السلجوقي فى قتال الخوارزميين وساعده فى نصره عليهم على الرغم من قلة عدد السلاجقة أمام الروم فى معركة "ياسى جمن" (Yassi Cemen) فما كان من السلطان علاء الدين السلجوقي الرومى سلطان "قونية" (Konya) إلا أن كافاه على مساعدته ومؤازرته له بأن أقطعه الجهات الغربية من الدولة السلجوقية ، تلك التى تتاخم حدود الروم البيزنطيين . وكان أرطغرل يشترك مع السلطان السلجوقي علاء الدين فى كل حروبه واستطاع أن يضم مدينة "أسكى شهر" (Eskisehir) حيث الحدود السلجوقية - البيزنطية. وبعد موت أرطغرل أصدر سلطان قونية علاء الدين مرسوماً بتعيين الأمير القبلى عثمان مكان أبيه ؛ فتولى عثمان الحكم وهو فى الثالثة والعشرين من عمره . حيث أصبح أمير ثغر تابع لعاصمة سلاجقة الروم - قونية (Konya) - وكان بدوره تابعاً لدولة الإلخانيين^(١) .

وقد تمكن عثمان أن يضم إليه قلعة " قره حصار " (Kara Hisar) حيث سر بها السلطان السلجوقي علاء الدين فمنحه لقب (بك) وسمح له بضرب العملة وأن يذكر اسمه فى خطبة الجمعة^(٢) وأصبح مقر ملكه مدينة (ينى شهر) (yeni sehir) بمعنى المدينة الجديدة التى أخذ فى تحصينها بعد موت السلطان علاء الدين ثم سار إلى مدينة إزميد (Izmit) ثم إزنيق (Iznik) وحاصر مدينة بورصة (Bursa) نحو عشر سنوات وبنى بجوارها قلعتين حتى فتحها دون مقاومة من أهلها^(٣) وكان ذلك عام ١٣٢٧م وفى ذلك الوقت أسلم حاكمها " افرينوس " فمنحه عثمان لقب " بك " ^(٤) .

وكان عثمان - الذى تنسب إليه الدولة العثمانية - ذا شخصية جذابة، وكانت حياته جهاداً إما بالحرب أو بالتخطيط الإدارى والتنفيذ. وكان محباً للعلماء متحمساً للإسلام من غير تعصب ؛ فلم يضطهد أهل الذمة وإنما اجتذبهم لخدمته ، وقد اعترف أعيان الروم بعدالة الأمير عثمان الغازى وسيادته. وتأسست الدولة العثمانية على يديه بعد أن كانت حكومة صغيرة فنمت وتوسعت بفضل شجاعته حتى صارت قبلة الإسلام^(٥) .

(١) محمد حرب، آليات اتخاذ القرار فى الدولة العثمانية، مقال فى مجلة أفاق الثقافة والتراث، العدد ١٢، مارس ١٩٩٦م، دى ، ص ٣٠.

(٢) محمود شاكر، التاريخ الإسلامى، العهد العثمانى، ج٨، المكتب الإسلامى، بيروت ١٩٨٧م، ص ٦٠ - ٦٢.

(٣) محمد فريد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، مطبعة التقدم، القاهرة ١٩١٢م. ص ٤١

(٤) محمود شاكر ، المرجع السابق ، ص ٦٢.

(٥) إسماعيل سرهنك ، تاريخ سلاطين وخلفاء الدولة العثمانية (سلاطين آل عثمان) فى كتاب حقائق الأخبار عن دول البحار، ١٨٨٩م، ص ٤٧.

وقد أوصى عثمان وصية التزم بها أورخان ابنه وكل من جاء بعده، ومن بنود هذه الوصية التي أثرت في مجرى تاريخ العثمانيين، ما يأتي :

يا بنى ! إياك أن تشتغل بشئ لم يأمر به الله رب العالمين .

يا بنى ! إذا واجهتك في الحكم معضلة فاتخذ من مشورة علماء الدين مؤثلاً .

يا بنى ! إن بالجهاد يعم نور ديننا كل الآفاق فتحدث مرضاة الله .

يا بنى ! نحن بالإسلام نحيا وللإسلام نموت^(١) .

وكانت هذه الوصية نبراساً لحكام وسلاطين وعلماء الدولة العثمانية، وكانت سبباً في تقدم الدولة العثمانية والوصول بها إلى أقصى ما يمكن أن تصله دولة من فتوحات، وهي في نفس الوقت دلالة على تأسيس الدولة العثمانية على أسس الإسلام ومبادئه، والتي أصبحت ملازمة لها حتى سقوطها .

وقبل أن يسلم عثمان الروح أوصى بالملك من بعده إلى ابنه الثاني "أورخان" . ولم يوصى إلى ابنه الأكبر علاء الدين ، حيث اكتفى علاء الدين بوزارة المملكة وتنظيم شئونها الداخلية . أما أورخان فقد اتجه إلى الفتوحات ، وأول ما قام به من أعمال هو نقل مقر الحكم من "ينى شهر" "Yenisehir" إلى "بورصة" "Bursa" نظراً لموقعها الاستراتيجي أيضاً^(٢) . وقد أوصى بنقل رفاته إلى "بورصة"^(٣) .

وقد ظهرت في عهد أورخان فرقة الإنكشارية ، وهي أول جيش نظامي في تاريخ العالم التركي^(٤) أقامه العثمانيون من الغلمان الذين كانوا يأسرونهم في الحرب وأكثرهم من أصل مسيحي ، وقد تولى "قره خليل" وزير السلطان أورخان تربية أولئك الغلمان تربية إسلامية، بحيث لا يعرفون لهم أباً إلا السلطان ولا حرفة إلا الجهاد في سبيل الله وقام بتدريبهم على الفنون الحربية لجعلهم جنداً لا يخشى تمردهم ، فجندهم وسار بهم إلى الحاج "بكتاش" شيخ الطريقة البكتاشية في "أماسيا" ليدعو لهم، فدعا لهم وسماهم "ينى جري" (Yeniceri) أي الجند الجدد^(٥) .

(١) محمد حرب ، العثمانيون ، مرجع سابق ، ص ١٢ .

(٢) Yeni Türk Ansiklopedisi , Bursa Mad., c.2, s. 459 - 460, Istanbul , 1985.

(٣) إيلي عبد اللطيف ، موقف الدولة العثمانية من مطاعم اليهود في فلسطين ، دار الكتاب الجامعي ، القاهرة ، ١٩٨٧م ، ص ١٤ .

(٤) محمد حرب ، العثمانيون، مرجع سابق ، ص ١٢ - ١٣ ، ونفس المؤلف ، الدولة العثمانية ، مرجع سابق ، ص ٧ .

(٥) محمد فريد ، مرجع سابق ، ص ٤٢

وقد قسمهم إلى أوجاقات ، والأوجاق ينقسم إلى أورط ^(١) ولكل أورطة عدد تعرف به ، ول بعضها أسماء خاصة، وأكبر ضباط الأوجاق أو قائدها الأعلى يسمى "أغا" ثم الأدنى فالأدنى ، ^(٢) ومن ألقا بهم أيضاً "شوربجي باشى" ، و"عشى باشى" ، و"سقا اغاسى" ، وغيرها من الألقاب الخاصة بالرتب العسكرية كما كانوا يعظمون ويجلون القدر التي كانت تقدم إليهم فيها المأكولات وكانوا لا يفارقون تلك القدر حتى وقت الحرب وكانوا يعتبرون فقدانها في القتال إهانة كبيرة تلحق بأصحابها عار وفضيحة. وإذا أرادوا إظهار عدم الرضا عن بعض أوامر رؤسائهم كانوا يقبلون القدر أمام منازلهم .

واستمرت هذه الفئه تعاون الدولة على أعدائها حتى أبطلها السلطان محمود الثاني عام ١٨٢٦م ، كما يرجع إلى هذا الجيش الفضل في انتصار العثمانيين في فتوحاتهم ^(٣) .

وقام أورخان بالعديد من الفتوحات منها فتح مدينة "إزميد" "Izmit" ثم انتقل إلى مدينة "إزنيق" "Iznik" ودخلها بعد حصار طويل، ثم سيطر على بحر مرمره وإمارة "قره سي" (Karasi) .

كان أورخان أكبر ملوك التركمان، وكان يقيم بكل حصن أيما لإصلاح شئونه وتنفذ حاله ، ولم يقم شهرا كاملا ببلد واحد ، وكان يقا تل الكفار ويحاصرهم ، وأصبحت دولته أقوى إمارات التركمان ^(٤) .

ومن فتوحاته أيضا مدينة "غاليبولي" "Galipolu" ومدينة "أبسالا" "Absala" ، و"رودستو" ، وأصبحت "غاليبولي" أول قاعدة عثمانية في أوربا حيث كانت تعتبر مفتاحا للبحر الأبيض المتوسط ^(٥) .

ومع الفتوحات والجهاد في سبيل الإسلام كان أورخان يولى استقرار أمور البلاد اهتماما كبيرا؛ حيث قام بفتح المدارس حيث أسس مدرسة عالية في مدينة بورصة وأخرى في إزنيق ، وكان يجزل العطايا للشعراء والعلماء ^(٦) وحرص على تربية

(١) أورط جمع أورطة وتكتب بالتركية الحديثة Orta وهي الطابور في الجيش الانكشارى. عبد اللطيف بندر أوغلو وآخرون ، المعجم التركي - العربى ، الجمهورية العراقية - وزارة الثقافة ، ج٣، بيروت ١٩٨٢م ، ص ٤٩٧ .

(٢) جورجى زيدان، مصر العثمانية، تحقيق محمد حرب، كتاب الهلال، العدد ص ٦٥ - ٧١، القاهرة، ١٩٩٤م.

(٣) محمد فريد ، مرجع سابق ، ص ٤٢

(٤) على رشاد ، تاريخ عثمانى، استانبول، ١٣٢٩م ، ص ٤٠ - ٤١. انظر في هذا أيضا محمد حرب، الدولة العثمانية، مرجع سابق ص ٧.

(٥) سرهنگ ، مرجع سابق ، ص ٥٠

(٦) محمد فريد ، مرجع سابق ، ص ٤٣ .

الأمة على مفهوم الإسلام، وقام ببناء الجوامع والتكايا^(١) وكانت حياته صفحة من صفحات التاريخ تكتب على أرض أوروبا^(٢) ودفن في بورصة عام ١٣٦٠م.

وكان من عادة السلاطين عند ارتقائهم العرش أن يتسلموا سيف السلطان عثمان الأول من شيخ الطريقة المولوية بمسجد أبي أيوب الأنصاري، وكانوا يلقبون أنفسهم بلقب "حامى حمى الحرمين الشريفين" أو "خادم الحرمين الشريفين" ثم بلقب "خليفة" بدءاً من القرن الـ١٦م^(٣). كما كانوا يولون عنايتهم بإنشاء المساجد وتنظيم الحج وتشجيع الطرق الصوفية. وكانوا يهتمون بالحفاظ على مخلفات الرسول (صلى الله عليه وسلم) الموجودة بمتحف "طوب قابى" باستانبول وتضم: بردة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وسجادة صلاة، والبيرق النبوى، وقوس وسهم وحدوة فرس، وشعيرات من لحية الشريفة، وسنة من أسنانه الشريفة، وحجر يحمل أثر قدمه الشريف ومفاتيح الكعبة المشرفة. كما تحتوى المخلفات على نسختين من المصحف الشريف للخليفين "عثمان بن عفان" و"على بن أبى طالب" (رضى الله عنهما) وكانت تضم أيضاً ثياب وأسلحة وأدوات لأنبياء سابقين وصحابة الرسول (صلى الله عليه وسلم)^(٤).

وتولى الخلافة بعد "أورخان" ابنه مراد الذى ولد عام ٧٢٦ هـ / ١٣٢٦م وتولى الحكم عام ١٣٦٠م وقد سار على نهج من سبقوه فقام بفتح "أنقرة" "Ankara" ثم قام بفتح "أدرنة" "Edirne" عام ١٣٦١م وأصبحت مقراً للحكم نظراً لموقعها الاستراتيجى، حتى تم فتح القسطنطينية عام ١٤٥٣م^(٥).

وفى تلك الفترة قام الأمير مراد بتقوية الجيش وتوسيع دائرة أوجاق الإنكشارية ولم يكن للعثمانيين فى ذلك الوقت سفن حربية بل كان لهم بعض زوارق يستعملونها داخل بحر مرمرة، فقام الأمير مراد بتزويد عدد هذه الزوارق وتعيين "لالا شاهين" محافظاً عليها^(٦).

(١) التكية هى مؤسسة الفكرة التصوفية تغام فيها الأعمال الخاصة بالطريقة Bthem Ruhi Figlali. Mezhepler ve Tarikatlar Ansiklopedisi, Tekke Mad., Istanbul, 1987, s. 200 - 201.

(٢) على رشاد، مرجع سابق، ص ٤٩.

(٣) عبد العزيز محمد الشناوى، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج ١، الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٨٠، ص ٥٤ - ٦٨.

(٤) عبد العزيز الشناوى، مرجع سابق، ص ٢٣ - ٢٤.

(٥) أدرنة: يبلغ عدد سكانها ٣٠٢٤٥ نسمة وهى مدينة بتركيا، فى تراقيا بأوروبا، وهى مركز تجارى هام وكانت مقر سلاطين الدولة العثمانية حتى فتح القسطنطينية ثم استولت عليها بلغاريا أثناء الحروب البلقانية عام ١٩١٣م ثم أعطيت لليونان عام ١٩٢٠م ثم أعيدت لتركيا ١٩٢٣م. من أهم معالمها مسجد سليم الأول وأطلال قصر السلاطين. محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، م ١، دار إحياء التراث العربى، بيروت - لبنان، ١٩٦٥، ص ٢/٩٨.

(٦) سرهنك، مرجع سابق، ص ٥٢.

ثم قام الأمير مراد بضم المناطق الواقعة جنوب بلاد البلقان ، واستولى على مدن " صوفيا " "sofya"، و" نيس " "Nis"، و" سالونيك " "salonik" واحتل مدينة " فلبي " "Filipe" وواصل فتوحاته في آسيا، وضم إليه كل الأراضي التركمانية وأملاك دولة سلاجقة قونية بعد انهيارها^(١) .

وحدث أن قام تحالف صليبي ضد العثمانيين، ودارت معركة انتصر فيها العثمانيون وكان ذلك في مكان يسمى "قوصوه" "kosiva" وكانت من أشهر معارك التاريخ ، انهزمت فيها جيوش المتحدين الأوربيين ومات فيها " لازار " ملك الصرب وكثير من أمراء وأعيان أوربا ، وبهذه الهزيمة فقد الصربيون استقلالهم كما فقدوا البلغار وبلاد الروملي وآسيا الصغرى^(٢) وعقب الانتصار قام الأمير مراد بتفقد ساحة القتال، وكان ذلك أثناء الليل بينما كانت تنعكس النجوم والهلل في السماء على الأرض المضرجة بالدماء ، خرج " ميلوش قابيلويج " صهر "لازار" ملك الصرب من بين القتلى والمحاربين وطلب مقابلة الأمير، ولما اقترب من الأمير تظاهر بأنه يريد تقبيل يده وفي لمح البصر أخرج خنجرًا ليطنع الأمير مراد غدرا فأرداه قتيلاً، واستشهد الأمير مراد وهو يبلغ من العمر ٦٥ عاماً^(٣) .

ومما يذكر أن الأمير مراد كان قد تسلم الدولة من أبيه ومساحتها تبلغ (٢م٩٥٠٠٠) وتركها عند استشهاده وهي تبلغ (٢م٥٠٠٠٠) حيث زادت مساحتها على مدى ٢٩ سنة أكثر من خمسة أمثالها حين تسلمها من أبيه^(٤) .

وقد تم في عهد الأمير مراد أن اتخذت الدولة العثمانية اللون الأحمر لعلمها .

٣- عهد السلطنة :

تولى بايزيد الحكم بعد مراد، الذي ولد عام ٧٦١ هـ / ١٣٥٢ م ، وقد انتقلت الدولة في عهده من طور الإمارة إلى طور السلطنة. فكان أول ما قام به في بلاده أن أدار الحرب بها ، فقاد الجيش نحو آسيا وفتح مدينة الأشهر "Alasehir" المعروفة باسم "فيلاذفيا" ، ثم توجه إلى أوربا وحارب امبراطور الروم وحاصره في القسطنطينية،

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى، أصول التاريخ العثماني، دار الشروق، ط٢ ، القاهرة ، ١٩٨٢م، ص ٤٨ .

(٢) سرفك، مرجع سابق ، ص ٥٢، و" قوصوه " اسم صحراء ووادٍ مشهور في البلقان. والكلمة أصلها من لغة السلاف ، وفي النصف الثاني من القرن الحادي عشر أعطى اسم قوصوه إلى إحدى ممالك العثمانيين. وقد بدأ الأتراك في التوسع هناك بداية من النصف الثاني للقرن الرابع عشر. Midhet Sertoglu, Osmanli Tarihi.

Lugat, Kosova Mad. , Istanbul 1986, s. 190.

(٣) علي رشاد، مرجع سابق، ص ٦٤ .

(٤) محمد حرب، الدولة العثمانية ، مرجع سابق ، ص ٩ .

وقاد جيشاً لغزو بلاد الأفلاق "Eflak" (وهى فى رومانيا حالياً) وقد اشتهر بإيزيد "بالصاعقة" وذلك لسرعة تنقله بجيوشه بين أوربا والأناضول.

بذل بإيزيد جهداً فى توحيد منطقة الأناضول تحت قيادة العثمانيين وكانت له طموحاته فى قيادة العالم الإسلامى، فقام بفتح ألبانيا ورومانيا وواجه جيوشاً مجرية ، وفرنسية ، وألمانية ، وبولندية ، وإنجليزية ، وإيطالية ، وإسبانية، وعقدت هذه الجيوش ضده حلفاً عسكرياً سارت به حتى وصلت إلى مدينة "نيكوبولى" حيث دارت معركة سميت باسمها ، وانتهت بانتصار العثمانيين . وهو أول من حمل لقب سلطان فى آل عثمان ، وكان باستطاعته أن يكتسح أوربا لولا خطر "تيمور لنگ" على العثمانيين الذى ألحق بهم هزيمة منكرة ووقع بإيزيد مع ابنه فى الأسر، وقد تسبب هذا فى انهيار الدولة لفترة من الزمان . وكان ملك بخارى قد أرسل إليه سيفاً مرصعاً لما أوتيّه من فتوحات، وقد لقب الخليفة العباسى المتوكل على الله بمصر السلطان بإيزيد بلقب (سلطان أقاليم الروم)^(١) .

ثم جاء من بعده السلطان محمد الأول وقضى مدة حكمه كلها فى حروب داخلية لاستعادة الإمارات التى استقلت زمن الفوضى الذى أعقب موت السلطان بإيزيد ، وكان يعرف بالحزم مع الحلم فى معاملة من قهرهم، وكان يبذل قصارى جهده من أجل محو أثر الفتن والقتال الداخلية حتى مات عام ٨٢٤ هـ / ١٤٢١م فى أدرنه "Edirne"، وهو أول من شرع فى ترتيب العساكر البحرية وبناء السفن، وكان مشهوراً بحبه للعلوم والفنون ، وهو أول حاكم عثماني يرسل الهدية السنوية لأمير مكة والتى عرفت بالبصرة ، وقد دفن فى بورصة "Bursa"^(٢) .

ثم جاء إلى الحكم مراد الثانى الذى استأنف النشاط الحربى وخاصة فى البلقان التى أطلق عليها العثمانيون اسم روميللى^(٣) .

ثم تسلم السلطان محمد الثانى الذى عرف "بالفاتح" السلطنة بعد أبيه مراد وهو السابع فى سلسلة آل عثمان . ولد الفاتح عام ٨٣٣ هـ / ١٤٢٩م وهو يلقب أيضاً "بأبى الخيرات". وقد خضع السلطان محمد الثانى لنظام تربوى تحت إشراف مجموعة من علماء عصره فتعلم القرآن الكريم والحديث والفقه والعلوم العصرية، وهو القائد الإسلامى الذى بشر به الرسول صلى الله عليه وسلم فى الحديث الشريف " لتفتحن

(١) سرهنك ، مرجع سابق ، ص ٥٦ .

(٢) سرهنك، مرجع سابق، ص ٥٩ .

(٣) أحمد عبد الرحيم مصطفى ، مرجع سابق ، ص ٦٣ .

القسطنطينية، فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش ^(١) وقد تحقق الحديث النبوي في فتح القسطنطينية على يديه عام ١٤٥٣م وكان بها من السكان في ذلك الوقت ما يزيد على ٣٠٠ ألف نسمة ^(٢).

وتأتى أهمية القسطنطينية نظراً لموقعها الجغرافى عند نقطة اتصال آسيا بأوروبا عن طريق مضيق البوسفور الذى يصل البحر الأبيض بالبحر الأسود، وهى عقدة المواصلات وطريق الملاحة، وقد قال عنها نابليون : " لو كانت الدنيا مملكة واحدة لكانت القسطنطينية أصلح المدن لتكون عاصمة لها " ^(٣) تلك المدينة حاصرها المسلمون إحدى عشرة مرة من قبل، فقد حاصرها " معاوية بن أبى سفيان " عام ٦٥٤م فى خلافة " على بن أبى طالب " (رضى الله عنه) وحاصرها يزيد بن معاوية عام ٦٦٧م فى خلافة على رضى الله عنه أيضاً، ثم حاصرها " سفيان بن أوس " فى خلافة " معاوية بن أبى سفيان " عام ٦٧٢م، كما حاصرها " مسلمة " فى زمن " عمر بن عبد العزيز " الأموى عام ٧١٥م وحوصرت فى خلافة " هشام بن عبد العزيز " عام ٧٣٩م، كما حاصرها أحد قواد " هارون الرشيد " عام ٧٦٨م، وظلت حتى فتحها السلطان محمد الثانى عام ١٤٥٣م، وبعد أن دخلها السلطان محمد الثانى أمر بمنع أى اعتداء عليها، وهناك زار كنيسة "أيا صوفيا" وأمر بأن يؤذن فيها للصلاة إعلاناً بجعلها مسجداً للمسلمين مع ضمان حرية المسيحيين فى إقامة شعائهم ^(٤) وقد أدى فتح القسطنطينية إلى فزع اليونان فتشتتوا فى البلاد على الرغم من معاملة السلطان الفاتح الحسنة لهم. وكان سقوط القسطنطينية حداً فاصلاً لزمان تاريخ القرون الوسطى عن تاريخ الأزمنة الحديثة ، وكان هذا الفتح من أعظم الفتوحات فى التاريخ؛ حيث تمناه السابقون من الأمراء والخلفاء وناله السلطان الفاتح فى ذلك الوقت ^(٥).

تعلم محمد الثانى منذ صغره القرآن الكريم والحديث والعلوم، وقام بإدارة إمارة "مغنسيا " Manisa تحت إشراف علماء الدين وفى مقدمتهم الشيخ " آق شمس الدين " (١٣٨٩-١٤٥٩م) وقد كان السلطان محمد الفاتح متعلقاً تعلقاً كبيراً بهذا الشيخ الكبير فهو أحد مشايخ الطريقة البكتاشية، وكان الشيخ آق شمس الدين معلماً ومربياً للسلطان محمد الثانى فقد عهد له والده السلطان مراد الثانى تعليمه أمور دينه. وقد لعب هذا

(١) رواه أحمد فى مسنده ٣٣٥/٤، والحاكم فى المستدرک ٤٢٢/٤، والطبرانى فى المعجم الكبير ٢/٢٤، والسيوطى فى الدر المنثور ٦/٦٠، والبخارى فى التاريخ الكبير ٨١/٢.

(٢) سرهنك، مرجع سابق، ص ٦٩.

(٣) على حسون، تاريخ الدولة العثمانية، المكتب الإسلامى، بيروت، دمشق، ١٩٨٣م، ص ٣١.

(٤) محمد فريد، مرجع سابق، ص ٦١.

(٥) سرهنك، مرجع سابق، ص ٧١.

الشيخ دوراً كبيراً في تكوين شخصية السلطان محمد الثاني، فكان يبيت فيه منذ صغره
أمرين جعلاً منه الفاتح العظيم للقسطنطينية : الجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله،
والإحياء له بأنه هو الأمير المقصود بالحديث الشريف^(١) .

وعندما قام السلطان الفاتح بمحاصرة القسطنطينية وقبل الهجوم عليها أرسل وزيره
لسؤال الشيخ عن إمكانية نصره، فرد الشيخ قائلاً : " إن الفتح لآت بإذن الله " وحينما
كان السلطان يحاصر القسطنطينية استعداداً لفتحها كان شيخه الشيخ آق شمس الدين
يتعبد ويدعو له بالنصر حتى تم له النصر وتم فتح القسطنطينية، فقام باتخاذها عاصمة
للدولة واستبدل اسمها إلى استانبول (أو إسلامبول) ومعناه دار الإسلام، وعند دخول
السلطان محمد القلعة نظر جانبه وقال معبراً عن فرحته ومؤازرة الشيخ آق شمس
الدين له : " ما فرحت بهذا الفتح ، وإنما فرحى من وجود مثل هذا الرجل في
زمانى "^(٢) .

وقد ذهب السلطان محمد إلى الشيخ بعد النصر وطلب منه أن يدخله الخلوة لكن
الشيخ رفض طلب السلطان، ولما غضب السلطان من رفض الشيخ دخوله الخلوة
أجابه : "إنك إذا دخلت الخلوة تجد لذة تسقط السلطنة من عينيك فتختل أموراً ويمقت
الله إيانا " ونصحه باتباع العدل في أمور دولته فيتحقق الغرض من الخلوة التى
يريدها^(٣) .

وكان السلطان الفاتح يصف الشيخ آق شمس الدين وهو في حضرته فيقول لأحد
وزرائه : " إن احترامى لهذا الشيخ احترام يأخذ بمجامع نفسى وأنا مائل في حضرته
مضطرباً ويدأى ترتعشان، إننى أشعر وأنا بجانبه بالانفعال والرهبة "^(٤) .

وعرضنا لعلاقة السلطان محمد الثاني بالشيخ آق شمس الدين ما هو إلا إيضاح
لمدى عمق العلاقة بين السلطان العثماني وبين المشايخ وعلماء الدين الكبار في الدولة،
كما توضح أيضاً القوة المعنوية التى يتخذها السلطان من الشيخ^(٥) .

كان السلطان الفاتح محباً للعلوم يجيد العربية والفارسية إلى جانب التركية
واللاتينية واليونانية والسلافية والعبرية ، وله ديوان شعر، وقد كان حامياً للحركة الأدبية

(١) محمد حرب، الدولة العثمانية ، مرجع سابق، ص ١٩ .

(٢) طاشكوبرى زاده ، الشقائق النعمانية ، تحقيق أحمد صبحى فرات، جامعة استانبول، استانبول، ١٤٠٥، ص ٢٢٩ .

(٣) طاشكوبرى زاده ، المرجع السابق، ص ٢٢٩ .

(٤) محمد حرب، العثمانيون، مرجع سابق، ص ٤٧ .

(٥) انظر هدى درويش، الشيخ آق شمس الدين، القوة المعنوية وراء فتح القسطنطينية، الأحرار، العدد ١٦٨١، ١٩٩٦/٨/٢ .

فى عهده لىس فقط فى دولة آل عثمان بل فى العالم الإسلامى كله^(١)، وكما كان يحضر بنفسه امتحان العلماء والفقهاء المستعدين للترقى فى الدرجات العلمية السامية، وقد أعلى من شأن العلم كثيرا وعضده .

وقد اتخذ من استانبول (القسطنطينية) قاعدة لكل الأراضى التى كانت تخضع للباطرة فى الماضى فقام بإعادة بنائها وحث سكانها الفارين بالعودة إليها مرة أخرى، وزود الدولة بقاعدة سياسية وثقافية قوية .

ومن أهم أعماله تحويل كنيسة آيا صوفيا إلى مسجد، وتشيد المدارس، والمكتبات والتكايا والمؤسسات الخيرية، بحيث أصبحت استانبول أبرز مركز ثقافى فى العالم فى ذلك الوقت حتى انتقلت العاصمة إلى أنقرة فى أعقاب الثورة الكمالية^(٢) .

وفى مجال الفتوحات قام السلطان الفاتح عام ١٤٥٣م بفتح القسطنطينية وفى عام ١٤٥٣ - ١٤٥٩م قام بفتح بلاد الصرب فى عام ١٤٦٠م ثم فتح بلاد المورة وفى عام ١٤٦٢م ضم بلاد الأفلاق ثم قام ١٤٦٣، ١٤٧٩ بفتح بلاد البانيا وفى عام ١٤٦٣ - ١٤٦٥م فتح بلاد البوسنة والهرسك "Bosna-Hersek" ثم قام عام ١٤٧٦م بحرب المجر "Macaristan" إلى جانب ضم الجزر اليونانية عام ١٤٧٩ كما ضم أوترانتو "Otranto" الإيطالية عام ١٤٨٠م .

وكان السلطان الفاتح قد أعد جيوشه لحرب الممالك إلا أن الموت عاجله^(٣) .

كان الفاتح رجل حرب، وقد ترك عند موته قوة زلزلت أوربا، وترك عند موته أوسع وأقوى دولة ، وقد عده المؤرخون مؤسساً للبحرية العثمانية ، وأصبحت الدولة فى عهده حاکمة جميع جهات البحر الأسود وبحر مرمرة والقسم الأكبر من جزر الأرخبيل.

توفى السلطان محمد الثانى (الفاتح) عام ١٤٨١م وكانت مدة حكمه ٣١ عاماً تم فى خلالها مقاصد أجداده، كما ينسب إليه ترتيب الحكومة.

ثم تولى السلطنة بعده السلطان بايزيد الثانى وهو ثامن سلاطين آل عثمان ، ولد عام ١٤٤٧م ، وكان حاکما بأماسيا "Amasya" وقد كان ميالاً للسلم أكثر منه للحرب ، محباً للعلوم الأدبية ، سماه بعض مؤرخى الترك بـبايزيد الصوفى، إلا أن الظروف

(١) محمد حرب ، العثمانيون، مرجع سابق، ص ٤٧.

(٢) أحمد عبدالرحيم مصطفى ، مرجع سابق ، ص ٦٧.

(٣) انظر فى تفصيلات حروب الفاتح وموقف القسطنطينية ، على رشاد، مرجع سابق، ص ١١٩ - ١٢٥. وأحمد حامد مصطفى محسن ، قرون جديدة وعصر حاضر ده تركية تاريخى ، استانبول ١٩٢٤م، ص ٤١.

اضطرته لخوض الحروب، وكانت أول حروبه داخلية حيث قام بمحاربة أخوه الأمير جم "Cem" أكثر من مرة بسبب التنافس على السلطة^(١).

وفي عهده بدأت علاقات العثمانيين مع الروس وبدأت أيضا المواصلات مع مملكة "بولونيا" "Ichistan" وعقدت معاهدة بينهما. وفي سنة حكم بايزيد الأخيرة أضرم أولاده الحروب الداخلية ضده، ومن بينهم السلطان سليم^(٢) الذي سار إلى أدرنة، وشك في مقدرة والده على التصدي للدولة الصفوية، فقام بانقلاب على والده بمساعدة الجنود الإنكشارية الذين طلبوا من السلطان بايزيد التنازل عن العرش لابنه سليم^(٣) وأعلن نفسه سلطانا عليها، وكانت الإنكشارية تتحاز إلى سليم حيث أرغموا والده على التنازل عن الملك له وتوفي بايزيد عام ١٥١٢م وقد كانت حروبه كلها اضطرارية نظراً لميله للسلم.

٤- عهد الخلافة :

تولى السلطنة بعد بايزيد السلطان سليم الأول تاسع سلاطين آل عثمان ، وكان رجلاً واسع الثقافة، قارئاً ، شاعراً ، عالماً ، وكان استراتيجياً فذاً ، وكانت تأتية تقارير من أنحاء العالم ، وقد واجه تحديات خطيرة تتصل بوراثنة العرش استطاع حسمها .

أدرك سليم الأول أن هناك مخاطر هائلة يمكن أن تصيب الدولة بسبب النشاط الشيعي في منطقة الأناضول فقام بالتصدي للشيعية، واستطاع أن يحقق نصراً حاسماً على الصفويين ويستولي على عاصمتهم تبريز "Tebriz"^(٤) وقد حال خطر الصفويين دون تحقيق مواصلة الفتح الإسلامي في الأناضول وفي بلاد التركستان الذي كان يدور بخاطره .

في تلك الفترة كان المغرب العربي ينتظر منقذاً يخلصه من الاعتداء الصليبي في المشرق العربي ، كما كان المشرق العربي ينتظر منقذاً له من جبروت الدولة المملوكية ، وتمثل هذا المنقذ في الدولة العثمانية التي كانت تسعى لتحقيق وحدة إسلامية في العالم ، وكان علماء حلب يستنهضون عدالة السلطان العثماني كي يأتي وينقذ

(١) سرهنگ ، مرجع سابق، ص ٨٠.

(٢) محمد فريد، مرجع سابق، ص ٧٢.

(٣) محمد حرب، الدولة العثمانية، مرجع سابق، ص ٢٩.

(٤) محمد فريد ، مرجع سابق، ص ٧٤-٧٦ .

مصر من المماليك وظلمهم ويدخل مصر تحت كنفه^(١) فقام السلطان سليم بالحملة على مصر ، وكان الجيش العثماني مزوداً بالمدافع المتقدمة التي استخدمت لأول مرة وانتصر السلطان "سليم الأول" على المماليك في "مرج دابق" عام ١٥١٦م ودخل الشام ووصل إلى القدس الشريف وصلى بالمسجد الأقصى. وهنا تغيرت خريطة العالم، حيث تغلغل النفوذ العثماني في السودان وليبيا والجزائر واليمن. وقد كان دخول السلطان سليم مصر وسوريا دون مقاومة ، بل قول بالترحيب من الشعوب التي كانت تسكن هذه المناطق وقد نودى به سلطاناً خليفة خادماً للحرمين الشريفين بعد أن تسلم مفاتيح مكة والمدينة ، وفي مصر أعاد السلطان سليم تنظيم البلاد، كما أصدر قانون نامه مصر^(٢) لإدارة البلاد عن طريقه ، وقد دخلت الجزائر تحت حكمه طوعية ثم تبعها تونس وطرابلس ، وفي عام ١٥٥٦م أصبح الشمال الأفريقي كله تابعاً للدولة العثمانية^(٣) .

ويتضح لنا هنا أن الدولة العثمانية كانت تحكم بلاداً كثيرة في أوروبا والقسم الأكبر من الأناضول في آسيا، إلا أنه بمجيئ السلطان سليم وجهت الدولة فتوحاتها نحو البلاد العربية ، وكان لهذه الفتوحات أهمية تاريخية عظيمة ؛ حيث إن محمد المتوكل على الله وهو آخر ذرية الدولة العباسية قد حضر أجداده لمصر بعد سقوط الخلافة في بغداد، وكانت له الخلافة بمصر، فتنازل عن حقه في الخلافة إلى السلطان سليم وسلمه المخلفات النبوية الشريفة ، وهي البيرق والسيف والبردة وسلمه مفاتيح الحرمين الشريفين ، ومن ذلك التاريخ أصبح كل سلطان عثماني أميراً للمؤمنين وخليفة لرسول الله أسماً وفعلاً^(٤) .

وقد كان السلطان سليم يخطط لمواجهة أوروبا في منطقة الهند والشرق الأقصى، لكنه مات قبل أن يحقق ذلك . ومع هذا فقد كانت الدولة العثمانية في عهده دولة عالمية

(١) انظر نظير حسان سعداوي، صور ومظالم من عصر المماليك ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، ١٩٦٦م، ص٢٤-٣٠-٣٩-٤٢ على سبيل المثال. وعن وثيقة علماء حلب انظر أرشيف طوب قابي، وثيقة رقم ١١٦٣٤ (٢٦) المقدمة إلى السلطان سليم الأول ، نقلا عن محمد حرب ، العثمانيون ، مرجع سابق ص ١٤٠ .

(٢) ليقولاي ايفانوف، الفتح العثماني، ترجمة يوسف عطا الله ، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ١٩٨٨، ص٧٣-٧٤.

(٣) عقيل النشمي، ترتيب أوراق سقوط الخلافة ، مقالات العثمانيين المدافعين عن ثغور الإسلام، مجلة المجتمع الكويتية ، محرم ١٤٠١هـ، ص ٣٢

(٤) محمد فريد ، مرجع سابق، ص ٧٦. وانظر في هذا أيضاً، محمد حرب، الدولة العثمانية، مرجع سابق، ص ٤٠ ، يصف لنا الأمير شكيب أرسلان فيما كتبه عن الاحتفال بزيارة المكان الذي توجد فيه المخلفات النبوية الشريفة، فكان المدعوون يتقدمون واحداً تلو الآخر فيرقى الواحد منهم درجة الدكة ويصير أمام الصندوق ، وينحني ، ويقبل الصندوق من أعلاه، ويكون السلطان قد تناول منديلاً فيمسح به على وجه الصندوق فينأله إياه وينصرف سائراً من غير الجهة التي جاء منها، فيرقى غيره وهم في حالة سكون تام لا يسمع الإنسان فيه سوى صوت قارئ يتلو القرآن (شكيب أرسلان ، حاضر العالم الإسلامي، نقله إلى العربية عجاج نويهض، بيروت، ١٩٧٣م، ص ٢٣١).

كبرى، وكان البحر الأبيض على وشك أن يصبح بحيرة عثمانية؛ فقد وصل الأسطول العثماني في عهده إلى المحيط الهندي .

ثم جاء السلطان سليمان القانوني و هو عاشر ملوك آل عثمان حيث تولى عرش الدولة العثمانية بعد موت والده السلطان سليم ، حكم سليمان القانوني الدولة مدة ست وأربعين سنة، وهي أطول مدة حكمها سلطان عثمانى، بدأها عام ١٥٢٠م.^(١) وقد وصلت الدولة العثمانية في عهده أعلى درجات الكمال^(٢) .

اشتهر باسم القانوني لأنه وضع نظاماً داخلياً في كافة فروع الحكومة ، وكان عهده قمة العهود العثمانية سواء في الحركة الجهادية أو الناحية المعمارية والعلمية والأدبية والعسكرية^(٣) وكان هذا السلطان يؤثر في السياسة الأوروبية تأثيراً عظيماً . وقد بلغت الدولة العثمانية في عهد السلطان سليمان القانوني قمة التمكين في الأرض ونعمت بالرخاء والطمأنينة^(٤) وتولى شئون الأمة بتوجيهات مكتوبة إلى أمة الإسلام متوجة بالآيات القرآنية والنصائح التي تبين فضل العدل وعاقبة الظلم^(٥) .

وكان السلطان سليمان يستهل خطباته بالآية الشريفة (إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم)^(٦) وقد خصص وظائف للمدرسين والطلبة وصرف لهم مرتبات من الأوقاف، كما جدد عمارة الحجرة النبوية وأرسل منبراً من الرخام إلى مكة^(٧) .

نعمت الدولة العثمانية في عهد السلطان سليمان القانوني بالرخاء والطمأنينة، وكانت أولى أعماله عند تسلمه الخلافة سن القوانين والأنظمة التي تكفل قيام الدولة، كما قام بتنظيم الجيوش وتقوية أساطيل البحر الأسود والبحر الأبيض المتوسط^(٨) وأول ما واجهه في سنواته الأولى من حكمه كان أربعة تمردات شغلته عن حركة الجهاد ولكنه استطاع التغلب عليها، كان أولها من قبل "جان بردى لغزالي" وقد حاول بعث الدولة المملوكية من جديد لكنه فشل، ثم كان التمرد الثاني الذي قام به "أحمد باشا"

(١) Yilmaz Uztuna , Buyuk Turkiye Tarihi, c.3, s. 328 - 329, Istanbul, 1977.

(٢) محمد فريد، مرجع سابق، ص ٧٩.

(٣) Yilmaz Uztuna, a.g.e., c.3, s. 359.

(٤) محمد حرب، الدولة العثمانية، مرجع سابق، ص ٤١.

(٥) جمال عبد الهادي محمد مسعود وآخرون، أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ، الوفاء للطباعة، المنصورة، ١٩٩٤م، ص ٥٥.

(٦) محمد فريد ، مرجع سابق، ص ٧٩.

(٧) سرنك، مرجع سابق، ص ١١٥.

(٨) نفس المرجع ، ص ٩٢.

الخانن في مصر إلا أنه فشل ، والتمرد الثالث كان تمردا شيعياً ، والرابع كان شيعياً علوياً أيضاً ، إلا أن كل هذه التمردات باءت بالفشل وبعدها هدأت الأحوال^(١) .

وبدأ العثمانيون فتوحاتهم الكبيرة في أوربا بفتح "بلغراد" أهم مدن البلقان ، وأصبحت قاعدة للأعمال الحربية لآل عثمان ، وجزيرة "رودس" وبلاد المجر حيث حول أكبر كنائسها إلى مسجد ، ودخلت الجيوش "بودابست" ، ثم توحدت الأقطار الإسلامية على أيدي خير الدين بربروس ، وامتدت الدولة العثمانية إلى الحوض الغربي للبحر المتوسط^(٢) .

كما واتسعت حدود الدولة العثمانية في عهده حيث شملت "الأحساء" و"عدن" و"العراق" ، وتوحدت بلاد العالم الإسلامي من الجزائر غرباً حتى الخليج العربي شرقاً ومن حلب شمالاً إلى خليج عدن وبحر العرب جنوباً. ثم وجه قواته إلى "الهند" وقام بمحاربة البرتغاليين حتى لا يستولوا على البلاد الإسلامية ، وفتح "عدن" و"مسقط" ، وقام خير الدين بربروس ببناء على تكليف من الخليفة سليمان بغزو "تونس" التي كان يسيطر عليها الصليبيون ، وأصبح خير الدين يقاتل نصارى أسبانيا الذين أبادوا المسلمين في الأندلس. أيضاً قام خير الدين بإزالة قوات مجاهدة جنوب شبه الجزيرة الإيطالية في ميناء "أوترانتو" "Otranto" وكان ينتظر زحف السلطان "سليمان" على إيطاليا لفتح "رومية" .

من هنا يتضح لنا كيف أن الدولة العثمانية ظلت تحرس العالم الإسلامي وتحميّه من المعتصب الأوربي طيلة أربعة قرون أو يزيد^(٣) .

وظهر في عهد القانوني شخصيات هامة في مجال التشريع وفي مجال العمارة^(٤) وظهرت أكبر شخصية معمارية في التاريخ الإسلامي وهو "معمار سنان" وفي مجال التشريع ظهر الشيخ "أبو السعود" الذي نظم قوانين البلاد على أساس الشرع الإسلامي ، أما "خير الدين باشا" الملقب "ببربروس" الذي ظهر في عهده فقد كان من أعظم القواد الحربيين في التاريخ الإسلامي .

(١) عمر الأسكندري وسليم حسن، تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر، القاهرة، ١٩٢١م، ص ٧٩-٨٠.

(٢) جمال عبد الهادي، مرجع سابق، ص ٥٦.

(٣) نفس المرجع ، ص ٥٦ - ٦١.

(٤) محمد حرب، العثمانيون ، مرجع سابق، ص ٧٠.

ومات السلطان سليمان القانونى عام ١٥٦٦م عندما كان يقود الجيوش أثناء حصار قلعة "سكتوار" "Sigetvar" المجرية، وقام وزيره بإخفاء نبأ وفاته وفتحت القلعة فى اليوم التالى منها، ثم أعلن ابنه سليم سلطاناً^(١).

ثم تولى الحكم من بعده السلطان "سليم الثانى"، عام ١٥٦٦م وفى عهده عقدت معاهدات للصالح مع النمسا وتجددت المعاهدة مع فرنسا، ويرتبط عهده بأحداث كانت سبباً من أسباب سقوط الدولة العثمانية ألا وهو: السماح لفرنسا بإرسال إرساليات نصرانية إلى رعاياها فى الدولة العثمانية، فكان ظاهرها نشر العلم وباطنها تنصيرى، ومن هنا بدأت تربية الأقليات النصرانية^(٢) ونشر المدارس الأجنبية، أيضاً قام بإرسال حملة لإعادة اليمن إلى الدولة العثمانية وأرسل قواته لاستعادة قبرص "Kıbrıs" وحقق نصراً باستعادة تونس وتم فى عهده إعادة بناء الأسطول العثمانى فى عام واحد بعد تحطيمه فى موقعة "ليبانتو" Lipanto.

ثم جاء من بعده مراد الثالث (١٥٧٤ - ١٥٩٥م) وقد حاول إصلاح الدولة إلا أن المعاهدات والحصول على الامتيازات نالت قدراً كبيراً من الأهمية فى عهده وأصبحت السفن تدخل الموانئ تحت ظل العلم الفرنسى^(٣).

ثم توالى من بعده سلاطين واجهوا تمردات داخلية تهدف إلى تقويض كيان الدولة وذلك بغرض الانفصال عن جسد الدولة العثمانية، وتم إبرام صلح بين العثمانيين والصفويين عام (١٥٨٥م) وكان هذا الصلح نذيراً بتفكك الدولة العثمانية.

وقد بدأ هذا الطريق فى تدهور الدولة العثمانية وتفككها على عهد السلطان أحمد الأول (١٦٠٣ - ١٦١٧م) ثم السلطان مصطفى الأول حكم (١٠٢٦-١٠٢٧م) حتى جاء السلطان محمد الرابع (١٦٤٨ - ١٦٩١م) الذى تولى السلطة وهو ابن سبع سنوات وقد استخفت به أوروبا، واستمر التدهور فى كيان الدولة العثمانية فى عهد سليمان الثانى (١٦٨٧ - ١٦٩١م) وازدادت شراسة الأعداء، ثم جاء بعده مصطفى الثانى (١٦٩٥-١٧٠٣م) وقد تمت فى عهده توقيع معاهدة مع روسيا التى كان خطرها واضحاً على الدولة العثمانية، ثم تولى بعده أحمد الثالث (١٧٠٣-١٧٣٦م) والذى يطلق على عهده تعبير "عصر الخزامى" أو "عصر شقائق النعمان" "Lale Devri" وكان عهد انفتاح انفتحت الدولة العثمانية فيه على الغرب لأول مرة، وحصل مع بعض الدول الغربية نوع من التبادل الدبلوماسى^(٤).

(١) نفس المرجع، ص ٧٠.

(٢) جمال عبد الهادى، مرجع سابق، ص ٦٤.

(٣) نفس المرجع، ص ٦٧.

(٤) نفس المرجع السابق، نفس الصفحة.

وقد كانت العادات والتقاليد العثمانية حتى هذا العهد بعيدة كل البعد عن التأثير الأجنبي بشكل عام والغربي منه بشكل خاص، وكان العلماء حتى هذا العهد - بل وبعده - يوصلون تراث أسلافهم إلى الأجيال الجديدة دونما حذف أو إضافة جوهريّة، ولم يحصل حتى هذا العهد أى ابتكار فى القضايا الفكرية أو الفنية ولا أى تجديد فى القضايا الاجتماعية أو السياسية، بل حتى فى الأعراف والعادات الاجتماعية .

وكان الفقه واللغة العربية أهم الموضوعات على رأس قائمة اهتمام العلماء ، وكان فى إستانبول عشرون ألف خطاط يعملون فى نسخ الكتاب المخطوط قبل ظهور المطبعة^(١) . وكان عهده يشتهر بالجهاد ضد الروس ، ووقعت معاهدة "أدرنة" التى بموجبها انسحبت روسيا من المناطق التى تطل على البحر الأسود، وبدأت الدولة تلتقط أنفاسها إلا أن الجند كانت أحوالهم قد فسدت وتمردوا على السلطان وعزلوه، وفى هذا الوقت ظهرت فكرة إصلاح الدولة العثمانية على النمط الأوروبى مع المحافظة على الأصول العثمانية الإسلامية، فتتمت أول خطوة فى هذا الإصلاح عن طريق إرسال سفراء عثمانيين إلى العواصم الأوربية للاطلاع على آخر المنجزات المدنية فى هذه البلاد وانتقاء ما يصلح منها للشرق، وبعد رحلة هؤلاء بدأ يظهر فى الدولة القصور الفخمة والحدائق المزدانة بالنافورات^(٢) وكان "داماد إبراهيم" باشا صدىراً أعظم للسلطان أحمد الثالث فى ذلك الوقت، وكان من أشهر الصدور العظام فى الدولة العثمانية والذى كان له أقوى دور فى إقناع السلطان بالموافقة على إصدار فرمان يسمح بإنشاء المطبعة، وقد صدر هذا فرمان عام ١١٣٩هـ (١٧٢٦م) "لكونها تؤدى إلى نشر العلوم والمعارف بين أفراد الأمة الإسلامية وإصدار كتب علماء الدين المبين وحفظها وصيانتها" وقد أشار فرمان إلى السماح بطبع الكتب جميعاً ماعدا كتب الفقه والتفسير والحديث الشريف وكتب علم الكلام^(٣) .

ثم تولى بعده محمود الأول (١٧٣٠-١٧٥٤م) وقد اشتهر بجهاده ، وواجه الأعداء وهم أهل "النمسا" الذين أغاروا على "البوسنة" و"صربيا" و"الأفلاق"، وطاردتهم حتى نهر الدانوب - الذى تطلق عليه المصادر العثمانية "نهر الطونة" .

ثم تولى بعده عثمان الثالث (١٧٥٤-١٧٥٧م) ثم مصطفى الثالث (١٧٥٧ - ١٧٧٤م) الذى تصدى للهجمات الروسية الصليبية.

(١) سهيل صابان، إبراهيم متفرقة وجهوده فى إنشاء المطبعة العربية ومطبوعاته، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض ١٩٩٥م، ص ١٣-١٤-٣٠ .

(٢) Hayat Kucuk Ansiklopedisi, Istanbul 1968, s. 841,.

(٣) سهيل صابان، مرجع سابق، ص ٥٦.

وفى ذلك الوقت بدأ التخطيط نحو وحدة العالم الإسلامى من الداخل فبرز التآمر الروسى الصليبي ضد الدولة العثمانية فقد أيدوا على بك الكبير (شيخ البلد) فى مصر فى خروجه على الدولة العثمانية وكان ذلك عام ١٧٧٠م ومن هنا قاد على بك الكبير مصر لقتال العثمانيين فى بلاد الشام ودخل سوريا ودمشق وصيدا وحاصر يافا إلى أن تم أسر على بك الكبير على يد محمد بك أبى الذهب وقتل ضاهر العمر الأمير العربى فى فلسطين (١) .

ثم تولى عبدالحميد الأول الحكم عام (١٧٧٣-١٧٨٧م) وفى عهده ازدادت ضراوة الهجمة الأوربية الصليبية على ديار الإسلام وبدأ تمزيق الدولة العثمانية ، وعقدت المعاهدات بين الروس والدولة العثمانية وتحالفت روسيا مع النمسا ضد الدولة العثمانية .

ثم تولى حكم الدولة سليم الثالث بن مصطفى الثالث ابن أخى عبد الحميد الأول الذى أعطى وقته للقتال، غير أن الجند كانت قد ضعفت، واتحدت الجيوش الروسية والنمساوية وتمكنت من الاستيلاء على الأفلاق والبغدان، هذا إلى جانب استيلاء روسيا على بعض المدن ، وفى عهده دخل نابليون بونابرت مصر وانتصر على المماليك وبدأت الدولة العثمانية فى قتال الفرنسيين لإخراجهم من مصر .

وجاء مصطفى الرابع وهو ابن عبدالحميد الأول وكان ذلك وقت أحداث الحرب التى كانت تدور ضد الفرنسيين ، بالإضافة إلى الموقف المتأزم مع روسيا .

ثم تولى بعده محمود الثانى الذى عقد صلحا مع إنجلترا ، وحاول أن يعقده مع روسيا لكنه فشل واستولى الروس على بعض المواقع، وكان معجبا بالأنظمة العسكرية الحديثة فقرر إلغاء نظام الإنكشارية وبدأ بتنظيم جديد على الطريقة الأوربية، واتسم عصره بالفظائع الاجتماعية كالرشوة فى مؤسسات الدولة، إلى جانب التمردات التى عرفت بإسم "تمردات المورة"، وفى نفس الوقت قامت جيوش محمد على والى مصر بضم سوريا ووصلت جيوشه إلى قونية من أعمال الأناضول (٢) .

ثم تولى بعده عبد المجيد الأول الذى ولد عام ١٨٢٢م وقد كان الصراع دائرا بين روسيا من جهة وإنجلترا وفرنسا من جهة أخرى من أجل الحصول على حق الحماية

(١) جمال عبد الهادى، مرجع سابق ، ص ٧٠- ٨٥.

(٢) محمود شاكر ، مرجع سابق ، ص ١٧١.

للدول والامتيازات والمعاهدات، وقد كان متساهلاً مع الدول الأوروبية وأصدرت الدولة في عهده بيانها المشهور "بإعلان التنظيمات" الذي يؤكد أن الدولة قد اتجهت إلى الغرب. والغريب أن فكرة التنظيمات هدفت إلى تنظيم الجيش ونظم الإدارة والحكم في الدولة العثمانية على أسس غربية والخروج من التنظيم الإسلامي للدولة والمجتمع، وتوجيه المجتمع نحو التشكيل العلماني ومركزية السلطة في القسطنطينية والولايات، وهو إصلاح شكلي عني بالمظهر دون الجوهر^(١).

٥ - ما قبل حركة الجامعة الإسلامية :

كلمة التنظيمات كلمة عربية دخلت اللغة التركية بمعنى "حركة التنظيم والإصلاح على المنهج الأوربي الغربي"، وتعني في المصطلح التاريخي حركة الإصلاح التي حدثت في الدولة العثمانية في القرن ١٩م على غرار المؤسسات والتنظيمات الأوروبية. وقد عرفها البعض بأنها عهد التغيير الثقافي الإجباري في بلاد العثمانيين، وقد بدأ عهد التنظيمات بصور فرمان سلطاني في عهد السلطان عبد المجيد الأول باسم فرمان التنظيمات الخيرية ١٨٣٩م وكان "مصطفى رشيد باشا" هو المسئول عن السياسة الإصلاحية على الأسس الغربية، وانتهى هذا العهد عام ١٨٧٦م بتولي السلطان عبد الحميد الثاني حكم البلاد. وقد كانت الدولة العثمانية تبحث عن خلاصها في الاقتباس من الغرب كغذاء ثقافي لها، وكان الحل المقترح المقدم إليها من النخبة المثقفة ثقافة غربية يتركز في تحديث جهاز الدولة، وتغريب المجتمع وعلمنة القانون والتعليم^(٢). وقد مهدت حركة التنظيمات هذه لإقامة حكم دستوري على النمط الغربي في البلاد، وتشمل نواحي الحياة الثقافية والحضارية على حساب الحضارة الإسلامية في الدولة العثمانية، وقد كان الحكم العثماني قبل صدور التنظيمات يستند إلى ثلاث دعائم رئيسية هي :

١ - السلطنة

٢ - الخلافة

٣ - مشيخة الإسلام^(٣).

(١) محمد الخير عبد القادر، نكبة الأمة العربية بسقوط الخلافة العثمانية، مكتبة وهبه، القاهرة، ١٩٨٥م، ص ٧٣ - ٧٤.

(٢) روبير مائتران، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة بشير السباعي، دار الفكر للدراسات، القاهرة، باريس، ١٩٨٩م، ج ٢، ص ٦٣.

(٣) محمد حرب، السلطان عبد الحميد آخر السلاطين العثمانيين الكبار، دار القلم، دمشق، ١٩٩٠م، ص ٢٩.

وكان الوزراء ياتمرون بأوامر السلطان ويساعد ديوان الوزراء السلطان فى إدارة أمور الدولة وتقوم مشيخة الإسلام بتقديم الشورى للسلطان. وقد انتهى " فرمان التنظيمات الخيرية " عام ١٨٧٦م فى عهد السلطان عبد الحميد الثانى وهى السنة التى أعلنت فيها الدولة العثمانية ما عرف باسم " المشروطة الأولى " أى إعلان دستور فى البلاد لأول مرة على النمط الأوروبى^(١) .

وقد أدى صدور هذه التنظيمات إلى حدوث تغييرات شملت مجالات الحياة المختلفة ؛ حيث أنشئت المحاكم المختلطة التى تقبل الشهادة من المسلمين والمسيحيين، وأصبحت المحاكم المتصلة بالمسائل التجارية والجنائية تأخذ عن القوانين الغربية خاصة القانون الفرنسى وبقيت القوانين الشرعية المتصلة بالأحوال الشخصية كما هى. كما أدت هذه التنظيمات إلى إقامة نظام تعليمى يشمل جميع مراحل التعليم ، حيث قسمت المدارس إلى مدارس عمومية وخصوصية، وجعل التعليم العام فى المدارس الأولية إجبارياً ومجانياً دون تفرقة بين الذكور والإناث أو تمييز بين المسلمين وغيرهم كما أنشئت مدارس خاصة للبنات والفقراء، وأنشئت عام ١٨٥٩م مدرسة جديدة لتغريب الإداريين ، وانفصلت مدارس الحكومة عن إشراف العلماء ووضعت تحت إشراف وزارة المعارف ذات الصبغة العلمانية ولعب المسرح دوره فى نشر الأفكار الجديدة، كما نشطت ترجمة الكتب الغربية واتجه الإداريون فى عهد السلطان " محمود الثانى " إلى التغريب، وقد تغير اسم الصدارة العظمى إلى " باش وكالت " أى رئاسة الوزراء تقليداً للنظام الأوروبى^(٢) .

ثم تولى بعده عبدالعزيز أخو عبدالمجيد الذى حاول إظهار الميل نحو روسيا، وقد اشتد سخط العثمانيين على ممارسات السلطان فى هذه الفترة وقامت فى عهده ثورة فى جزيرة كريت وفتحت قناة السويس وصدرت مجلة الأحكام العدلية وقانونى التجارة البحرية، وفى عهده كانت الدولة تعيش فترة اضطراب حيث كان وزيره " رشيد باشا " يشغل منصب صدراً أعظم فى البلاد، وكان ماسولياً يتجه بالبلاد نحو الغرب، وهو الذى أصدر فرمان التنظيمات فى عهد عبد المجيد، وكون حوله نخبة من المثقفين العثمانيين ذوى الميول الغربية فحاولوا نقل السلطة إلى الصدر الأعظم لكن السلطان عبد العزيز تضايق منهم فقتلوه وأشاعوا أنه انتحر^(٣) .

Yilmaz Uztuna , a.g.e., c.7, s. 209.

(١)

(٢) يعد كتاب انكه لهار د " تركيا وتنظيمات دولت عليه نك تاريخ اصلاحاتى " ١٨٢٦م - ١٨٨٢م والذى ترجمه على رشاد إلى اللغة العثمانية أهم كتاب فى مسألة التنظيمات العثمانية، وكان المؤلف ينقد العثمانيين بقوله : إن التنظيمات لن تستطيع أن تنفذ إلى روح العثمانيين، فرغم عهد التنظيمات إلا أنهم احتفظوا بالإسلام وعملوا بالقرآن قانوناً لهم. انظر المرجع المذكور ص ٧ مقدمة المؤلف.

(٣) محمود شاكر ، مرجع سابق، ص ١٨٢.

وتولى بعده ابن أخيه عبدالمجيد وهو مراد الخامس الذى عزل بعد ثلاثة أشهر من حكمه، وقد كان مهتما بالشئون الأوربية ويهوى الموسيقى الغربية، وانخرط فى سلك الماسونية وكان يميل إلى الليبرالية والعلمانية، وحينئذ رأى الوزراء ضرورة خلعه^(١) وأشيع أن سبب العزل هو اختلال عقل مراد الخامس، بالإضافة إلى أنه كان صديقا لولى عهد إنجلترا وعن طريقه انتظم فى سلك الماسونية، وقد كان من المؤيدين لجماعة تركيا الفتاة^(٢).

٦- السلطان عبد الحميد والجامعة الإسلامية :

جاء السلطان عبدالحميد الثانى الذى ولد عام ١٨٤٢م وهو ابن السلطان عبد المجيد وقد تولى الحكم بعد أخيه مراد الخامس عام ١٨٧٦م. كان ذو شخصية قوية، متدينا وسط جو أوربى، عفيفا، يمنع تدخل نساء القصر فى السياسة، وقد حكم البلاد حكما فرديا مدة ثلاثين عاما حتى ثار الجيش عليه واتهمه بالاستبداد لكنه كان رحيمًا مع معارضيه.

حينما تولى الحكم كانت أطماع الدول الغربية فى الدولة العثمانية قد بلغت ذروتها ومن ناحية أخرى كانت الفتن الداخلية والمشاكل تقوض أركان الدولة، فكانت المشاكل الداخلية هى :

١ - زيادة نفوذ الباب العالى والصدور العظام حيث حاولوا السيطرة على منصب " الخليفة " .

٢ - خطر جماعة تركيا الفتاة التى رأت أن إنقاذ الدولة لا يتأتى إلا عن طريق نظام برلمانى بالمفهوم الأوروبى، وكان السلطان عبد الحميد واقفا لهم بالمرصاد .

أما من ناحية المشاكل الخارجية فكانت للدولة تواجه تمرد فى الصرب والجبل الأسود "Karadag" من ناحية، ووضع جزيرة كريت "Girit" المضطرب من ناحية أخرى، هذا إلى جانب الديون التى كانت تغرق فيها الدولة ووصلت إلى مبالغ طائلة، كانت إنجلترا وفرنسا فى مقدمة الدائنين وقد نجح السلطان عبدالحميد فى حل مسألة الديون، فواجهت الدولة العثمانية فى هذه الفترة مشكلة هجرة مليون مسلم عثمانى من بلغاريا إلى إستانبول وقد رافقتهم مشكلة الإسكان والمعيشة^(٣).

(١) Sehbender Zade Filibeli Ahmed Hilmi ve Ziya Nur, Islam Tarihi, Otuken Nesriyat Istanbul 1982, s. 765.

(٢) Sehbender Zade, a.g.c., s. 766.

(٣) Sehbender Zade, a.g.c., s. 770.

وفى ظل العلاقات الخارجية لم تعترف الدولة العثمانية بالاحتلال الفرنسي لتونس ، وظل عبدالحميد يعتبر تونس قطعة من الدولة العثمانية. وفى عهده أعلنت روسيا الحرب على العثمانيين ، وقد تصدى عبدالحميد - دبلوماسيا - لاندلجرا فى احتلالها لمصر، وكان الشعب المصرى يهتف بحياة عبدالحميد وسقوط الاحتلال الانجليزى له حيث أبلغ السلطان عبدالحميد رفضه للضغط البريطانى . وعلى صعيد آخر كانت فلسطين جزءا من الدولة العثمانية وكان اليهود بصدد إقامة وطن لهم فيها ، فقام السلطان عبدالحميد عام ١٨٩٠م بإعلان عدم قبول الصهاينة فى الأراضى العثمانية وإعادتهم إلى الأماكن التى جاءوا منها^(١) وكان يقول : "لست مستعدا لأن أتحمّل فى التاريخ وصمة بيع بيت المقدس لليهود وخيانة الأمانة التى كلفنى المسلمون بحمايتها". وفى نفس الوقت فقد كان عليه إيجاد الحل لأطماع الدول الغربية فى الدولة، وكان عليه مواجهة نفوذ الباب العالى بصدوره العظام ، إلى جانب الترصّد لمنع أصحاب حركة تركيا الفتاة الذين كانوا يؤمنون بالغرب ويعملون على دفع عجلة الدولة نحو أوربا ويحاولون الهيمنة على الحكم^(٢) وذلك إلى جانب تشديد الرقابة على الصحف التى كانت تصدر فى تركيا ، وذلك تجنباً لخطرها بما تبثه من أفكار غريبة وما تحكيه من حضارة المجتمع الأوربى ، فكان تشديد الرقابة كى يمنع عن مجتمعه التأثير بأوضاع المجتمعات الأوربية^(٣) وكانت مهمة صعبة لكثرة الصحف وكثرة الطوائف وتعدد المنظمات العلنية والسرية .

كان السلطان عبد الحميد يعمل بالإسلام على توحيد العناصر المتعددة فى الدولة من ترك وعرب وأكراد وغيرهم فى جبهة واحدة يمكنها الصمود أمام الغرب، وكان يرى ضرورة العمل على تدعيم أواصر الأخوة الإسلامية بين كل مسلمى العالم، وكان يقول : " إن الدول الكبرى ترتعد من سلاح الخلافة، ولا أمل فى المستقبل إلا بوحدة العالم الإسلامى"^(٤) .

وكان تشديد الرقابة على الصحافة والحريات السياسية فى عهده سبباً لمعاداة الضباط وطلبة العلوم العليا له خاصة طلبة الطببة العسكرية^(٥) .

(١) محمد حرب، العثمانيون، مرجع سابق، ص ٢٨ - ٣٩.

(٢) Sehbender Zade, a.g.e., s. 771 - 772.

(٣) عقيل النشمى، مرجع سابق، ص ٤٤.

(٤) السلطان عبد الحميد، مذكرات ، ترجمة وتقديم وتحقيق وتعليق محمد حرب عبد الحميد، دار الوثائق ، الكويت ، بدون تاريخ، ص ٧.

(٥) محمد حرب، العثمانيون، مرجع سابق، ص ٣٢.

وكان السلطان عبد الحميد يؤكد قوله : " إن الإسلام هو القوة الوحيدة التي تجعلنا أقوياء ، ونحن أمة حية قوية من البدهي أننا فى حاجة إلى الإيمان الصادق الخالص بعظمة الله " .

كان عبد الحميد يحيط نفسه بالفقهاء ورجال الدين، ويقوم بتوزيع الصدقات ونشر الوعظ والإرشاد ، إلى جانب إنشائه معهداً دينياً لتخريج دعاة ، وقد ظفر بتأييد ومؤازرة شريف مكة، وكان دائماً يقوم بتأكيد صفته خليفة للمسلمين وحفزه للتضامن الإسلامى. وقد سعى بالإسلام إلى توحيد عناصر الدولة بقصد توفير جبهة للصمود فى وجه الغرب وسعى إلى تكتيل كل مسلمى العالم وخاصة فى الصين والهند وأواسط آسيا، كما عقد مع الملوك الأمراء مراسلات وعقود عمق بها روابط الصداقة بين الدولة العثمانية وكل بلاد العالم أيضاً. كما كان يرى أن استعادة عظمة العالم الإسلامى تستلزم اتحاد المسلمين وعودتهم إلى تعاليم دينهم مع اقتباس التقدم العلمى والتكنولوجى من الغرب، وبهذا جاءت فكرة عبد الحميد بقيام الجامعة الإسلامية لإحياء لقب الخلافة الذى لم يهتم به أسلافه، فأرسى دعائم اهتمام الدولة بمظاهر التدين وبناء المساجد فى المدن العربية وبناء المدارس الإسلامية، وزيادة رواتب العلماء، وتشجيع الاحتفال بالمناسبات الإسلامية، وإضافة دروس عن الإسلام واللغة العربية فى مناهج المدارس، وتشجيع اللغة العربية باعتبارها من أسس الثقافة والإدارة، وتعيين موظفين متدينين فى الدولة العثمانية. وفى هذا الوقت قام علماء الدولة العثمانية بتأييد فكرة الجامعة الإسلامية منهم الشيخ عاطف الاسكلىبى - الشيخ سعيد النورسى - الشيخ أبو الهدى الصيادى - الشيخ عبد الرحمن الكواكبي - السيد محمد رشيد رضا - عبد القادر المغربى - الأمير شكيب أرسلان - محمد عبده - مصطفى كامل - محمد فريد^(١) .

وقد قام السلطان عبد الحميد باستقدام زعماء إسلاميين من شتى أنحاء العالم إلى الأستانة ، وقام بتشجيع وتيسير سبل الحج إلى مكة، كما أسس مدرسة للدعاة لإرسالهم لكل أطراف العالم الإسلامى؛ حيث شمل الهند والصين وجزر المحيط ومصر وأفريقيا وتركستان وأفغانستان وبلاد العرب وأطراف المملكة العثمانية^(٢) .

كما قام ببناء خط سكة حديد الحجاز بين "دمشق" و"المدينة" دون الاستعانة برأس مال أوروبى، وكان أول خط سكة حديد يبنيه مهندسون مسلمون عثمانيون، وقد اتخذ من هذا الخط وسيلة لتنفيذ فكرة الجامعة الإسلامية . وقد كان التفكير فى رسم شبكة حديدية

(١) محمد حرب، الدولة العثمانية، مرجع سابق، ص ٧٥.

(٢) أنور الجندى، السلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامية، دار ابن زيدون، بيروت، دار الكتب السلفية، القاهرة، ١٤٠٧ هـ، ص ٨٠.

خطوة جريئة تدل على حسن تخطيط، فهي تفتح طرقاً جديدة بين مختلف الولايات الإسلامية، فتحقق بذلك أهدافاً اقتصادية هذا إلى جانب النظر الاستراتيجية العسكرية^(١).

كما أنشأ دار العلوم السياسية الجامعة بكل فروعها، ودور المعلمين والمعلمات، ومدارس اللغات، ومدرسة الفنون النسوية، وافتتح متحف الآثار الشرقية، والمتحف العسكرى، وقلعة بايزيد، ومدرسة الطب. وفي مجال الإصلاحات العسكرية، استقدم الخبراء الألمان لتدريب الجيش كما أرسل بعثات عسكرية للخارج.

وقد كان يبذل مبالغ طائلة في زخرفة المساجد، وكانت له جهوده في إصلاح الكعبة المشرفة، وعمل على تدعيم مؤسسة التصوف وإعلاء شأن مشايخ الطرق الصوفية^(٢).

وقد أكد كثير من المؤرخين والباحثين أن السلطان عبدالحميد كان آخر الحصون التي دافع بها الإسلام عن وجوده العالمي، ومن هنا كان الهجوم على السلطان عبدالحميد^(٣). ولم تتوقف حركة عبدالحميد في المجال الفكري فقط بل تعدى إلى الجانب العسكرى فقام بتقوية الجيوش وإستقدام بعثة المانية، كما أنشأ معاهد عسكرية دخلها عدد كبير من شباب العرب من العراق وسوريا ومصر، واشتد الترابط وقويت وحدة الفكر الجماعي الذي يقف في وجه الأعداء^(٤).

٧- ظهور الاتحاد والترقي وهزيمة الدولة العثمانية :

ظهرت الجمعيات التي فتنت بأوروبا وبدأت تهاجم عبد الحميد، ومن أشهر تلك الجمعيات كانت جمعية "تركيا الفتاة" التي تأسست في باريس وكانوا يدعون لتقليد الغرب^(٥).

كما ظهر مجموعة من الضباط كونوا جناحاً عسكرياً عرف باسم "الاتحاد والترقي"، وكان أعضاؤه يعيدون عن معرفة الإسلام واتهموا العثمانيين بالحكم المطلق،

(١) من أفضل الدراسات التي ظهرت عن سكة حديد الحجاز تلك التي قام بها الدكتور السيد محمد الدقن بعنوان سكة حديد حجاز الحديدية دراسة وثائقية، القاهرة، ١٩٨٥م، نظراً إلى أهمية هذه السكة الحديد في تدعيم الجامعة الإسلامية: السيد محمد الدقن، المرجع المذكور، صفحات ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٩، ٢٩٠ وانظر في هذا أيضاً محمد حرب، الدولة العثمانية، مرجع سابق، ص ٧٧.

(٢) أحمد عبد الرحيم، مرجع سابق، ص ٢٤٠ - ٣٠٠.

(٣) أنور الجندى، مرجع سابق، ص ٨٥.

(٤) نفس المرجع، ص ٨٠.

(٥) محمود شاكر، مرجع سابق، ص ١٨٣.

كما عارضوا أن يكون القرآن الكريم هو دستور الأمة ودعوا إلى أن يكون دستورها وضعياً ، كما أكثروا من الافتراء على السلطان عبدالحميد. وأطلقوا حوله الكثير من الإشاعات^(١). وذلك عن طريق صحفهم وبخاصة صحيفتي " مشورت " و " الميزان " حيث ألصقت به أبشع الصفات^(٢).

وقام بعض المتقفين بنشر أفكار الجامعة التركية، وأصبح نمو الروح القومية يستشري بينهم حتى أنهم جعلوا كلمة " تركى " تستعمل بدلا من كلمة " عثمانى ".

كما أخذت حركة "تركيا الفتاة" فى الانتشار فى القاهرة وجنيف حتى انتشرت موجات تمرد ضد الدولة^(٣).

واستمر الاتحاديون فى هجومهم على الحكم حتى أنهم طالبوا تدخل الدول الأوربية لإنهاء حكم عبد الحميد^(٤) ثم قرروا تحية السلطان عبدالحميد ونفيه إلى سالونيك^(٥).

وبعبر عن هذا السلطان عبد الحميد بقوله : " لقد اتفقوا على خلعى وأبلغونى أنهم سيبعدونى إلى سلانيك ، فقبلت بهذا التكليف الأخير ، وحمدت المولى وأحمدته أننى لم أقبل بأن الطخ الدولة العثمانية والعالم الإسلامى بهذا العار الأبدى الناشئ عن تكليفهم بإقامة دولة يهودية فى الأرض المقدسة فلسطين "^(٦).

وبعد خلع السلطان عبدالحميد أصبح كل شئ بيد الاتحاديين ، وكان السلطان الخليفة معهم مجرد شكل لا غير، ولم يتعاقب على الخلافة بعد ذلك سوى ثلاثة خلفاء. ثم اشتركت الدولة فى الحرب العالمية الأولى وهزمت وتجزأت .

أما الخلفاء الذين تعاقبوا أيام حكم الاتحاديين فهم :

١- محمد رشاد (محمد الخامس) وقد تولى الحكم عام ١٩١٠م وهو أخو السلطان عبدالحميد الثانى، وكان عمره ثمانى وستين سنة حين تولى الحكم. وفى ذلك

(١) نفس المرجع، ص ١٨٥.

(٢) أورخان محمد على ، السلطان عبد الحميد الثانى، دار الوثائق ، الكويت، ١٩٨٦م، ص ٢٧٤ .

(٣) محمود شاكر، المرجع السابق، ص ١٩٠.

(٤) محمد حرب ، الدولة العثمانية، مرجع سابق، ص ٧٥.

(٥) أحمد عبد الرحيم مصطفى، مرجع سابق، ص ٢٧٣، وسلانيك هى ميناء فى اليونان الآن، دخل حوزة العثمانيين فى عهد السلطان مراد الأول ، وأصل شعب هذه المدينة يهود أسبان . ثم تكاثرت عليها الدولة العثمانية إلى اليونان عام ١٩١٣م، وقد ولد فى هذه المدينة مصطفى كمال أتاتورك. Meydan Larouse. Ansiklopedisi, Selanik Mad. , C. 11, Istanbul, 1973, S. 135.

(٦) جمال عبد الستار محمد، الخلافة الإسلامية والحركات المعادية لها فى العصر الحديث، رسالة ماجستير ، جامعة الأزهر، كلية أصول الدين، القاهرة، ١٩٩٦م، ص ١١٩.

الوقت كان الاتحاديون يختلفون فيما بينهم وتتباين آراؤهم وذلك نتيجة لاندلاع الحرب العالمية الأولى واشتراك الدولة فيها .

٢- محمد وحيد الدين وهو أخو رشاد الذى استسلمت الدولة فى عهده وقتذاك . وقد حاول السلطان وحيد الدين أن ينقذ الدولة بعد هزيمتها وسيطرة الحلفاء على إستانبول واحتلال اليونان للأقسام الغربية ووقوع البلاد العربية تحت الاحتلال ، فوضع ثقته فى مصطفى كمال الذى كان يتولى قيادة القوات التركية التى تحمى الدردنيل ، فهو الذى أنقذ البلاد من وقوعها تحت الاحتلال البريطانى. وما لبث أن تم إجبار وحيد الدين على التنازل عن السلطنة والخلافة عام ١٣٤١هـ = ١٩٢٢م . ، وقد كان خليفة فقط بعد إلغاء السلطنة^(١) .

ومنذ ذلك الحين بدأت مرحلة جديدة فى حياة العثمانيين، ألا وهى مرحلة ظهور الحركة النضالية التى تزعمها مصطفى كمال الذى عُرف فيما بعد باسم أتاتورك ، حيث قاد فيها الدولة إلى طور جديد .

* * *

(١) أحمد حامد ومصطفى محسن، مرجع سابق، ص ٦٦١.

الفصل الثانى

مكانة اللغة العربية فى الدولة العثمانية

- ١- مراتب النخبة الرئيسية فى الدولة العثمانية .
- ٢- مناهج التعليم فى الدولة العثمانية .
- ٣- علماء الدولة العثمانية : ينابيع مدارس الإمام سليمان حلى .
- ٤- أنواع المدارس فى الدولة العثمانية .

اللغة العربية فى الدولة العثمانية

١ - مراتب النخبة الرئيسية فى الدولة العثمانية :

بلغ من اهتمام العثمانيين بالعلم أن جعلوا العلماء فى مقدمة الهيئات الثلاث الرئيسية فى الدولة وهى:

الأولى: العلمية: نسبة إلى العلم ويقصد بها فئة العلماء. وكان يقودها شيخ الإسلام.

الثانية: السيفية: ويقصد بها الجيش والأمور العسكرية وما يتعلق بها، نسبة إلى السيف.

الثالثة: القلمية: ويقصد بها القائمون على تسيير أمور الدولة فى مختلف الدوائر الحكومية^(١).

ويرجع اهتمام العثمانيين باللغة العربية والعلوم الإسلامية إلى عهد عثمان مؤسس الدولة العثمانية الذى أحاط نفسه بالعلماء والمشايخ الذين يحفظون القرآن الكريم . وقد كان أسلوب التعليم يتم على شكل حلقات فى المساجد ، وكانت المدارس الدينية تغذى مساجد القرى والمدن والزوايا بالأئمة والخطباء والوعاظ والحفاظ والمرشدين والمشايخ . وكان هذا النوع من المدارس كثير، حتى إن ولاية قونية كان بها ٦٦ مدرسة تضم ٣٦٦٦ طالباً وكان ذلك عام (١٣١٧هـ)^(٢) .

وكانت اللغة العربية تستخدم فى الكتابات المدونة على جدران المنازل والمساجد والمقابر، وكانت المصنفات الخاصة بالشرعية الإسلامية وعلوم الدين تدون بالعربية، كما كانوا يستخدمون بحور الشعر العربى .

وعندما فتح العثمانيون مدينة " إزميد " عام ١٣٢٧م فى عهد السلطان أورخان بن عثمان ، فتحت أول مدرسة هناك حيث كان يدرس فيها كتاب تفسير "الكشاف للزمخشري" وكتاب " أنوار التنزيل وأسرار التأويل " . وفى مادة الحديث النبوى كانت تدرس كتب الصحاح " الجامع الصحيح للبخارى " و " الجامع الصحيح لمسلم " و"الجامع

(١) سليم نزهت، تاريخ الطباعة فى تركيا، ترجمة سهيل صابان، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٩٩٣م، ص ٢/٤١.

(٢) رسالة المعارف فى عشرين سنة ١٩٢٢ - ١٩٤٤ لوزارة المعارف، نقلا عن محمد عزة دروزة ، مطبعة الكشاف، بيروت، ١٩٤٦م، ص ١/٧٢.

الصحيح للترمذى "و" سنن ابن ماجة "و" سنن أبى داود "و" السنن الكبرى للنسائى "و" مصابيح السنة للفراء البغوى^(١). وكان أول مدرس بها هو "داود القيصرى"^(٢) وكانت المدارس التى تعلم العلوم الشرعية والآداب الشرقية نحو ١٧١ مدرسة أشهرها مدرسة "أيا صوفيا" وكان يدرس بها ١٥٠ طالبا، ومدرسة "السلطان أحمد" وكان بها ٢٠٠ طالب، و"السليمانية" وفيها كان يدرس ٦٥٠ طالبا، و"المحمدية" كان يدرس فيها ٩٠٠ طالب، وكان مجموع طلبة هذه المدارس نحو سبعة آلاف طالب^(٣).

وإذا كانت النخبة العثمانية مكونة من هيئات ثلاث على تقسيم الدولة نفسه؛ فإن طبقات الشعب كانت تقسم اصطلاحاً إلى ثلاث:

١- أهل الصناعة والتجارة والزراعة ومن يتبعهم .

٢- الساسة ومن يعملون بالدولة .

٣- طبقة العلماء من أهل الإرشاد والتربية^(٤) .

الطبقة الأولى : هم الذين يتعلمون المرحلة الأولى من التعليم فيتعلمون مبادئ القراءة والكتابة والحساب ، ولا يهم الدولة من هؤلاء سوى طاعتها ، وكانت كتب تعليمهم كالآتى :

١- كتاب مختصر فى العقائد الإسلامية ، ويشرح هذا الكتاب الخلاف الذى يبين المسلمين والنصارى مع دفع ما يرد من وساوس دعاة الإنجيل .

٢- كتاب مختصر فى الحلال والحرام ، يبين الأخلاق الخبيثة والصفات الطيبة .

٣- كتاب فى التاريخ مختصر يحوى سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرة أصحابه .

وتسمى هذه المرحلة مرحلة التعليم الدينى الابتدائى لطبقة العامة المسلمين .

الطبقة الثانية : وتشمل هذه المرحلة تعليم أبناء المسلمين الذين ينتظمون فى المدارس السلطانية ، والشرعية ، والملكية والعسكرية والطبية . وتشارك هذه الطبقة الطبقة السابقة لها فى التعليم مع زيادة كتب أخرى، وهى كالتالى :

(١) محمد حرب ، العثمانيون ، مرجع سابق، ص ٣١٥ .

(٢) محمد حرب ، مكانة اللغة العربية فى الدولة العثمانية ، مقال فى الهلال ، يوليو ، ١٩٨٨م ، ص ١١٤، ١١٥ .

(٣) شكيب أرسلان ، ١٩٧٣م، مرجع سابق، ص ٢٣٠ .

(٤) المنار ، لوائح الإصلاح والتعليم الدينى ، ج ١٢ ، م ٩ ، ص ٨٩٥ .

- ١- كتاب فى فن المنطق ، وأصول النظر وآداب الجدل .
- ٢- كتاب فى العقائد يوضح البرهان العقلى والدليل القطعى، كما يتطرق إلى إظهار عقائد النصارى مع تفصيل عن فوائد العقائد الإسلامية والسعادة الأخروية .
- ٣- كتاب يوضح الحلال والحرام والفضائل والردائل .
- ٤- كتاب تاريخ دينى يتحدث عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وعن الفتوحات الإسلامية .
- ويسمى تعليم هذه الطبقة التعليم الدينى الوسط للطبقة المرشحة للوظائف .
- الطبقة الثالثة: وتشمل تعليم المسلمين الذين درسوا المرحلتين السابقتين ونبغوا فيهما ، فيزاد على الكتب السابقة كتب كثيرة أخرى بهدف الاستزادة من علومهم ، ومن هذه الكتب: (١)
- ١- فن تفسير القرآن، وهو سهل لمن كان عارفاً باللغة العربية.
- ٢- فنون اللغة العربية من نحو وصرف وتاريخ ، وذلك ليتمكن من فهم القرآن والحديث .
- ٣- فن الحديث .
- ٤- فن الأخلاق والآداب الدينية على غرار الإمام الغزالى فى إحياء علوم الدين .
- ٥- كتاب فى أصول الفقه وفهم الأحكام ، ومن الكتب المؤثرة فى هذا الموضوع كتاب الموافقات للشيخ الشاطبى .
- ٦- فن التاريخ القديم والحديث ، ويدخل فى هذا سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وسير أصحابه وتاريخ الممالك الإسلامية وتاريخ الدولة العثمانية .
- ٧- فن الخطابة والإقناع والجدل والأخذ بمكارم الأخلاق والفضائل .
- ٨- فن الكلام والنظر فى العقائد وإختلاف المذاهب .
- ومدرسى هذه الطبقة يختارون من أى مكان فى الأرض، ويكونون من أقوى الناس إدراكاً وأزكاهاً أخلاقاً .

(١) انظر المنار ، مرجع سابق ، صفحات ٨٩٦ - ٩٠٢ .

٢- مناهج التعليم فى الدولة العثمانية :

فى اللغة العربية :

كانت اللغة العربية تدرس كمادة أصلية على قسمين :^(١)

الصرف :

ويدرس فيه الطالب الكتب الآتية :

- ١ - أساس التصريف لشمس الدين الفنارى .
- ٢ - الشافية لابن الحاجب .
- ٣ - العزى للشيخ عز الدين أبو الفضائل الزنجانى .
- ٤ - المقصود وينسب إلى أبى حنيفة النعمان .
- ٥ - مراح الأرواح لأحمد بن على بن مسعود .

النحو :

ويدرس فيه الطالب الكتب الآتية :

- ١ - ألفية ابن مالك .
- ٢ - العوامل للشيخ عبد القادر الجرجانى .
- ٣ - الكافية فى النحو لابن الحاجب .
- ٤ - شذور الذهب لابن هشام .
- ٥ - قطر الندى لابن هشام .
- ٦ - مغنى اللبيب .
- ٧ - كتاب الإعراب عن عقائد الإعراب .
- ٨ - المصباح للترمذى .

وفى مادة الفقه :

كانت المدارس العثمانية تدرس الكتب الآتية :

- ١ - كتاب الهداية لشيخ الإسلام برهان الدين على بن بكر المرغناني .

(١) محمد حرب ، مكانة اللغة العربية ، مرجع سابق ، ص ١١٥ .

- ٢ - كتاب الوقاية لبرهان الشريعة .
- ٣ - العناية فى شرح الوقاية لعلاء الدين على بن عمر الأسود .
- ٤ - مختصر القدورى لأحمد بن محمد القدورى البغدادي .
- ٥ - كتاب الفرائض لسراج الدين محمد السجاوند ويعرف الكتاب بأسم " فرائض السراجية " .

- ٦ - كتاب التلويح للتفتازانى .
- ٧ - منار الأنوار للنسفى .
- ٨ - المغنى لجلال الدين عمر .
- ٩ - مختصر ابن الحاجب .

وفى العقائد

- ١ - كتاب القاضى للأيجى .
- ٢ - كتاب النسفى .
- ٣ - كتاب الطحاوى .

وفى علم الكلام :

- ١ - تجريد الكلام للطوسى .
- ٢ - طوابع الأنوار للبيضاوى .
- ٣ - المواقف للايجى .

وفى علم البلاغة :

- ١ - كتاب الايساغوجى .
- ٢ - كتاب الشمسية .

- ٣ - الغزاة فى المنطق للشرىف نور الدين محمد بن السيد الشرىف الجرجانى^(١) .

وعندما اعتنق الأتراك الإسلام اتخذوا الحروف العربية التى كتب بها القرآن الكريم حروفاً للغتهم التركية وتركوا الحروف السابقة على الإسلام، وأصبحت اللغة التركية تكتب بالحروف العربية. وقد كان السلطان عبد الحميد الثانى منذ توليه الحكم يرى

(١) نقلا عن محمد حرب ، العثمانيون ، مرجع سابق ، ص ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ . وثأتى أهمية هذه الداول فى أنها. تلقى الضوء على المنابع التى استقت منها مدارس الإمام سليمان حلمى موضوع دراستنا منهاجها ومقرراتها .

ضرورة اتخاذ اللغة العربية لغة رسمية للدولة العثمانية ويقول في هذا الصدد : (اللغة العربية لغة جميلة ليتنا كنا اتخذناها لغة رسمية للدولة من قبل، لقد اقترحت على خير الدين باشا التونسي - عندما كان صدرا أعظم - أن تكون اللغة العربية هي اللغة الرسمية ، لكن سعيد باشا كبير أمناء القصر اعترض على اقتراحى هذا وقال : " إذا عربنا الدولة فلن يبقى للعنصر التركى شئ بعد ذلك. كان سعيد باشا رجلاً فارغاً وكلامه فارغاً، ما دخل هذه المسألة بالعنصر التركى ؟ إن اتخذنا اللغة العربية لغة رسمية للدولة من شأنه - على الأقل - أن يزيد ارتباطنا بالعرب "(١) .

وقد ظن البعض أن قوة الدولة العثمانية كانت تتركز فى قوتها العسكرية والحربية، واستندوا لهذا الاعتقاد من حجم الفتوحات التى تمت فى عهدها وتوسعها شرقاً وغرباً، إلا أننا لا يفوتنا أن نذكر أن الدولة العثمانية كان لها مجدها وإنجازاتها الفكرية والحضارية التى تمثلت فى علمائها الذين عاصروا السلاطين العثمانيين ولازموهم، فكان لهم تأثيرهم وفصلهم الثقافى والإسلامى على الدولة، مما جعلها تستمد قوتها من هؤلاء العلماء ونذكر هنا مقولة شكيب أرسلان التى يقول فيها : " لم يقتصر فضل العثمانيين على الجهاد بالسيف ، بل كان لهم من الجهاد بالقلم ما لا ينكر " وهى نفس الفكرة التى تحدث عنها عبد الرحمن عزام بجريدة الأهرام المصرية فى ١٩٤٤/١/٢٢م حيث قال : " لم يكن فوز آل عثمان كما يظن بعض الناس مستمداً من سيف وشجاعة بل ما هو أعظم من السيف والشجاعة ، احترام الحق والوفاء بالعهد والخضوع لسلطان القانون والشرع" (٢) .

٣- علماء الدولة العثمانية : ينابيع مدارس الإمام سليمان حلمى :

نعرض هنا نماذج لأهم العلماء الذين عاصروا سلاطين الدولة العثمانية وخلفائهم، والذين حظوا برعاية السلاطين لمحافظتهم على الإسلام . وهذا العرض أيضاً يظهر مدى ثقافة هؤلاء العلماء الإسلامية المكتوبة باللغة العربية ، وكيف كانت المكانة التى تحتلها اللغة العربية بينهم فى المدارس والجامعات ، ولم تنته هذه المكانة إلا مع إلغاء النظام التربوى من الدولة بصدور قانون ١٩١٣م .

ويعد هذا العرض أيضاً تمهيداً لحديثنا عن إجراءات الحركة الكمالية فى القضاء على اللغة العربية بالدولة وتحويل الدولة من الدولة العثمانية إلى تركيا العلمانية، والصراع الذى مازال يدور بين أصالة الدولة وبين علمانيتها، حتى إن المصادر اللغوية

(١) نقلاً عن محمد حرب، السلطان عبد الحميد ، مرجع سابق ، ص ١٩٩.

(٢) عبدالرحمن عزام، مقال فى صحيفة الأهرام بعنوان آخر الخلفاء ، القاهرة ، ١٩٤٤م .

العربية القديمة التي دُرست في مدارس الدولة العثمانية قد اتخذت مناهج للدراسة في مدارس الإمام سليمان حلمي، وهو النموذج الذي اتخذناه في هذه الدراسة، واستمرت حتى يومنا هذا. وننقل هنا بعض نماذج من كتاب الشقائق النعمانية^(١) للعلماء العثمانيين، حيث يبدأ من عهد السلطان عثمان الغازي حتى عهد السلطان الفاتح، فقد وصلت الحركة العلمية في اللغة العربية والعلوم الإسلامية في ذلك الوقت إلى ذروتها في الدولة العثمانية.

وقائمة العلماء التالية توضح علماء الدولة العثمانية في عهد كل سلطان على حدة وهم كالتالي :

عهد السلطان عثمان الغازي :

١ - الشيخ أده بالي : من علماء عهده، كان السلطان يرجع إليه في المسائل الشرعية ويشاوره في أمور السلطنة . كان عالماً عاملاً عابداً زاهداً يسلك مسلك الصوفية ، وكان السلطان عثمان متزوجاً من ابنته.

٢ - الشيخ طورسون فقيه : فقيه في علم الأصول والتفسير والحديث، وكان يقوم بتدريس العلوم الشرعية ، وكان مفتياً يقوم بتدبير أمور السلطنة .

٣ - المولى خطاب القراحصاري : من علماء عصره في علوم الفقه والتفسير والحديث ، وله تصنيف على منظومة الشيخ العالم عمر النسفي في الخلافات .

٤ - مخلص بابا : من مشايخ زمانه ، عاش في بلاد قرامان وحضر مع السلطان الغازي فتوحاته.

٥ - عاشق باشا : عالم ، عابد ، زاهد ، له كتاب منظوم عن أحوال السلوك^(٢) .

٦ - علوان جلبي : عالم ، عابد ، عارف بالله ، له نظم في السلوك .

٧ - شيخ حسن : كان عابداً ، زاهداً .

(١) الشقائق النعمانية : كتاب تراجم من تأليف العالم العثماني عصام الدين أبي الخير أحمد بن مصطفى المعروف بطاش كوبري زاده ، تناول هذا الكتاب أكثر من خمسمائة عالم وشيخ عاشوا في الدولة العثمانية من عهد السلطان عثمان حتى عهد السلطان سليمان القانوني ، طبع عدة مرات وصدرت منه طبعة محققة عام ١٩٨٥م وهو مكتوب باللغة العربية ، قام بتحقيق هذا الكتاب د. أحمد صبحي فرات ، والكتاب من منشورات جامعة إستانبول ، كلية الآداب ، مركز الدراسات الشرقية. يظهر هذا الكتاب تطور العلوم الإسلامية في اللغة العربية في الفترة من القرن ١٣ - ١٦م على أيدي هؤلاء العلماء الذين قاموا بالتأليف في شتى مجالات العلوم الإسلامية كالفقه والحديث والتفسير وعلم الكلام والأدب.

(٢) طاشكوبري زاده ، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ، مرجع سابق ص ٦٥، ٤ .

عصر السلطان أورخان بن عثمان :

- ١ - داوود القيصرى : من علماء زمانه ، برع فى العلوم العقلية ، وعلم التصوف شرح " فصوص الحكيم " لابن العربى ، كان مدرساً لأول مدرسة بنيت فى الدولة العثمانية فى إزنيق ، كان عالماً فى علم الأصول والتفسير والحديث .
- ٢ - تاج الدين الكردى : عالم ، فقيه ، نصبه السلطان أورخان مدرساً فى مدرسة إزنيق بعد انتقال داود القيصرى ، وكان يستفتيه السلطان فى الأمور الشرعية. وزوجه السلطان إحدى بناته.
- ٣ - علاء الدين الأسود : عالم ، فاضل ، شرح كتاب " المغنى " فى الأصول وشرح "الوقاية" وقد أعطاه السلطان مدرسة بإزنيق .
- ٤ - خليل الجندرى : أول قاض من قضاة العسكر، ثم أصبح وزيراً وأمير الأمراء ولقب "بخير الدين باشا"، كان رجلاً عاقلاً مدبراً لأمر السلطنة .
- ٥ - محسن القيصرى : عالم ، له شهرة فى الأدب وعلوم الشريعة ، كان فقيهاً وله تصانيف على مختصر الشيخ الأندلسى فى علم العروض .
- ٦ - كيكلو بابا : من مشايخ زمانه، حضر فتح بروسة مع السلطان أورخان، بنى السلطان على قبره قبة.
- ٧ - قره جه أحمد : من بلاد العجم ، له شهرة فى علوم التصوف^(١) .
- ٨ - أخى أوران : له شهرة فى علوم التصوف .
- ٩ - أبدال موسى : من المشايخ الكبار ، حضر مع السلطان أورخان فتح بروسه.
- ١٠ - أبدال مراد : حضر مع السلطان أورخان فتح بروسه .
- ١١ - دوغلو بابا : حضر مع السلطان فتح بروسه ، وكان يسقى الماء للغزاة أثناء المعركة .

عصر السلطان مراد بن أورخان :

- ١ - قاضى محمود : برع فى العلوم العربية والشرعية والتفسير والحديث ، استنضاه السلطان مراد الغازى بمدينة بروسه ، كان رجلاً عالماً ، وكان مقرباً للسلطان مراد .

(١) طاشكوبرى ، نفس المرجع ، ص ٧-١٣

- ٢ - موسى بن قاضي محمود : اشتهر بعلمه وفصائله ، برع فى العلوم الرياضية ، له تصانيف منها " أشكال التأسيس فى الهندسة " ، " وكتاب الجغمينى " .
- ٣ - الشيخ جمال الدين : كان عالماً ، فاضلاً ، ضليعاً فى العلوم العربية والشرعية والعقلية كتب حواشى على " الكشف " ، وصنف " شرح الإيضاح " فى المعانى ، وشرح " الموجز فى الطب " ، كان مدرساً فى بلاد قرمان .
- ٤ - برهان الدين أحمد : عالم فاضل ، كان أميراً على أرزنجان ، صنف حاشية على " التلويح " وسمها " الترجيح " ، كان فقيهاً .
- ٥ - الحاج بكتاش : من مشاهير المشايخ ، كان من كبار المتصوفة^(١) .
- ٦ - محمد الكشتري : من المشايخ الكبار ، من بلاد العجم ، عاش فى بروسه ، كان له شهرة فى علوم التصوف ، بنى له السلطان مراد زاوية فى (YeniSchir) .

عهد السلطان بايزيد بن السلطان مراد :

- ١ - الفنارى : كان عارفاً بالعلوم العربية وعلوم المعانى والبيان والقراءات ، وكان قاضياً فى بروسه ، له تصنيف فى أصول الفقه يسمى " فصول البدائع فى أصول الشرائع " ، له تفسير الفاتحة " ، وله عشرون قطعة منظومة ، وشرح " الرسالة الأثرية " فى الميزان ، كما شرح " الفرائض السراجية "^(٢) ، كان الفنارى مدرساً بمدينة بروسه وكان قاضياً ومفتياً .
- ٢ - ابن البزائى : عالم ، له كتاب مشهور فى الفتاوى اسمه " الفتاوى البزائية " وله كتاب فى مناقب الإمام أبى حنيفة .
- ٣ - مجد الدين الفيروز آبادى : وهو صاحب القاموس ، يقال إنه ينتسب إلى أبى بكر الصديق (رضى الله عنه) كان مقرباً للسلطان ، وله شهرة فى كل العلوم وخاصة الحديث والتفسير واللغة ، له أربعون مصنفاً ومن أهم مصنفاته " اللامع المعلم العجائب الجامع بين المحكم والعباب " وسمى " القاموس المحيط " ، له تفسير للقرآن وشرح للبخارى .

(١) طاشكوبرى ، نفس المرجع ، ص ١٤-٢١ .

(٢) يُدرّس هذا الكتاب الآن فى مدارس الإمام سليمان حلى فى مرحلة التكامل وهى المرحلة الدراسية النهائية ، ومؤلف الكتاب هو العلامة السيد الشريف الجرجانى .

- ٤ - الشيخ شهاب الدين السيواسي : عالم ، برع فى العلوم ، واشتهر فى علوم التصوف ، له تفسير للقرآن اسمه " عيون التفاسير " ورسالة اسمها " رسالة النجاة من شر الصفات ، وهى فى التصوف (١) .
- ٥ - الشيخ حسن باشا : عالم ، له شرح لكتاب " المراح " فى الصرف ، وشرح "المصباح" فى النحو .
- ٦ - صفر شاه : عالم ، له اليد الطولى فى البلاغة ، برع فى علم الأصول والفروع .
- ٧ - الشيخ محمد شاه فنارى زاده : عالم فاضل ، كان يقوم بالتدريس بالمدرسة السلطانية بمدينة بروسة ، كان ضليعا فى كل العلوم .
- ٨ - المولى يوسف بالي : عالم ، كان قاضيا فى بروسة ، قام بالتدريس فى المدرسة السلطانية .
- ٩ - قطب الدين الأرنؤقى : كان عالما ، زاهدا ، له حظ عظيم من التصوف ، برع فى جميع العلوم وخاصة العلوم الشرعية ، وصنف كتاب الصلاة .
- ١٠ - المولى بهاء الدين عمر : كان عالما ، وفقها مجتهدا ، وكان يرجع إليه فى الفتاوى .
- ١١ - المولى إبراهيم بن محمد : كان عالما ، فقيها ، يرجعون إليه فى الفتاوى .
- ١٢ - المولى نجم الدين حنقى : كان عالما ، يرجع إليه فى أمور الفتوى .
- ١٣ - الشيخ يارعلى الشيرازي : كان عالما ، متبحرا فى علوم الأصول ، والفروع والشريعة ، كان يفتى فى كافة المشاكل .
- ١٤ - الشيخ أبو الخير محمد الجزري : يكنى بأبى الخير ، ولد سنة ٧٥١هـ — بدمشق ، كان جامعاً للقرآن متفهما ، له دراية بعلم الأصول ، كان مفتيا ، أقام فى مصر ثم ذهب إلى المدينة وأقام فيها وألف كتاب " النشر فى القراءات العشر " له تصانيف فى " شرح المصابيح " وألف فى التفسير والحديث والفقه ، ومن جملة تصانيفه أيضا " كتاب الحصن الحصين فى الدعوات المأثورة عن النبى (صلى الله عليه وسلم) " (٢) .

(١) طاشكوبرى ، نفس المرجع ، ص ٢٢-٣٢

(٢) طاشكوبرى ، نفس المرجع ، ص ٣٣-٤٤

١٥- المولى عبد الواحد بن محمد : كان عالماً ، أتى من بلاد العجم ، صار مدرساً فى مدرسة كوتاهية، كان مشهوراً بالعلوم الأدبية ، بارعاً فى علوم الشريعة والتفسير والحديث .

١٦- المولى عز الدين بن ملك : كان عالماً ، ومدرساً، برع فى جميع العلوم وخاصة العلوم الشرعية .

١٧- المولى محمد بن عبد اللطيف : كان عالماً ، له شرح " للوقاية " وكتاب يسمى "روضة المتقين" .

١٨- الشيخ عبد الرحمن بن على : كان عالماً بأمر الحديث والتفسير والفقه، برع فى العلوم العربية، ومن أهم تصانيفه : " كتاب الفوائح المسكية فى الفوائح المكية"، وكتابه " شمس الآفاق فى علم الحروف والافاق " .

١٩- المولى علاء الدين الرومى : عالم ، له رسالة جمع فيها مختلف العلوم .

٢٠- الشيخ فخر الدين الرومى : كان عالماً ، زاهداً ، وكان على دراية كبيرة بالعلوم الشرعية . ألف كتاباً فى الدعوات المأثورة .

٢١- المولى أحمدى : كان عالماً، فاضلاً، أصله من كرامان، كان معلماً، وكان مقرباً للسلطان ونظم لأجله كتاب " اسكندر نامه "، وكان ينظم الأشعار.

٢٢- الشيخ بدر الدين بن قاضى سماونة : كان عالماً، متصوفاً، له تصانيف كثيرة منها : " لطائف الإشارات فى الفقه " و " عنقود الجواهر " شرح كتاب "المقصود" فى الصرف ، و "مسرة القلوب" فى التصوف.

٢٣- المولى الحاج باشا : كان عالماً، صنف " كتاب الشفاء " فى الطب وصنف مختصراً بالتركية اسمه " التسهيل "(١) .

٢٤- الشيخ حامد القيصرى : من مشايخ زمانه، من بلدة قيصرية، كان جامعاً للعلوم الظاهرية والباطنية .

٢٥- الشيخ شمس الدين البخارى : عالم، ولد ببخارى، وكان عالماً بالكتاب والسنة . مات فى بروسة سنة ٨٣٢هـ .

٢٦- الشيخ الحاج بيرام الأنقروى : كان مشغلاً بالعلوم الشرعية والعقلية، ومدرساً بمدينة أنقرة ، برع فى علوم التصوف .

(١) طاشكوبرى ، نفس المرجع ، ص ٤٤-٥٤

- ٢٧- الشيخ طابديق إمرة : اشتهر فى علوم التصوف .
- ٢٨- يونس إمرة : كان متصوفاً، له نظم مشهور بالتركية .
- ٢٩- الشيخ عبد الرحمن الأرزنجانى : كان من المتصوفة .

عهد السلطان محمد بن بايزيد خان :

- ١ - المولى برهان الدين حيدر الهروى : عالم ، له تصانيف منها : "حواشى على شرح الكشاف" ، وله شرح على " الفرائض السراجية " .
- ٢ - المولى فخر الدين العجمى : عالم كامل ، وكان مدرساً ، ومفتياً فى زمن السلطان مراد خان ، نبغ فى علوم الشريعة .
- ٣ - المولى يعقوب الأصفر القرامانى : عالم فاضل، كان مدرساً متواضعاً، أقام ببروسة ، له تصانيف فى مناسك الحج .
- ٤ - المولى قره يعقوب : عالم فاضل ، من بلاد قرامان ، برع فى العلوم العربية وعلم الأصول والمعانى^(١) .
- ٥ - بايزيد الصوفى : كان عالماً نصبه السلطان بايزيد معلماً لابنه محمد خان .
- ٦ - المولى فضل الله : عالم فاضل ، كان فقيهاً وكان قاضياً فى زمن السلطان .
- ٧ - محى الدين الكافيجى : سعى بهذا الاسم لاشتغاله بكتاب " الكافية " فى النحو ، كان إماماً فى علم الكلام وأصول الفقه والحج والصرف والإعراب والمعانى والبيان والمطلق والفلسفة. برع فى علوم الفقه والتفسير والتصوف. من أهم تصانيفه "شرح قواعد الإعراب" .
- ٨ - الشيخ عبد اللطيف المقدسى : من كبار المشايخ ، اشتغل بالعلم الشريف وعلوم التصوف ، له تصنيف " كتاب التحفة فى بيان المقامات والمراتب " .
- ٩ - الشيخ عبد الرحيم المرزفونى : اشتهر فى علوم التصوف ، له نظم بالتركية.
- ١٠ - الشيخ بير الياس الأماسى : من العلماء المشهورين ، كان موجوداً بنواحي أماسيا .

١١- الشيخ زكريا الخلوتى : كان عارفاً بالله ، دفن بأماسيا .

١٢- الشيخ عبد الرحمن جلبى : كان متصوفاً ، له نظم بالتركية ، دفن بأماسيا .

(١) طاشكويرى ، نفس المرجع ، ص ٥٥-٦٣ .

- ١٣- الشيخ شجاع الدين القراماني : كان عالماً في التصوف .
- ١٤- مظفر الدين اللارندوى : كان عارفاً بالله متصوفاً.
- ١٥- الشيخ بدر الدين الدقيق : كان عارفاً بالله.
- ١٦- الشيخ بدر الدين الأحمر : كان عارفاً بالله ، صاحبَ الشيخ الحاج بايرام^(١).
- ١٧- بابا نحاس الأنقروى : من أصحاب الشيخ الحاج بايرام ، كان عالماً فى التصوف .
- ١٨- صلاح الدين ليبولوى : من أصحاب الشيخ الحاج بايرام .
- ١٩- عمر دده البرساوى : كان عالماً متصوفاً .
- ٢٠- مصلح الدين خليفة : كان عارفاً بالله .
- ٢١- الشيخ لطف الله : كان من نسل الأمير اسفنديار ، سكن أنقرة ودفن بها .
- علماء دولة السلطان مراد خان :
- ١ - المولى يكان : من علماء عصره ، كان عالماً فى كل العلوم ، مقرباً للسلطان ، وكان قاضياً بمدينة بروسه ، وكان مدرساً فى مدارس بروسه.
- ٢ - المولى محمد بن بشير : عالم فاضل أقام فى مدينة بروسه ، سكن بمدرسة السلطان بايزيد خان .
- ٣ - المولى شرف الدين : عالم فاضل ، برع فى جميع العلوم وخاصة العلوم الشرعية .
- ٤ - المولى القريمى : عالم فاضل ، كان على صلة قوية بالسلطان ، له تصنيف فى " حواشى على التلويح " ، دفن فى القسطنطينية .
- ٥ - المولى على السمرقندى : كان عارفاً بالله ، برع فى كثير من العلوم ، صنف كتاباً فى التفسير^(٢) .
- ٦ - المولى الكورائى : عالم فقيه حنفى ، عارف بعلم الأصول ، منحه السلطان مدرسة جده السلطان مراد بمدينة بروسه ، ومدرسة جده السلطان بايزيد خان ، كان معلم السلطان محمد خان ، وكان قاضياً ببروسه ، تولى منصب الإفتاء ، له تصانيف مشهورة منها تفسير للقرآن الكريم اسمه ، " غاية الأمانى فى تفسير السبع المثانى "

(١) طاشكوبرى ، نفس المرجع ، ص ٦٤-٧٦ .

(٢) طاشكوبرى ، نفس المرجع ، ص ٧٧-٨٣ .

كان له " الكوثر الجارى على رياض البخارى " تخرج على يديه كثيرون ، برع فى علوم القرآن والتفسير والحديث، توفى عام ٨٩٣هـ فى القسطنطينية ودفن بها .

٧ - المولى مجد الدين : كان عالماً نصبه السلطان قاضياً بالعسكر .

٨ - المولى خضر بك الفنارى : عالم ، برع فى العلوم والفنون ويقال عنه " لم يكن بعده من اطلع على العلوم العربية مثله " ، أعطاه السلطان مدرسة جده فصار مدرساً فيها ، كان يشتغل بالعلم والعبادة ويهتم بتربية الطلاب ، كان قاضياً بمدينة القسطنطينية وهو أول قاض بها ، كان ينظم بالعربية والفارسية والتركية. توفى عام ٨٦٣هـ .

٩ - المولى شكر الله : عالم فاضل ، كان السلطان يوليه اهتماماً خاصاً .

١٠ - المولى ابن الخطيب : برع فى كل العلوم، أعطاه السلطان بعض المدارس منها مدرسة إزنيق .

١١ - المولى خضر شاه : عالم ، من ولاية منتشه ، أقام بمصر ، عين مدرساً بمدرسة بلاط ، كان قاضياً فى بلاد الروم .

١٢ - المولى أيا ثلوع جلبيسى : عالم ، اشتغل بالعلم والعبادة ، كان مدرساً بمدرسة أغراس ، شرح "المجمع " لابن الساعاتى^(١) .

١٣ - المولى على الطوسى : عالم فاضل ، برع فى جميع العلوم ، أكرمه السلطان مراد خان وأعطاه مدرسة أبيه السلطان محمد خان ببروسة ، كما أعطاه مدرسة السلطان مراد خان بأدرنة ، له كتاب يسمى " الذخر " ، وله " حواشى على شرح المواقف " للسيد الشريف، وله " حواشى على شرح العضد " و " حواشى على التلويح " للعلامة الفتازانى، و " حواشى على حاشية الكشف " .

١٤ - المولى حمزة القرامانى : برع فى العلوم الشرعية والحديث والتفسير ، له تصانيف على تفسير العلامة البيضاوى .

١٥ - المولى ابن التمجيد : كان معلماً للسلطان محمد خان ، له تصانيف على تفسير البيضاوى ، له نظم بالعربية والفارسية .

١٦ - المولى على العجمى : عالم ، منحه السلطان مراد مدرسة جده بايزيد بمدينة بروسة، له تصانيف : " حواشى على حاشية شرح الشمسية "^(٢) ، و " حواشى على حاشية شرح المطالع " ، و " حواشى على شرح المواقف " .

(١) طاشكوبرى ، نفس المرجع ، ص ٩٠ - ١٠٠

(٢) يدرس كتاب رسالة شمسية جديدة الان فى مدارس الإمام سليمان حلمى، وهو من تأليف إبراهيم وهبى الندى زاده ، سنة ١٣٠١هـ وهو مقرر على طلبة مرحلة التكامل وهى المرحلة النهائية .

١٧- المولى ابن السيد على القومنائى : عالم فاضل ، برع فى جميع العلوم ، له تصانيف " شرح الوقاية فى الفقه " .

١٨- المولى ابن المداس : هو حسام الدين التوقائى المعروف " بابن المداس " ، له شرح العوامل المائة للشيخ عبد القاهر الجرجانى ، له تعليقات على حواشى شرح التجريد .

١٩- المولى الياس السيناى : عالم ، برع فى كل العلوم ، صنف شرحاً للفقه الأكبر ، له علم بالتفسير ، له حواشى على شرح " المقاصد " للسعد التفتازانى ، كتب حواشى شرح " الشمسية " فى ليلة واحدة ، كان يعمل مدرساً فى بروسة .

٢٠- المولى الياس الرومى : عالم فاضل ، كان مدرساً وقاضياً ومفتياً فى "مرزيفون " ، كان فقيهاً ، درس علوم التصوف^(١) .

٢١- المولى ابن ميناى : عالم فاضل ، برع فى جميع العلوم ، كان مدرساً بأدرنة ، كان فقيهاً أصولياً عارفاً بالتفسير والحديث ، له حواشى على شرح العقائد^(٢) للتفتازانى ، له كتاب " الغرائب والعجائب " .

٢٢- علاء الدين القوجحصارى : كان عالماً ، له تصانيف منها " حاشية على شرح المفتاح للتفتازانى " ، كان بارعاً فى العلوم العربية .

٢٣- المولى قاضى بلاط : كان عالماً ، له تصانيف منها " حواشى على ضوء المصباح فى النحو " .

٢٤- المولى بخشايش : كان عالماً فقيهاً مشغولاً بالعلوم ، له رسائل صنفها لأجل السلطان مراد .

٢٥- المولى محمد الأزنيقى : عالم برع فى العلوم الشرعية والعقلية ، له شروح على مفتاح الغيب للشيخ صدر الدين القونوى ، والنصوص للشيخ صدر الدين القونوى ، مات ٨٨٥ .

٢٦- المولى فتح الله الشروانى : تعلم العلوم العقلية والشرعية والرياضية .

٢٧- الشيخ إمام الدباغين : كان عالماً فى علوم الشريعة والحقيقة ، مات بأدرنة .

٢٨- الشيخ ببرى خليفة الحميدى : كان مدرساً وعالماً مشهوراً ، اشتغل بالعلوم الصوفية وكان جامعاً لعلوم الشريعة والحقيقة .

(١) طاشكوبرى ، نفس المرجع ، ص ١٠١-١٠٥ .

(٢) يدرس كتاب شرح العقائد الآن فى مدارس الإمام سليمان حلى فى مرحلة التكامل ، وهو من تأليف سعد التفتازانى ١٣٢٦هـ .

٢٩- الشيخ تاج الدين : كان عالماً ، حصل على رتبة الإرشاد فى التصوف ، وكان له مسجد وزاوية فى مدينة بروسه ، مات ٨٧٢هـ .

٣٠- الشيخ حسن خواجه : كان عارفاً بالله ، تولى منصب الإرشاد^(١) .

٣١- الشيخ ولى شمس الدين : كان عارفاً بالله وعالماً ، جمع كتابات عن لطائف التنزيل ودقائق الحديث ، وكان له اليد الطولى فى التفسير .

علماء دولة السلطان محمد بن السلطان مراد :

١ - المولى خُسْرَوُ : جعله السلطان قاضياً بالعسكر ، كان السلطان يحبه ويقربه إليه ، وكان مدرساً بأدرنة ، عينه السلطان قاضياً بالقسطنطينية ، وكان السلطان يسميه "أبو حنيفة زمانه" أعطاه السلطان منصب المفتى . من مصنفاته : " حواشى شرح المطول" ، و "حواشى التلويح" ، و " حواشى على أوائل تفسير العلامة البيضاوى" ، له متن فى علم الأصول يسمى "مرقاة الوصول"^(٢) ، وله متن فى الفقه يسمى "الدرر"^(٣) وشرحه شرحاً حسناً متضمناً للطائفت سماه "الغرر"^(٤) ، وله رسالة فى تفسير سورة الأنعام ، مات عام ٨٨٥هـ فى القسطنطينية ودفن ببروسه .

٢ - المولى خير الدين خليل بن قاسم : من علماء عصره ، توطن فى قسطنطينية ، كان متفهماً عارفاً للعلوم العربية ، كانت له منزلة فى علوم التصوف ، برع فى علوم الحديث والتفسير والبلاغة ، كان مدرساً بالقسطنطينية ، مات عام ٨٧٩هـ^(٥) .

٣ - المولى زَيْرَكُ : عالم فاضل ، عمل مدرساً فى مدرسة السلطان مراد فى بروسه ، وبعد فتح القسطنطينية ذهب ودرس فى إحدى المدارس الثمانية التى بناها السلطان محمد بعد فتح القسطنطينية وقد كانت كنائس من قبل .

٤ - المولى خواجه زاده : عالم فاضل عينه السلطان مدرساً ثم عينه معلماً وأصبح معلم السلطان ، عمل قاضياً بالعسكر ، كان يفتخر بتدريسه فى المدرسة

(١) طاشكويرى ، نفس المرجع ، ص ١٠٦-١١٥ .

(٢) يدرس فى مدارس الإمام سليمان حلمى الآن ويسمى مرآت الأصول فى شرح مرقاة الوصول" وهو مقرر على الطلبة فى مرحلة التكامل تأليف القاضى محمد بن قراموز الشهير بملا خسرو ، سنة ١٣٠٧ هـ .

(٣) يدرس كتاب الدرر فى مرحلة التكامل لطلبة مدارس الإمام سليمان حلمى ، وهو باسم "درر الحكام فى شرح غرر الأحكام" لخسرو الحنفى .

(٤) يدرس كتاب الغرر على طلاب مدارس الإمام سليمان حلمى الآن ، وله أيضاً كتاب " القيم " فى فقه الحنفية ، وهو مقرر على طلبة المرحلة التكاملية الخامسة فى مدارس الإمام سليمان حلمى .

(٥) طاشكويرى ، نفس المرجع ، ص ١١٦-١٢٦ .

السلطانية ببروسة أكثر من عمله بقضاء العسكر وتعليم السلطان ، صنف كتاب "التهافت" ، عين في قضاء إزنيق مع مدرسته، له تصنيف " حواشى شرح المواقف " ، و" حواشى على شرح هداية الحكمة " وله "شرح للطوالع " مسودة ، و" حواشى على التلويح " مسودة أيضا ، توفى ببروسة وهو مقيم بها عام ٨٩٣هـ .

٥ - المولى الخيالى : وهو شمس الدين أحمد بن موسى، كان عالماً زاهداً عمل مدرساً بمدرسة السلطانية ببروسة ، له مصنفات مثل " حواشى على شرح العقائد النسفية " ، و" حواشى على أوائل حاشية التجريد " ، و" شرح لنظم العقائد " .

٦ - المولى القسطلالى : عالم فاضل ، عين مدرساً فى قسبة مدرنى ، قام بالتدريس فى إحدى المدارس الثمانية التى بناها السلطان محمد بعد فتح القسطنطينية ، كان قاضياً فى بروسة وأدرنة والقسطنطينية، وكان قاضياً بالعسكر . كتب: " حواشى على شرح العقائد " توفى عام ٩٠١ ودفن بجوار أبى أيوب الأنصارى .

٧ - محى الدين محمد الشهير بابن الخطيب : كان مدرساً بإزنيق ، وصار مدرساً بإحدى المدارس الثمانية ، كان طليق اللسان فصيحاً ، له من المصنفات " حواشى على حاشية شرح التجريد " ، و " حواشى على شرح الكشاف " و " حواشى على شرح الوقاية " وقد كتبها بأمر من السلطان بايزيد خان، وكان مدرساً بمدرسة أبى أيوب الأنصارى ، وله حاشية شرح المختصر للسيد الشريف ، وحاشية على أوائل شرح المواقف ، ورسالة فى فضائل الجهاد^(١) .

٨ - المولى على العربى : عالم من نواحي حلب ، قدم بلاد الروم ، كان مدرساً بمدرسة السلطان مراد بن أورخان ببروسة ، اشتغل بالتدريس فى " مغنيسا " كما اشتغل بالتصوف ، وكان مدرساً بإحدى المدارس الثمانية ، صار مفتياً بالقسطنطينية . كان عالماً فى العلوم الشرعية والعقلية وخاصة التفسير والحديث والفقه .

٩ - المولى عبد الكريم : عالم ، فاضل ، اشتهر بعلومه الوفيرة ، كان مدرساً بإحدى المدارس الثمانية .

١٠ - المولى سامسونى زاده : كان عالماً فاضلاً ، حصل جميع العلوم ، كان مدرساً وعمل فى إحدى المدارس الثمانية ، صار معلماً للسلطان محمد خان ، أصبح قاضياً بالعسكر وقاضياً فى قسطنطينية ، توفى عام ٨٩١هـ .

١١ - المولى حاجى حسن زاده : عالم ، كان مدرساً ، ثم قاضياً ببلدة كليبولسى ، منحه السلطان مدرسة السلطان مراد ببروسة ثم جعله قاضياً فيها ثم منحه إحدى

(١) طاشكوبرى ، نفس المرجع ، ص ١٣٩ - ١٥٥ .

المدارس الثمانية وأعطاه قضاء قسطنطينية وأصبح قاضياً بالعسكر ، كان محباً للعلم والعلماء متبحراً في مختلف العلوم وخاصة الشرعية والعقلية وجامعاً للأصول والفروع. له حواشي منها تفسير سورة الأنعام للبيضاوي ، كما صنف كتاباً في الصرف سمي "ميزان التصريف" مات عام ٨٨٦هـ .

١٢- المولى قوشجي زاده : برع في مختلف العلوم ، كان مقرباً للسلطان ، منحه السلطان مدرسة "أيا صوفيا" ، له تصانيف في شرح "التجريد" ، له رسالتان باسم "المحمدية" و"الفتحية" ، له حاشية في شرح "الكشاف" للفتازاني ، ويقال إن من تصانيفه أيضاً كتاب "عنقود الزواهر" في الصرف ، توفي في القسطنطينية ودفن في قبر أبي أيوب الأنصاري^(١) .

١٣- المولى مصطفى : وهو علاء الملة والدين الشيخ علي بن مجد الدين محمد بن مسعود بن محمود بن محمد بن عمر الشاهروى البسطامى الهروى الرازى البكرى . اشتهر بهذا الاسم لاشتغاله بالتصنيف ، ولد في ٨٠٣هـ من تصانيفه : "الإرشاد" ، و"شرح المصباح" ، و"شرح آداب البحث" ، و"شرح اللباب" ، و"شرح المطول" ، و"شرح المفتاح للفتازاني" ، و"حاشية التلويح" ، و"شرح البردة" . رحل إلى (هراة) وشرح هناك "الوقاية" ، و"الهداية" ، و"حقائق الإيمان لأهل العرفان" ، و"شرح المصابيح للبعوى" ، و"المفتاح للشريفي" ، كما صنف حاشية "شرح المطالع" ، و"شرح الكشاف للزمخشري" ، وصنف كتاباً باللغة الفارسية اسمه "أنوار الحقائق" ، و"حقائق الإيمان" ، وله أيضاً : "وتحفة السلاطين" ، ثم صنف كتاب "التحفة المحمدية" ، و"شرح الشمسية باللغة الفارسية" . كان متبحراً في الفقه والشرعية ، اشتهر بعلوم التصوف ، وكان مدرساً بقونية ، ثم مات بالقسطنطينية عام ٨٧٥هـ ودفن بمدفن أبي أيوب الأنصاري .

١٤- المولى سراج الدين الحلبي : كان عالماً أتى بلاد الروم زمن السلطان مراد ، أكرمه السلطان وأعطاه مدرسة في أدرنة ، كانت له صنوف وحواشي على شرح الكافية ، والطوالع .

١٥- المولى درويش محمد بن خضر شاه : كان عالماً فاضلاً .

١٦- المولى إياس : كان عالماً فاضلاً ، درس في مدرسة سلطانية ببغزة ، كان معلماً للسلطان محمد خان وهو صغير ، له معرفة بالتصوف ، كان له اهتمام بتصحيح المختصرات والمطولات من الكتب المشهورة .

١٧- المولى خير الدين : كان عالماً ومعلماً للسلطان ، بنى جامعاً ومدرسة في مدينة القسطنطينية .

(١) طاشكوبري ، نفس المرجع ، ص ١٥٧-١٦٧ .

١٨- المولى أفضل زاده : كان عالماً عابداً زاهداً ، عينه السلطان مدرساً بمدرسة السلطان مراد ثم جعله قاضياً بالقسطنطينية حتى صار مفتياً ثم مات عام ٩٠٨هـ له حواشى على شرح " الطوالع " للأصفهاني وغيرها^(١) .

١٩- المولى سنان باشا : عالم فاضل ، اشتهر بكثرة طلائعه بالعلوم الشرعية والعقلية ، أعطاه السلطان محمد خان إحدى المدارس الثمانية ثم جعله معلماً له ، وكان فى صحبة السلطان لا يفارقه ، كان مدرساً بمدينة دار الحديث فى أدرنة ، أعطى له لواء مدينة كالبيولى ، له كتاب بالتركية فى مناجاة الحق وكتاب آخر فى مناقب الأولياء . كتب حواشى على مباحث " الجواهر " من شرح المواقف . مات بأدرنة عام ٨٩١هـ .

٢٠- المولى يعقوب باشا : عالم فاضل عين مدرساً بإحدى المدارس الثمانية ، استقضى فى مدينة بروسه ، ومات وهو قاض بها عام ٨٩١هـ ، له حواشى على شرح الوقاية لصدر الشريعة وغيرها .

٢١- المولى أحمد باشا : عالم فاضل متواضع ، أعطاه السلطان واحدة من المدارس الثمانية ، ثم جعله مفتياً ببروسه . مات عام ٩٢٧هـ .

٢٢- المولى صلاح الدين : كان مدرساً بالمدارس ، نصبه السلطان معلماً لابنه محمد خان ، كتب حواشى لشرح العقائد وهداية الحكمة .

٢٣- المولى عبد القادر : كان معلماً للسلطان محمد خان .

٢٤- المولى على جلبى بن الفنارى : كان عالماً فاضلاً ، محققاً مدققاً ، حريصاً على الاشتغال بالعلوم ، عين مدرساً ، أعطاه السلطان مدرسة ببروسه ، ثم جعله قاضياً فى بروسه ، ثم جعله قاضياً بالعسكر ، كان يهتم بالعلوم الصوفية ، توفى عام ٩٠٣هـ .

٢٥- المولى حسن جلبى المحشى : كان عالماً صالحاً عابداً ، تبحر فى العلوم الصوفية ، كان مدرساً بأدرنة ، له كتاب "مغنى اللبيب" أعطاه السلطان مدرسة إزنيق ، وإحدى المدارس الثمانية ، له حواشى على شرح " المطول " للتلخيص ، وشرح "المواقف" وغيرها .

٢٦- المولى حسام زاده : عالم فاضل ، كانت له شهرة فى العلوم الأدبية والشرعية وكان محباً للصوفية ، كان مدرساً ببروسه ثم صار مفتياً بها ، له حواشى فى التلويح والوقاية ، مات فى بروسه^(٢) .

(١) طاشكوبرى ، نفس المرجع ، ص١٦٨-١٧٧ .

(٢) طاشكوبرى ، نفس المرجع ، ص١٧٨-١٩٢ .

- ٢٧- المولى أخوين : برع فى جميع العلوم ، كان مدرساً ، عينه السلطان فى إحدى المدارس الثمانية ، له حواشى على شرح " التجريد " ، مات أواخر ٩٠٠هـ .
- ٢٨- المولى قاضى زاده : كان عالماً فاضلاً ، وكان قاضياً . مات عام ٨٩٩هـ .
- ٢٩- المولى ابن مغنيسا : عالماً من علماء عصره ، اشتغل بالتدريس فى مدرسة آيا صوفيا .
- ٣٠- المولى أم الولد : عالم زاهد عابد ، كان مدرساً بإحدى المدارس الثمانية .
- ٣١- المولى معرف زاده : كان عالماً فاضلاً ومدرساً .
- ٣٢- المولى يرالوجه : كان قاضياً بأدرنة وبروسة ، له حواشى على شرح العقائد للفتازانى .
- ٣٣- المولى بهاء الدين : كان عالماً فاضلاً ، وكان مدرساً بمدرسة "باليق أسير" ، أعطاه السلطان إحدى المدارس الثمانية . توفى عام ٨٩٥هـ .
- ٣٤- المولى سراج الدين : من علماء عصره ، عين مدرساً ، أعطاه السلطان إحدى المدارس الثمانية ، برع فى جميع العلوم ، كان حافظاً لقصائد العرب وينظم بالعربية .
- ٣٥- المولى ابن كوبلى : من كبار العلماء ، جعله السلطان قاضياً بالعسكر ، كان مدرساً بالقسطنطينية وقاضياً فى بعض البلاد .
- ٣٦- المولى ولدان : عالم فاضل ، كان قاضياً فى كاليبولى وجعله السلطان قاضياً بالعسكر .
- ٣٧- المولى أحمد باشا بن ولى الدين : عالم فاضل ، كان مدرساً بمدرسة السلطان مراد ببروسة ، أصبح قاضياً بأدرنة . كان مقرباً للسلطان وعينه أميراً على بعض البلاد ، ومات وهو أمير على بروسة عام ٩٠٢هـ (١) .
- ٣٨- المولى إبراهيم باشا : عالم فاضل عين قاضياً بأدرنة وبروسة واندمج فى العلوم الصوفية ، كان مدرساً بأدرنة وفى إحدى المدارس الثمانية ، صار قاضياً بالقسطنطينية وبرع فى جميع العلوم .
- ٣٩- المولى يارحصارى زاده : عالم ، عمل مدرساً بمدرسة مراد باشا بالقسطنطينية ، عمل أيضاً مدرساً فى أدرنة وأصبح قاضياً بالقسطنطينية ، كانت له شهرته فى سائر العلوم ، توفى بالقسطنطينية سنة ٩١١هـ .

(١) طاشكوبرى ، نفس المرجع ، ص ١٩٤-٢٠٦ .

٤٠- المولى الكرماسى : من كبار العلماء ، برع فى العلوم العربية والشرعية حتى صار مدرساً ثم قاضياً بالقسطنطينية ، له عدة مصنفات منها: " حاشية المطول للتخليص " وشرح "الوقاية فى الفقه " وكتاب فى " علم المعانى " .

٤١- المولى ابن الا شرف : اشتهر فى علوم التصوف .

٤٢- عبد الله الأماسى : كان عالماً عابداً زاهداً، له دراية بالعلوم الأدبية والأصول والفروع والحديث والتفسير والبلاغة .

٤٣- المولى حاجى بابا : برع فى العلوم الأدبية والشرعية واشتغل بالتدريس، ومن تصانيفه : " إعراب الكافية فى النحو ^(١) " و" إعراب المصباح فى النحو " وشرح "قواعد الإعراب فى النحو " .

٤٤- المولى ولى الدين القرامانى : كان عالماً فاضلاً ، له شهرة فى علوم التصوف .

٤٥- المولى على الفنارى : كان عالماً فاضلاً ومدرساً ، انتقل للتدريس فى إحدى المدارس الثمانية ثم صار قاضياً بمدينة بروسة ثم قاضياً بالعسكر، كان بارعاً فى العلوم العربية ، عالماً بالفقه والأصول ^(٢) .

٤٦- المولى قراسنان : عالم فاضل ومدرساً له شهرة فى العلوم العربية والفنون الأدبية ، له تصانيف مثل " شرح مراح الأرواح " فى الصرف ^(٣) وشرحاً " للشافية " فى الصرف وغيرها .

٤٧- المولى مصلح الدين القرامانى : عالم فاضل كامل، والد الشاعر المشهور بنظامى ، برع فى مختلف العلوم ، كان يغلب عليه الحزن بسبب وفاة ابنه فى حياته ، وله شروح على " الشمسية " للعلامة التفتازانى .

٤٨- المولى على الفنارى : كان عالماً فاضلاً ، عمل مدرساً ، انتقل للتدريس فى إحدى المدارس الثمانية ، وصار قاضياً فى بروسة ، كان ضليعاً فى العلوم العربية متفهماً ، وكانت له اليد الطولى فى الإنشاء باللغة العربية .

٤٩- المولى قراسنان : كان عالماً ، كانت له شهرته فى العلوم العربية والفنون الأدبية ، ومن أهم تصانيفه شرح لمراح الأرواح " فى الصرف ، و" شرح للكافية " فى الصرف .

(١) يدرس الآن فى المرحلة الثانية والرابعة فى مدارس الإمام سليمان حلى .

(٢) طاشكوبرى ، نفس المرجع ، ص ٢٠٧-٢١٢ .

(٣) يدرس الآن فى المرحلة الثانية فى مدارس الإمام سليمان حلى .

٥٠- المولى مصلح الدين القرامانى : من علماء عصره ، صنف حواشى على "شرح المصباح المسمى بالضوء" ، وصنف شرحاً لمقدمة الفقيه أبى الليث لكتاب الصلاة " .

٥١- المولى عبدالكريم قاينى : اشتهر بكثرة علومه وفوض إليه التدريس فى بعض المدارس .

٥٢- المولى قره جى أحمد : عالم فاضل ، عمل مدرساً ، ثم صار مدرساً بمدرسة السلطان بايزيد بن مراد ببروسة ، كان مشتغلاً بالعلم ، له حواشى على شرح "الرسالة الأثيرية" ، و" شرح العقائد " ، مات سنة ٨٥٤هـ^(١) .

٥٣- المولى ديكقوز : كان عالماً فاضلاً ، اشتغل مدرساً ببعض البلاد الرومية ، أصبح مدرساً بمدرسة السلطان بايزيد ببروسة ، من تصانيفه: " شرح المراح فى الصرف " ، له حواشى على " شرح آداب البحث لمسعود الرومى " وله شرح على كتاب " المقصود من الصرف " .

٥٤- المولى طشفون صوفى : عالم عامل ، سلك التصوف ، واشتغل بالوعظ .

٥٥- المولى مصلح الدين الأحمر : عالم فاضل اشتهر "بالبغل الأحمر" . كان محباً للعلوم ، شغل كل أوقاته بالتدريس . ويقول عن نفسه : " ما من مسأله من كتاب المقصود فى الصرف إلى الكشف للزمخشري إلا وهى فى خاطرى " ، كان مدرساً ببروسة ، أعطاه السلطان محمد المدرسة الجديدة بأدرنة .

٥٦- المولى شمس الدين : حصل على كثير من العلوم وبرع فى البلاغة وفاق علماء عصره ، كان ينظم القصائد العربية والفارسية والتركية ، له تصنيف فى "علم الأدوار" .

٥٧- مولانا مليحى : أصله من آيين وتوطن فى القسطنطينية . كان أهل زمانه يرجعون إليه إذا أشكل عليهم معضلة فى اللغة ، فكان يقرؤها عليهم من " الصحاح " للجوهري حفظاً .

٥٨- المولى سراج : من بلاد العجم وذهب إلى بروسه ، نصبه السلطان محمد خطيباً بجامعه فكان أول خطيب لجامع السلطان محمد ، كان بارعاً فى علم البلاغة ، وكان أدبياً لبيباً .

٥٩- المولى حكيم قطب الدين : كان عالماً فاضلاً ، وكان وزيراً لبعض ملوك العجم ، رحل إلى بلاد الروم ، واشتهر فى علوم الطب .

(١) طاشكوبرى ، نفس المرجع ، ص ٢١٢-٢١٤

٦٠- المولى حكيم شروانى : عالم ، اتصل بخدمة السلطان محمد ، كان طبيباً ماهراً له معرفة بعلوم التفسير والحديث والعلوم العربية .

٦١- خواجه عطاء الله : كان عالماً فاضلاً ، برع فى العلوم العربية والحديث والتفسير والطب والفنون ، وكانت له يد طولى فى العلوم الرياضية^(١) .

٦٢- الحكيم يعقوب : كان طبيباً ماهراً ، ويهودياً ثم أسلم ، جعله السلطان وزيراً .

٦٣- حكيم لارى : عالم فاضل حكيم من بلاد العجم رحل إلى بلاد الروم ، واتصل بخدمة السلطان محمد .

٦٤- حكيم عرب : وهو طبيب مشهور .

٦٥- آلتونجى زاده : عالم ، عابد ، زاهد مشهور " بابن الذهبى " ، كان يداوم على قراءة القرآن ، وكان ماهراً فى علم النبات .

٦٦- آق شمس الدين : هو نجل العارف بالله الشيخ شهاب الدين السهروردى ، ولد بدمشق وجاء مع والده إلى بلاد الروم واشتغل بالعلوم ، كان مدرساً بمدرسة " عثمانجق " . كان محباً للتصوف ، من مناقبه أنه كان طبيباً للأبدان وطبيباً للأرواح ، وعندما أراد السلطان محمد فتح القسطنطينية دعاه للجهاد فأجابته الشيخ : سيدخل المسلمون القلعة من الموضع الفلانى فى اليوم الفلانى وقت الصحوه الكبرى " وجاء فى هذه القصة أنه جاء ذلك الوقت ولم تفتح القلعة فحصل عند السلطان خوف عظيم ، فذهب السلطان إلى خيمة الشيخ فوجده ساجداً على التراب يتضرع ويبكى ويحمد الله على نصر الله لهم بفتح القلعة . وعندما أراد السلطان محمد تحديد موضع قبر أبى أيوب الأنصارى ذهب إلى الشيخ آق شمس الدين وطلب منه أن يعين له موضع القبر ، فعينه له . له تصانيف منها: " رسالة النور " وأخرى فى " دفع مطاعن الصوفية " وله رسالة فى الطب^(٢) .

٦٧- ابن المصرى : كان عارفاً بالله ، ولد " بقره حصار " ، له كتاب باسم " وحدثت نامة"^(٣) .

(١) طاشكوبرى ، نفس المرجع ص ٢١٦-٢٢٥ .

(٢) جاء فى كتاب حاضر العالم الإسلامى بقلم الأمير شكيب أرسلان أنه " لما جاء محمد الفاتح وحصر هذه البلدة الطبية وفتحها انكشف للمولى آق شمس الدين ضريح أبى أيوب ، وشاد الفاتح رحمه الله سنة ٨٦٨ جامعاً عند ضريح الصحابى المجاهد . ثم فى سنة ١٢١٣ إلى سنة ١٢١٥ هـ تجدد بناء الجامع على صورته الأصلية " . وكان من عادة سلاطين آل عثمان أنه عندما يتولى أحدهم السلطنة يذهب إلى جامع أبى أيوب المشار إليه ويتقلد فيه السيف باحتفال كبير ، ويكون تقليد السيف من يد الثلبى شيخ الطريقة المولوية التى مركزها قونية . ص ٢٢٨ .

(٣) طاشكوبرى ، نفس المرجع ، ص ٢٢٦-٢٣٥ .

٦٨- ابن الصراف : كان عارفاً بالله ، اشتهر بمعرفة العلوم كلها ، كان مدرساً بمدرسة خواند خاتون بقيصرية ، صنف كتاباً في العلوم في أطوار السلوك سماه "كلزار" ، توفي بقيصرية سنة ٨٨٧هـ .

٦٩- الشيخ شامي : كان عارفاً بالله ومرشداً. مات ببلاد الروم .

٧٠- ابن العطار : عارف بالله ، اشتغل بالإرشاد ، مات ببلدة " اسكليب " .

٧١- الشيخ سعد الله : اشتهر بالعلوم وبذل الفضل للطلبة ، جمع بين العلم والتقوى .

٧٢- الشيخ فضل الله : عارف بالله ، برع في جميع العلوم ، سلك مسلك التصوف .

٧٣- المولى أمر الله : كان عارفاً بالله ، قرأ على علماء عصره ، تولى أوقاف السلطان مراد بمدينة بروسة ، مات سنة ٩١٩هـ .

٧٤- المولى حمدي جلبي : كان عالماً عارفاً بالله ، زاهداً ، له نظم بالتركية ، نظم قصة سيدنا يوسف وزليخا ، كما نظم مولد الرسول (صلى الله عليه وسلم) .

٧٥- الشيخ وفا : وهو مصلح الدين الشهير " بابن الوفاء " كان جامعاً للعلوم الظاهرة والباطنة ، برع في البلاغة والشعر ، كان خطيباً لم يرض بمقابلة السلاطين أو الاجتماع بهم ، حضر السلطان بايزيد جنازته ، توفي سنة ٨٩٦هـ^(١) .

٧٦- الشيخ حاجي خليفة : هو عبد الله المشهور بـ " حاجي خليفه " من ولاية قسطنطيني ، كان جامعاً لكل العلوم ، وكان مرجعاً للعلماء ومربياً للفقراء ، مات سنة ٨٩٤هـ^(٢) .

٧٧- الشيخ سنان الفروي : كان عارفاً بالله زاهداً .

٧٨- الشيخ مصلح : كان عارفاً بالله ، زاهداً .

٧٩- الشيخ مصلح الدين الاصلواي : كان عالماً ، عارفاً بالله ، زاهداً ، مرشداً، توفي بأبصلا .

٨٠- الشيخ محي الدين القوجوي : اشتغل بالعلوم ، سلك مسلك التصوف، كان مرشداً ، توطن في القسطنطينية ، له فيها مسجد وزاوية ومات بها .

(١) طاشكوبري ، نفس المرحع ، ص ٢٣٥-٢٤٦ .

(٢) يعرف في الأدبيات التركية باسم كاتب جلبي .

- ٨١- سليمان خليفة : له معرفة بجميع العلوم ، سلك طريق التصوف .
- ٨٢- الشيخ الهى : من قسبة " سماو " بأناطولى ، سكن بمدينة القسطنطينية ، اشتغل بالعلوم ، له شهرته فى علوم التصوف .
- ٨٣- خواجه محمد باشا : من كبار المشايخ ، اشتهر بعلوم التصوف .
- ٨٤- خواجه عبيد الله : كان عارفاً بالله ، من ولاية شاش ، ينتهى نسبه إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، اشتغل بالتصوف ، كان على مذهب أهل السنة والجماعة والانقياد لأحكام الشريعة ، توفى بسمرقند سنة ٨٩٥هـ^(١) .
- ٨٥- مولانا جامى :^(٢) هو الشيخ العارف بالله عبدالرحمن بن أحمد جامى ، ولد بجام من أعمال خراسان ، كان من أفاضل عصره فى العلم ، كان محباً لمشايخ الصوفية ، اشتهر بالعلم وذاع صيته الآفاق ، دعاه السلطان بايزيد إلى مملكته وأرسل له هدايا ، كتب رسالة بناء على طلب السلطان حاكم فيها الباحثين فى علوم الحقيقة: المتكلمون والصوفية والحكماء وهى رسالة منظومة ومنثورة، له تصانيف منها "شرح الكافية" ، وله كتاب " شواهد النبوة " بالفارسية ، وكتاب " نفحة الانس " بالفارسية أيضاً ، وكتاب " سلسلة الذهب " ، كما كتب على أوائل القرآن تفسيراً أبرز فيه بعضاً من أسرار القرآن العظيم ، وله أيضاً : " رسالة المعنى " ، و"العروض " ، و" القافية " ، توفى سنة ٨٩٨هـ .
- ٨٦- المولى علاء الدين الخلوتى : من مشايخ الطريقة الخلوتية ، أتى مدينة القسطنطينية فى زمن السلطان محمد خان ، توفى ببلدة لارندة ببلاد قرمان .
- ٨٧- دده عمر الروشنى : عاش ببروسة ثم ذهب إلى تبريز حيث أحبه وإلى تبريز ؛ فاشتهر فيها وصار مرجعاً للأكابر والأعيان، مات سنة ٨٩٢هـ .
- ٨٨- حبيب العمر القرامانى : من ولاية قرمان ، اشتغل بالعلم ، سكن بأنقرة، مات سنة ٩٠٢هـ بمدينة أماسيا .
- ٨٩- المولى مسعود : عمل مدرساً ثم سلك مسلك التصوف ، أصبح مرشداً وعاش بأدرنة ، كانت له قدم فى العبادات ومحافظته على آداب الشريعة .
- ٩٠- جلبى خليفة : اشتغل بالعلوم ، له شرح " المختصر للتلخيص " ، سلك مسلك التصوف .

(١) طاشكوبرى ، نفس المرجع ، ص ٢٤٩-٢٦٤

(٢) لهذا العالم كتاب يدرسه طلاب مدارس الإمام سليمان حلى الآن، وهو كتاب فى النحو يشرح الألفية " الكافية " ويدرس فى مرحلة ما قبل التكمالية أى المرحلة الرابعة من الدراسة .

٩١- الشيخ سنان : عاش فى القسطنطينية ، كان عالماً زاهداً ، مشغلاً بالإرشاد^(١) .

٩٢- السيد يحيى : ولد بمدينة شماخى من شروان ، شغل بالتصوف وله رأى يقول : " يجوز إكثار الخلفاء لتعليم الآداب للناس ، أما المرشد الذى يقوم مقام الإرشاد بعد شيخه لا يكون واحداً "^(٢) . توفى فى بلدة باكو سنة ٨٦٨هـ .

ومن عرضنا لقائمة العلماء السابقة نجد أن اللغة العربية كان لها الحظ الوافر فى التصنيف ، خاصة فى عهد الفاتح الذى ورد فيه العديد من العلماء الإسلاميين .

أما عهد السلطان سليم فقد اشتهر من العلماء ، " ابن كمال باشا وهو شمس الدين أحمد بن سليمان الذى اشتهر بكثرة تأليفه ورسائله التى تشبه " السيوطى " ، " وابن الجوزى " ، " وابن حزم " ، وابن تيمية " . وكانت له رسائل كثيرة فى فنون عديدة تزيد على ثلاثمائة غير تصنيف له فى لغات إسلامية أخرى كالفارسية والتركية^(٣) .

وفى عهد السلطان سليمان القانونى ظهر شيخ الإسلام أبو السعود أفندى صاحب التفسير المشهور " إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم " .

وقد ظهرت أيضاً فى هذه الفترة تأليف علماء عثمانيون فى الجغرافيا والطب والتاريخ وعلم الكلام .

* * *

٤- أنواع المدارس فى الدولة العثمانية :

المدارس العثمانية التى كانت توجد خلال هذه الفترة هى :

مدرسة " إعداد الأمراء " ، و " مدرسة أندرون " ، و " المدارس العسكرية " ، و "مدارس الموسيقى العسكرية " ، و "مدارس الفنون العسكرية "^(٤) .

ومن أكثر عصور الدولة العثمانية اهتماماً بالحركة التعليمية كان عصر السلطان عبدالحميد الثانى الذى كان محباً للمعارف، وقد وجد أن المدارس ونظام التعليم كان

(١) طاشكوبرى ، نفس المرجع ، ص ٢٦٥-٢٧٢.

(٢) هكذا فى الأصل ، وما نراه صحيحاً هو " يجوز إكثار الخلفاء لتعليم الآداب للناس ، أما المرشد الذى يقوم مقام الإرشاد بعد شيخه فلا يكون إلا واحداً " .

(٣) محمد حرب ، العثمانيون ، مرجع سابق ، ص ٣١٨ .

(٤) نفس المرجع ، ص ٣١٨ .

متأثراً بالفكر الغربى ، وأن التيار القومى هو التيار السائد فى هذه المدارس ؛ فقام بتوجيهها نحو الدراسات الإسلامية بالطرق الآتية :

- ١- إستبعاد مادة الأدب والتاريخ العام من برنامج الدراسة .
- ٢- وضع دروس الفقه والتفسير والأخلاق فى برامج الدراسة^(١) .
- ٣- الإقتصار على تدريس التاريخ الإسلامى بما فيه العثمانى .

وقد جعل السلطان عبد الحميد مدارس الدولة تحت رقابته الشخصية ووجهها لخدمة الجامعة الإسلامية ، ومن إجراءات السلطان عبد الحميد التعليمية فى خدمة سياسته الإسلامية إنشائه " مدرسة العشائر العربية " من أجل تعليم وإعداد أولاد العشائر العربية ، من ولايات حلب وسورية وبغداد والبصرة والموصل وديار بكر وطرابلس الغرب واليمن والحجاز وسناجق بنغازى والقدس ودير الزور .

وقد تم إنشاء مدرسة العشائر العربية فى إستانبول، وكان يبلغ عدد طلابها تسعة وخمسين طالباً زاد هذا العدد إلى ٢٥٠ طالباً . وكان المتخرجون فى هذه المدرسة يدخلون المدارس العسكرية العالية فيحصلون على رتب عالية ويستطيعون دخول المدرسة الملكية وهى مدرسة مدنية يحصلون بعدها على رتبة قائم مقام . ومدة الدراسة فى مدرسة " العشائر العربية " فى إستانبول كانت خمس سنوات، وهى مدرسة داخلية تتكفل الدولة بكل مصاريف الطلبة الذين يدرسون فيها، ولكل طالب أجازة إسمها " إجازة صلة الرحم " يأخذها الطالب مرة كل سنتين يسافر فيها على نفقة الدولة .

ويتكون برنامج مدرسة العشائر العربية كالاتى :

- يدرس الطالب فى السنة الأولى : القرآن الكريم - الأبجدية - العلوم الدينية - القراءة التركية - إملاء - تدريب عسكرى .
- ويدرس فى السنة الثانية : القرآن الكريم - التجويد - العلوم الدينية - الإملاء - الحساب - الخط - تدريب عسكرى .
- وفى السنة الثالثة يدرس : القرآن الكريم - التجويد - العلوم الدينية - قصص الأنبياء - القراءة والصرف التركى - الإملاء - حسن الخط - الحساب - الجغرافيا - الفرنسية - التدريب .
- أما السنة الرابعة فيدرس فيها : القرآن الكريم - التجويد - العلوم الدينية - الصرف العربى - اللغة الفارسية - الكتابة والنحو التركى - الجغرافيا .

(١) عثمان أركين ، تاريخ التربية التركية، ص ٦١٤-٦١٥ ، نقلا عن محمد حرب ، السلطان عبد الحميد ، مرجع سابق ، ص ٢٠١ .

ويستكمل دراسته النهائية فى السنة الخامسة فيدرس : القرآن الكريم - التجويد - العلوم الدينية - النحو العربى - اللغة الفارسية - التاريخ العثمانى - القواعد العثمانية - الكتابة والقراءة التركية - المكالمات التركية - الجغرافيا - الحساب - الهندسة - حسن الخط - المعلومات المتنوعة - حفظ الصحة - أصول إمساك الدفاتر - اللغة الفرنسية - حسن الخط الفرنساوى - الرسم - التدريب^(١) .

وإلى جانب هذا فقد أنشأ السلطان عبدالحميد " معهد تدريب الوعاظ والمرشدين " والذى أقيم لإعداد الدعاة للجامعة الإسلامية، فيخرجون وينطلقون إلى مختلف أرجاء العالم الإسلامى فيدعون للإسلام ويدعون للخلافة والجامعة الإسلامية^(٢). ولا شك أن طلاب الدراسات الدينية فى المدارس والمعاهد كانوا دعاة للإسلام وللجامعة الإسلامية. ومن ناحية أخرى كان السلطان عبدالحميد يولى عنايته بالعلوم الإسلامية إلى بلاد العالم ، ومن بين هذه البلاد الصين فقد خرجت الصحافة فى إستانبول ببيان عن عدد المسلمين فى الصين حيث وصل عددهم إلى سبعين مليون نسمة ، وأن المسلمين فى الصين متحمسون ، يحبون العلم ويرغبون فى الاستفادة من المعارف الإسلامية ، وأنه يوجد هناك مؤسسات تعليمية ومدارس ، وكان فى بكين ثمانية وثلاثين مسجداً وجامعاً . وكانوا يدعون للسلطان عبدالحميد فى مساجدهم وفى خطب الجمعة، وكانت خطبة الجمعة تلقى هناك فى المساجد باللغة العربية^(٣) حتى أنهم أطلقوا على جامعتهم اسم "دار العلوم الحميدية " نسبة إلى السلطان الخليفة عبدالحميد الثانى لارتباطهم وحبه له . وقد حضر افتتاح هذه الجامعة الآلاف من المسلمين الصينيين ، وحضره مفتى المسلمين فى بكين ، وفى مراسم الافتتاح ألقى الخطبة باللغة العربية ، ودعوا هناك للسلطان الخليفة عبدالحميد ورفعوا علم الدولة العثمانية على باب الجامعة^(٤) وكان الحاضرون يبكون تأثراً بتوجههم الإسلامى .

ويمكن تقسيم تأثير ونفوذ اللغة العربية فى اللغة التركية إلى عصور أربعة متباينة هى :

١- عصر نشأة الدولة العثمانية : حيث كانت اللغة العربية فيها لغة العلم والدين وكانت تؤلف فيه الكتب العربية ويدرس فيه العربية .

(١) عثمان أركين، مرجع سابق، ص ٢٠٣.

(٢) مصطفى طوران، انقلاب العثماني ، ص ٣٧ ، القاهرة ، بدون تاريخ ، نقلا عن محمد حرب، السلطان عبد الحميد، مرجع سابق، ص ٢٠٣.

(٣) جريدة " ترجمان حقيقت " نقلا عن محمد حرب، السلطان عبد الحميد، مرجع سابق، ص ٣٥/٢٠٤.

(٤) إحسان ثريا، جامعة السلطان عبدالحميد فى بكين ، ص ١٦١، ١٦٢ ، نقلا عن محمد حرب ، السلطان عبد الحميد ، مرجع سابق، ص ٣٦/٢٠٥.

٢- عصر الدولة العثمانية : كان الأدب التركى ملئ بالكلمات والتراكيب العربية .

٣- عصر الدستور : ويشمل أواخر الدولة العثمانية وأوائل عصر الدستور ، أى عصر النهضة والأدب الجديد ، وزادت الرابطة بين اللغتين التركية والعربية وكثر التأليف بالعربية ، وكانت تدرس فى الكتاتيب والمدارس .

٤- عصر الجمهورية التركية : ويتسم هذا العصر بتنقية اللغة التركية من الكلمات العربية ، لكن على الرغم من ذلك لا يزال فى اللغة التركية آلاف من الكلمات العربية التى صارت جزءا من القاموس التركى . وقد حصر علماء اللغة الكلمات العثمانية فى المرحلة الأولى من مراحل تطور اللغة فوجدوا أن ٧٠٪ منها عربى ، ١٥٪ فارسى ، ١٥٪ تركى^(١) وجدير بالذكر هنا أن نذكر عبارة لمؤرخ التربية التركية المشهور "عثمان أركين" والتى جاءت فى كتابه تاريخ التربية التركية" الذى صدر فى خمسة أجزاء ، (إستانبول ١٩٣٩ - ١٩٤٣ م) يقول فيها :

" كانت اللغة السائدة والمسيطرة فى المدارس والجامعات عند العثمانيين هى اللغة العربية ، ولم تنتج اللغة العربية عن المكانة الأولى فى المؤسسات التعليمية العثمانية إلا مع إلغاء النظام التربوى العثمانى عندما صدر قانون عام ١٩٢٣ م ."

ويعدد " عثمان أركين " أسماء المدارس فى عهد اتخاذ التعليم العثمانى اللغة العربية أساساً لغوياً ، فيذكر مدرسة " إعداد الأمراء " ، ومدرسة " أندرون " ، وهى مدرسة فى القصر السلطانى لإعداد موظفين من الدرجة الأولى العالية ، والمدارس العسكرية ومدارس الموسيقى العسكرية ومدارس الفنون العسكرية . وفى دور الأرشيف نجد الكثير من الوقفيات المكتوبة باللغة العربية ، مثل وقفية " السلطان مراد " لإنشاء "دار الحديث" فى أدرنة^(٢) ووقفية " الشيخ المولى فنارى " الخاصة بمدرسته فى القدس^(٣) .

(١) عبد السلام فهمى، اللغة العربية فى الأناضول، نسخة مخطوطة بمكتبة مركز بحوث العالم التركى بالقاهرة ، القاهرة ١٩٩٥م ص ٣١ - ٣٢ .

(٢) انظر أرشيف طوب قابى ، وثيقة رقم ٧٠٨١ .

(٣) أرشيف رئاسة الوزراء فى استانبول، قسم الوقفيات، رقم ٦/١٦٢ .

الباب الثانى

قيام الحركة الكمالية وإجراءاتها تجاه الإسلام

الفصل الأول : الحركة الكمالية وحرب الإستقلال

الفصل الثانى : الحركة الكمالية وإجراءاتها فى مجال الدين .

الفصل الثالث : إجراءات الحركة الكمالية فى مجالى اللغة
العربية والعلوم الإسلامية

الفصل الرابع : ردود فعل الإتجاهات الدينية من إجراءات
الحركة الكمالية .

الفصل الأول

الحركة الكمالية وحرب الاستقلال

- ١ - الجذور التغريبية للحركة الكمالية فى التاريخ التركى .
- ٢ - انبثاق الحركة الكمالية .
- ٣ - قيام الجمهورية .

١ - الجذور التغريبية لقيام الحركة الكمالية فى التاريخ التركى :

بعد هزيمة الدولة العثمانية التى منيت بها أمام العالم الأوروبى والتى أدت إلى سقوطها ؛ بدأت الدولة تتجه نحو الإصلاح على النمط الغربى ، خاصة وأنها قد أصبحت دولة صغيرة فى مجال الحرب والسياسة الأوربية^(١) وقد برز هذا الاتجاه فى العقد الثانى من القرن ١٨ حيث قامت حركات فكرية وعملية قصد بها تغيير وجه الدولة لتواكب العصر بكل مقتضيات التغيير، فلم تكن الدولة العثمانية قد استطاعت التحرر من نظامها القائم على الإقطاع واللاحاق بعصر الرأسمالية الذى أحدثه التطور الرأسمالى فى أوربا. وكان بداية الإصلاح فى الفترة التى تلت معاهدة " بساروفتر " ^(٢) عام ١٧١٨م وهى فترة تولى السلطان أحمد الثالث شئون الدولة (١٧٠٣-١٧٣٠م) حيث مال السلطان أحمد الثالث نحو فرنسا التى كانت فى ذلك الوقت أكثر الدول تقدما فى أوربا ، وكانت خصما لأعداء الدولة العثمانية روسيا والنمسا ، ومن ناحية أخرى كانت فرنسا ترى أنه من مصلحتها استمرار وجود الدولة العثمانية حتى لا تترك فراغا سياسيا يضر بمصالح فرنسا .

وفى عام ١٧٢٠م تم إرسال " محمد فيضى " المعروف "يكرمى سكر محمد جلبى" إلى فرنسا من أجل الاطلاع على أحوالها ، وقد كتب هذا كتابا عن رحلته إلى فرنسا وصف فيه مشاهداته ؛ فوصف الفنون التقنية ، والمؤسسات والوسائل العسكرية والمستشفيات والموانى ودور الأوبرا والمسارح ، وركز فيها على العادات الاجتماعية ودور النساء فى المجتمع الفرنسى^(٣) وقد لاقت تقارير السفير محمد جلبى اهتماما كبيرا لدى السلطان ، فكان نتيجة تقاريره أن وافق السلطان على إنشاء مطبعة أسسها سعيد بن جلبى بالاشتراك مع إبراهيم متفرقة^(٤) وكانت أول مطبعة فى العالم الإسلامى تأسست عام ١٧٢٧م وأصدرت الكثير من الكتب التى تضمنت وصفا للحياة الأوربية ، وقد تأثرت تركيا فى هذه الفترة بأوربا فى بناء القصور وإنشاء الحدائق

(١) Berkes, Niyazi, Turkiyede Cagdaslama, Ankara, 1973, s. 39.

(٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى ، مرجع سابق، ص ١٥٦ - ١٥٧.

(٣) Berkes, a.g.e, s. 41 - 52.

(٤) انظر السيد حسين عثمان الطنوبى، الحركة الكمالية والعمالية فى تركيا، رسالة ماجستير، جامعة الإسكندرية، ١٩٨٩م، ص ٩.

المزينة بالنافورات والشلالات الصناعية^(١) . ونشطت الحركة الأدبية وحركة ترجمة الكتب الفارسية والعربية إلى العثمانية^(٢) . وفي عام ١٧٣٠م تم إجبار السلطان أحمد الثالث على التخلي عن السلطنة لاتهامه بالتبذير فى القصور ، ولكن حركة التجديد على الأسس الغربية استمرت فى عهد السلطان محمود الأول . وكانت فترة السلطان محمود الأول (١٧٣٠ - ١٧٥٤م) هى الفترة التى أدخل إبراهيم متفرقة فيها أفكاراً وطرقاً من الغرب، وأصدر كتاباً قدمه إلى السلطان كان يهدف إلى دراسة أسباب الانحراف فى الدولة وأسباب القوة فى الدولة العثمانية ، والوسائل التى يجب على الأتراك تعلمها. وقد استطاعت الثورة الفرنسية أن تصل إلى عقول الكثير من الشباب التركى ، فقد حملت معها أساليب الحضارة الأوروبية^(٣).

وفى أول الأمر كان ارتباط الدولة العثمانية مع فرنسا مقصوراً على شراء السلاح واستعارة الخبراء الفنيين فى الشؤون العسكرية والأسطول البحرى، وكان إصلاح الجيش يتضمن تغيير نظام الإنكشارية ؛ وذلك بسبب سريان الفساد بينهم، وظهرت محاولات لإصلاح الجيش عن طريق استخدام وتنظيم وحدات جديدة وتكوين قوات طبية خاصة. ومن أهم التطورات التى تمت نحو إدخال التقنيات الحديثة فى الجيش هى التى جاءت عن طريق البعثات التعليمية العسكرية التى أرسلت إلى فرنسا ، وكان نتيجة هذه البعثات أن تم افتتاح مدرسة الهندسة العسكرية فى " أسكدار " عام ١٧٣٤م وذلك لتدريب المهندسين العسكريين .

ثم جاءت مرحلة ترجمة الكتب الأوروبية إلى التركية، وكان ذلك فى عهد السلطان عثمان الثالث الذى تولى عام ١٧٥٤ - ١٧٥٧م . أما الإصلاح العسكرى فقد بدأ فى عهد السلطان مصطفى الثالث ١٧٥٧-١٧٧٤م حيث اتجه إلى تطوير البحرية والمدفعية وتجنب الاصطدام بالإنكشارية. ثم تلت هذه الفترة فترة أخرى من محاولة الإصلاح فى الدولة العثمانية، وكانت فى عهد السلطان عبد الحميد الأول الذى تولى الحكم ١٧٧٤-١٧٨٩م وكان الإصلاح فى ذلك الوقت قد تحدد فى إدخال التقنيات الحديثة على نظام الدولة القديم، إلا أن هذه الفترة تزامنت مع نشوب الحرب بين تركيا وروسيا عام ١٧٦٨م-١٧٧٤م وظهر فيها مدى اهتزاز قواعد النظام فى الدولة العثمانية، الأمر الذى دفع بعض الكتاب بالمناداة بتحرير العقول من سيطرة التقاليد

(١) انظر أحمد فهد الشوابكة، حركة الجامعة الإسلامية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٨٣م، ص ٢١.

(٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى ، مرجع سابق، ص ١٥٩.

(٣) سليم الصويص، أتاتورك منقذ تركيا وبانى نهضتها الحديثة، مطبعة شنلر، عمان - الأردن، بدون تاريخ، ص ١٥.

الدينية والمطالبة بفصل الدين عن الدولة ^(١) وكانت تلك أول دعوة تنادى بضرورة فصل الدين عن الدولة في عهد الدولة العثمانية.

وقد تمت معاهدة قاينارجة بين روسيا وتركيا عام ١٧٧٤م تعهدت الدولة العثمانية فيها بحرية الديانة المسيحية والسماح ببناء الكنائس الجديدة، وقد نتج عن هذا الأمر ما عرف في التاريخ بالمسألة الشرقية ، وهي التدخل الأوربي في شئون الدولة بغرض حماية المسيحيين الأرثوذكس . ومن نتائج هذه المعاهدة أيضاً تأسيس مؤسسات تعليمية غير تقليدية وترجمة الأعمال الأوربية العلمية إلى التركية، وافتتاح مدرسة جديدة للهندسة عام ١٧٧٦م للضباط البحريين .

وقد وفد إلى الدولة في عهد السلطان عبد الحميد الأول أعداد من الفرنسيين الذين جاءوا في مهمات رسمية وغير رسمية، وقد كانت العلاقات التي كانت تربط العالم في ذلك الوقت علاقات دينية وليست علاقات قومية، فسيد المشرق هو الخليفة العثماني الذي يخضع له مسلمو الأرض ^(٢).

وجاءت الفترة من ١٧٨٩م-١٨٠٧م أي فترة سليم الثالث الذي حدث فيها تقدم كبير في الاتجاه نحو الغرب، وكان الاتجاه نحو تلقى المساعدات العسكرية والتقنية والمالية من الغرب ، كما عنت تلك الفترة بالإصلاحات العسكرية وإدخال الطرق الحديثة والعمل على استدعاء عسكريين أوربيين كمدربين . وقد حملت هذه الفترة معها أفكاراً جديدة في الحرية والإخاء والمساواة وحقوق الإنسان .

ثم ظهرت فكرة الحصول على قروض أجنبية لأول مرة في الدولة للخروج من الأزمات المالية ، وأراد سليم الثالث التخلص من الإنكشارية فقام بإنشاء جيش مستقل عن الإنكشارية سمي "النظام الجديد" ^(٣) واستقدم إلى الدولة ضباط وفنيين ومعلمين فرنسيين وتم استخدام اللغة الفرنسية في الدولة .

وقد أدى إنشاء فرقة "النظام الجديد" إلى ظهور عنصر اجتماعي جديد من ضباط الجيش والأسطول تعرفوا على ملامح الحضارة الغربية واعتبروا الخبراء الغربيين مرشدين لهم ، وبلغ تعداد هذا الجيش حوالي ٦٠,٠٠٠ مقاتل ^(٤) تم تدريبه على النظام الأوربي وأشرف على التدريب خبراء أجانب من بريطانيا وفرنسا وبروسيا .

(١) الطنوبي، مرجع سابق ص ١٣.

(٢) سليم الصويص، المرجع السابق، ص ١٤.

(٣) Berkes, a.g.e , s. 66 - 67.

(٤) أحمد عبد الرحيم مصطفى ، مرجع سابق، ص ١٧٨، ١٧٩، ١٨٤.

وفى عهد السلطان سليم الثالث بالذات تزايد عدد المقيمين الأجانب وبالتالي دخلت طرق الحياة الأوروبية فى الدولة وانتشرت الأزياء الفرنسية ، وقد واجهت هذه الأحداث معارضة شديدة من جانب العلماء فقاموا بتحريض الإنكشارية للقيام بثورة ضد سليم الثالث ، بلغت هذه الثورة ذروتها حينما تم اتهام سليم الثالث بأنه لم يعد حاميا للدين وأنه واقع تحت السيطرة الأوروبية ، فتم عزله فى ١٨٠٧/٥/٢٩ م .

ثم تنتقل إلى مرحلة السلطان محمود الثانى الذى تولى حكمه فى بداية القرن ١٩م . فى هذه الفترة لعب الخبراء الأجانب دوراً فى التأثير على عقلية الشباب فى " النظام الجديد " وظهرت نواة من المثقفين والمفكرين المتأثرين بالفكر الأوروبى، وكان السلطان محمود الثانى يعرف بين المؤرخين بلقب بطرس الأكبر وبعضهم شبهه بالملك هنرى الثامن^(١) .

وتمت فى هذه الفترة صياغة اتفاق بين الهيئة الحاكمة وأمرأه الإقطاع، وقد نتج عن هذا الاتفاق أن أنشأ قوة نظامية جديدة وذلك عام ١٨٢٦ أطلق عليها النظام الجديد وقد كانت محاولة لتحديد المسؤوليات الشخصية والمتطلبات المتبادلة لطبقات الدولة بمصطلحات جديدة^(٢) ومن ناحية أخرى قام السلطان محمود الثانى بمحاصرة ثكنات الإنكشارية فألغى اسمها وملابسها واصطلاحاتها ، ونجح فى تحطيم قوة الإنكشارية. كما أصدر خطأ همايونياً حل فيه الطريقة البكتاشية ولما كانت البكتاشية، هى الطريقة الرسمية للدولة فقد استبدلها السلطان محمود الثانى بالطريقة النقشبندية بديلاً للبكتاشية المنهارة. وقد أعدم ثلاثة من زعمائها لكونها القوة المعنوية للإنكشارية^(٣) وبدأ فى تشكيل الجيش على النمط الأوروبى^(٤) وبذلك تقلص نفوذ الهيئة الإسلامية.

وشهد عهد السلطان محمود الثانى صعود رجال الدولة وتحكمهم فى مصير الدولة على النمط العلمانى، بعد أن كانت شئون الدولة تدار عن طريق هيئتين هما الصدر الأعظم وشيخ الإسلام^(٥). ثم قام محمود الثانى بتأسيس "ديوان الأحكام العدلية" عام ١٨٣٧م لدراسة الشئون القانونية والتشريعية، . كما وضع الأوقاف تحت إشرافه بدلاً من إشراف المفتى وعلماء الدين وأنشأ إدارة للأوقاف، وكانت هذه الخطوة ضربة إلى

(١) سليم الصويص، مرجع سابق، ص ٢١.

(٢) الطنوبى، مرجع سابق، ص ٢٠.

(٣) سليم الصويص، مرجع سابق، ص ٢٠.

(٤) الطنوبى، مرجع سابق، ص ٢٠.

(٥) كان شيخ الإسلام فى الدولة العثمانية هو أعلى مرجع فى كل ما يتعلق بأمور الشريعة الإسلامية، ولا تملك أى جهة فى الدولة حق إصدار قرار إلا بفتوى منه، ومن اختصاصه إعلان الجهاد أو خلع الخليفة .. انظر الشوابكة، مرجع سابق، ص ٣.

نفوذ علماء الدين. ثم أسس مدارس علمانية إلى جانب المدارس الدينية، وتأسست مدارس للتعليم العالي لتخريج عناصر على النظام الاجتماعي العلماني من محامين وأطباء ومهندسين ، كما تأسست مدرسة للترجمة كانت تلقن فيها اللغة الفرنسية والتاريخ والرياضيات . أيضا افتتحت مدرستان عسكريتان عام ١٨٣٤م على التقاليد الجديدة إحداهما للبحرية والأخرى للهندسة ، وتحطمت الروابط بين المؤسسات العسكرية والمؤسسات الدينية ، وتم إرسال أعداد من طلبة مدارس الطب والهندسة والعلوم العسكرية إلى أوروبا ، وكان ذلك عام ١٨٣٥م^(١) .

أما من ناحية التغييرات الاجتماعية في عهد محمود الثاني فقد بدأ الأتراك يرتدون البنطال ، وأصبحت الموسيقى الغربية تسمع في شوارع إسطنبول، حتى إن السلطان محمود نفسه طور لباسه فقص لحيته وارتدى البنطال وكان أول سلطان يشهد الاحتفالات العامة والأوبرا وحفلات رقص الباليه التي كانت تعرض في السفارات الغربية ، واستقدم الموسيقيين الغربيين . كما أن الاستقبالات أصبحت تتم وفقاً للتقاليد الأوروبية بدلاً من العثمانية^(٢) . " لقد فتن المتفرجون من الترك بتقليد الأوروبيين في نظم حكوماتهم وقوانينها وفي أزيائهم وعاداتهم في مجامعهم وأكلهم وشربهم ولهوهم ولعبهم، فجروا على ذلك جيلاً بعد جيل وهم يزدادون ضعفاً وفقراً. إن التقليد الأعمى لا يأتي بخير ، ومن غريب هذا التقليد أن أنفع ما أخذته الدولة عن أوروبا هو النظام العسكري لا تزال عالة على الأوروبيين فيه إلى هذا اليوم ، فلم تكن مستقلة دونهم بعلم ولا عمل ولا صناعة"^(٣) .

" كانوا كلما فشلوا وخابوا في تجربة من تجارب التفرنج يحسبون أن سبب ذلك من رسوخ الاستبداد في سلاطينهم ، وجزموا بأن التفرنج المطلوب لا يتم إلا بترك التقليد بالإسلام في حكومتهم"^(٤) .

وكان نتيجة هذه الفترة أن انفتح المجال لحركة الاقتباس عن الغرب، وتم القضاء على سلطة الإنكشارية واستبدال الجند النظامي بهم ، وضعفت قوة العلماء، كما أعاد السلطان محمود افتتاح السفارات العثمانية في العواصم الأوروبية عام ١٨٣٤م وأصبحت مراكز لتدريب مصلحي القرن ١٩ الميلادي أمثال مصطفى رشيد وعالي فؤاد اللذين لعبا دوراً كبيراً في فترة التنظيمات .

وعند قيام عبدالمجيد بمهام الحكم (١٨٣٩-١٨٦١م). ظهر تأثير الغرب على الدولة من الناحية السياسية، وتابعت روسيا وفرنسا وبريطانيا سياستها على أساس

(١) الطنوبى ، مرجع سابق ، ص ٢٣ .

(٢) Lewis, B., The Emergence of Modern Turkey. p. 101. عن الطنوبى ، ص ٢٣.

(٣) مجلة المنارة، ج ٤ ، م ٢٥ ، ١٩٢٤م، ص ٢٧٤ .

(٤) نفس المرجع السابق، نفس الصفحة .

المطالبة بحق حماية المجتمعات الأرثوذكسية والكاثوليكية في الدولة، وفي عهدة أعلنت التنظيمات^(١).

كانت المهمة التي تواجه مصلحي تلك الفترة ليست مجرد إدخال تغييرات عسكرية أو مهارات أو تقنيات مدنية، لكنها كانت تعنى خلق دولة جديدة ومجتمع علماني لا يلتفت إلى الاعتبارات الدينية التي كانت هي أساس الدولة. وكان لابد من الاتجاه نحو فصل الدين عن الدولة، الأمر الذي جعل الرأي العام التركي في ذلك الوقت ينادي بضرورة التخلص من أعداء الدين من الأوربيين، وأيضا بالتخلص من "رشيد باشا" الذي اعتبروه كافرا، والذي بدوره وضع قانونا للعقوبات لتنفيذ الشرائع الحديثة بمساعدة من فرنسا، وكان ذلك عام ١٨٤٠م فاشتدت المعارضة ضده وتم عزله عام ١٨٤١م. ثم تولى بعده "رضا باشا" الذي سار على نهج رشيد باشا، ثم عاد رشيد باشا مرة أخرى وتولى الشؤون الخارجية عام ١٨٤٥م، وخلال هذا العام تم إنشاء مجمع نواب الولاية وتم تنظيم شئون الدولة وفق المنهج الغربي في الإدارة، وحل نظام الباب العالي بديلا عن نظام الديوان.

كما تم إنشاء جامعة ومدارس للتعليم الثانوي، وتقرر إنشاء محاكم مدنية مختلطة عام ١٨٤٧م وكانت مناصفة بين المسلمين العثمانيين وغير المسلمين العثمانيين، وترأست سلطة مشيخة الإسلام إلى الدرجة الثانية من حيث النفوذ والاعتبار^(٢) ونتج عن ذلك إصدار أول قانون علماني هو قانون التجارة سنة ١٨٥٠م المأخوذ من القانون الفرنسي الذي صدر عام ١٨٠٧م.

بعد ذلك اتسع نفوذ المنصرين الأمريكيين خلال عام ١٨٤٠م-١٨٥٠م وكثر تدخلهم في شئون الدولة، ولم تستطع الدولة اتخاذ إجراء ضدهم، حيث إنهم كانوا يدخلون البلاد على أنهم رعايا ثم يقومون بالتنصير، وإذا قابلوا مراقبة من الدولة يلجئون إلى قناصلهم^(٣) وكان النشاط التنصيري مستترا وراء النشاط التعليمي والثقافي، وقد تركز النشاط التنصيري بكثرة في الشام نظراً لكثرة المسيحيين هناك.

وفي ١٨ نوفمبر سنة ١٨٥٦م صدر خط همايون جديد يختلف عن خط شريف كلخانة الصادر في عام ١٨٣٩م حيث كان أكثر دقة وعصرية عنه، وكان خط شريف كلخانة قد قرر المساواة بين الرعايا وإنشاء كنائس جديدة، وأعطى الحق لغير

(١) ينقل على رشاد عن بعض الوزراء العثمانيين قولهم: "إن التنظيمات كانت باعثة على النكبة في حياة المجتمع العثماني" انظر على رشاد، تاريخ عثماني، مرجع سابق، ص ٧٦٨.

(٢) السلطان عبد الحميد، مذكرات، ترجمة وتحقيق محمد حرب، دار الوثائق، الكويت، بدون تاريخ ص ٣ - ٤.

(٣) مصطفى الخالدي، وعمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، ص ٥٤، ١١٦، انظر الطوبى، ص ٢٨.

المسلمين في قبولهم في المدارس الملكية والعسكرية، وإحالة الدعاوى التجارية والجنائية التي تقع بين المسلمين وغيرهم إلى المحاكم المختلطة، وتجنيد المسيحيين في الخدمة العسكرية ، والسماح للأجانب بامتلاك العقارات . إلا أن خط همايون الجديد الذي صدر عام ١٨٥٦م قد تميز عنه أنه كان أكثر اقتياساً من الغرب ، ولم يستشهد بأية قرآنية أو قوانين الدولة القديمة، وشهدت هذه الفترة انهياراً في التشريع الإسلامي. وفي عام ١٨٥٧م تولت وزارة المعارف أمور المدارس وتحولت من السيطرة الدينية إلى العلمانية^(١) وظهرت مؤلفات " لروسو" و" فولتير " و"مونتسكيو" أثرت على الطلاب الذين ذهبوا إلى بلادهم واختلطوا بطلاب الأمم الأخرى^(٢) .

وفي عام ١٨٥٨م صدر قانون الجزاء العثماني الذي استمد أحكامه من القانون الفرنسي ، هذا إلى جانب القانون البحري الذي صدر عام ١٨٦٣م وكان تطبيق هذه القوانين في محاكم مدنية تحت إشراف وزير العدل .

ثم تلت هذه المرحلة مرحلة أخرى كانت أكثر تدخلا من قبل الدول الغربية في شئون الدولة التشريعية ، وهي مرحلة السلطان عبدالعزیز الذي تولى الحكم في الفترة بين ١٨٦١م-١٨٧٦م ويتميز هذا العهد بتعاون بريطانيا وفرنسا مع الدولة العثمانية في حرب القرم ، ومنح الدولة القروض ، وإقامة خطوط السكك الحديدية ، وتأسيس البنك العثماني سنة ١٨٦٣م تحت إدارة أوروبية^(٣) .

وفي عام ١٨٦٧م تم السماح للأجانب في تملك العقارات بعد أن كانت ممنوعة ماعدا أراضى الحجاز . وخلال هذه الفترة أيضاً تم افتتاح مدارس ومعاهد تنصيرية مثل معهد "روبرت" عام ١٨٦٣م والمدارس الفرنسية الكاثوليكية والانجليزية والأمريكية والألمانية والإيطالية . كما صدر عام ١٨٦٩ قانون الجنسية والذي يعطى اليهودي والمسيحي حق التمتع بالجنسية العثمانية، حيث تكون له سائر الحقوق مثل المسلم العثماني^(٤) .

وشهد عام ١٨٦٨م خطوة هامة في طريق العلمانية، وهي انقسام مجلس الأحكام العدلية إلى هيئتين : الأولى ديوان الأحكام العدلية والأخرى شورى الدولة، وأساسهما هو الفصل بين السلطات التنفيذية والتشريعية والدينية والمدنية^(٥) .

(١) الطنوبى ، مرجع سابق ، ص ٣٠ .

(٢) سليم الصويص ، مرجع سابق ، ص ٢٦ .

(٣) الطنوبى ، مرجع سابق ، ص ٣١ .

(٤) انظر ، الطنوبى ، مرجع سابق ، ص ٣٢ .

(٥) انظر الطنوبى ، ص ٣٢ . 119. Berkcs, p .

ومنذ عام ١٨٦٩م بدأ العمل في مجلة الأحكام العدلية والتي رأسها أحمد جودت باشا^(١) (١٨٢٢م-١٨٩٥م) وقد حاول شيخ الإسلام حسن فهمي في ذلك الوقت معارضة المجلة من حيث أنها تسلب منه اختصاصاته، لكن المجلة لم تتوقف وصدر عنها ستة عشر كتاباً، والمعروف أن "مجلة الأحكام العدلية" جرى العمل بها بين عام ١٨٦٩م-١٨٧٦م وتسير وفق المذهب الحنفي^(٢).

وفي عام ١٨٧٢م أنشئت محاكم نظامية مدنية تطبق أحكام مجلة الأحكام العدلية واستعانت ببعض أحكام من القانون الفرنسي. وخلال هذه الفترة أيضاً تم افتتاح خط اتصال تلغرافي مع لندن، وشيدت الطرق الحديدية والموانئ، وبدأت تتأسس الشركات الاقتصادية والبنوك وشركات التأمين وتبادل الأسهم. واجتذبت المدن الأوربيين الذي جاءوا للسكن فيها. كما تميز عهد عبدالعزيز بظهور الحركة الليبرالية وانتشار الترجمات الأوربية، ويعتبر عام ١٨٥٩م بداية تأثر الأدب التركي بالأدب الأوربية.

ومع ظهور العثمانيين الجدد ظهرت المسألة الدستورية ونجحت في بداية عهد عبدالحميد الثاني، وقد أطلق على هذه الفترة من تاريخ الدولة: "العهد الدستوري الأول". وكان أبرز ما في بداية عهد السلطان عبدالحميد الثاني ١٨٧٦م-١٩٠٨م هو صدور فرمان ١٨٧٦م ومعه قانون أباح حرية التعليم وحرية المطبوعات والمساواة أمام القانون، وأن جميع الرعايا في الدولة يطلق عليهم اسم عثمانى وجاء فيه: "إن الدين الرسمي للدولة هو الإسلام، واللغة الرسمية التركية". وقد أُنِيع هذا الدستور رسمياً فقد أطلقت المدافع استبشاراً بهذا القانون الجديد^(٣). وقد استوحى هذا الدستور من الدستور البلجيكي بعد أن كان الإسلام هو دستور الدولة. وكان يهدف هذا الدستور الجديد إلى تقييد سلطة السلاطين، فما لبث السلطان عبدالحميد أن قام بعزل "مدحت باشا" ونفيه بسبب محاولاته فصل السلطة الدينية عن الدنيوية. وقد كانت مهمة السلطان عبدالحميد

(١) أحمد جودت باشا (١٨٢٣ - ١٨٩٥م) : ولد في بلغارستان في ٢٦ مارس ١٨٢٣ في مدينة لوفج واسمه الأصلي أحمد، إلا أنه تعلم في حي جودت في إسطنبول على يد الشاعر سليمان فهمي ١٨٤٣م وأظهر اهتماماً كبيراً باللغة العربية والعلوم الإسلامية في مراحل تعليمه الأولى، وتعلم على يد كثير من العلماء العظام كملجم باش وغيرهم، وبعد أن أتم تعليمه وذاعت شهرته صار رئيساً لجمعية مجلة الأحكام العدلية ووفق في نشر الكثير من الكتب القيمة، وعين والياً على بورصة، وله تسعة عشر مؤلفاً في شتى علوم اللغة. Islam. Ansiklopedisi, Cevdet Pa'a Mad., Türkiye Diyanet Vakfı, c. 7, Istanbul, 1993, s. 443 - 450.

وبعد أحمد جودت باشا أشهر مؤرخي الدولة العثمانية في القرن ١٣هـ، وهو مترجم "ابن خلدون" إلى اللغة التركية، وهو راند ومؤسس الفكر القانوني الإسلامي. (انظر ماجدة مخلوف، أحمد جودت باشا ودور مجلة الأحكام العدلية في التقنين، المجلة العربية، الرياض، ١٩٨٧م).

(٢) الطنوبي، ص ٣٣. دائرة المعارف الإسلامية، حسن فهمي، مجلد ١٤، ص ٣٣٦ - ٣٣٨.

(٣) محمد فريد، الدولة العلية، مرجع سابق، ص ٣٢٩.

شاقة ؛ حيث أنه كان عليه مواجهة نفوذ الصلور العظام ومحاولاتهم السيطرة على منصب السلطان ، ومواجهة خطر جماعة تركيا الفتاة ومحاولاتهم وضع الدولة فى نظام برلمانى غربى، ومن ناحية أخرى كانت الدولة فى حالة حرب مع الصرب والجل الأسود ، وكان الروس على وشك إعلان الحرب، فلم يجد السلطان عبد الحميد أمامه سوى عقد معاهدة سميت "سان ستفانو" فى مارس ١٨٧٨م. وقد كانت أكثر المعاهدات ضررا للدولة العثمانية أملتأها دولة منتصرة على دولة منهزمة^(١) وبسبب هذه المعاهدة طالبت الدول الكبرى بامتيازات لها على حساب الدولة العثمانية، فاحتلت بريطانيا قبرص عام ١٨٧٨م ومصر عام ١٨٨٢م واحتلت فرنسا تونس عام ١٨٨١م ، وقد اعتمد السلطان عبد الحميد فى سياسته على الإيقاع بين القوى العالمية لتدخل حرب فيما بينها ، وقد استمرت سياسة عبد الحميد هذه نحو ٣٣ عاما^(٢) كما عمل على تقوية الإسلام فى الصين والهند وجاوة، وأرسل العلماء والسفراء المسلمين إلى اليابان وأمريكا من أجل تقوية الجامعة الإسلامية ، وإزاء سياسة عبد الحميد هذه تحولت تركيا الفتاة إلى حركة سرية كانت تهدف لعزل عبد الحميد، وقد عرفت هذه الحركة فى البداية باسم "ترقى واتحاد" وقد نشأت هذه الجمعية فى البداية فى المدرسة العسكرية الطبية حيث إنها كانت تقوم على أسس أوربية، وكان ارتباط طلاب هذه المدرسة بالاتجاهات الأوربية إرتباطا كبيرا. لكن السلطان عبد الحميد تصدى لأفكار القومية والعصبية الجنسية وقد عرف بوجودها عام ١٨٩٢م عن طريق رجاله السريين فدعا أعضاءها لمغادرة البلاد وقد ذهب بعضهم إلى باريس^(٣) وكان المسلمون يرسلون إليه من كل بقاع الأرض يعلنون ولاءهم له وتعلقهم بالجامعة الإسلامية، وقد استجمع السلطان عبد الحميد همته فى الدعوة لها وتجميع المسلمين من كافة بلاد العالم، حتى إن المانيا عدوة إنجلترا وفرنسا فى ذلك الوقت كانت تؤيده ، وقد كتبت "د.المادلتن" فى كتابها عن السلطان عبد الحميد أنه كان مؤيدا من أربعين ألفا من الدعاة للوحدة الإسلامية، من طلبه المعاهد الإسلامية وقد وصف جمال الدين الأفغانى السلطان عبد الحميد بقوله : "إن السلطان عبد الحميد لو وزن مع أربعة من نوابغ رجال العصر لرجحهم ذكاء ودهاء وسياسة"^(٤) وبدأت الجمعية (تركيا الفتاة) تأخذ شكلا جديدا حيث بدأ أعضاؤها ينشرون خارج تركيا ويتمركزون فى أوروبا ، وقاموا بتدبير العديد من المؤامرات لعزل عبد الحميد لكنها فشلت، وكانت تروج المنشورات وتثير العداء ضد الدولة العثمانية،

(١) النظر الطنوبى ، مرجع سابق، ص ٤٥.

(٢) محمد حرب، مذكرات السلطان عبد الحميد، مرجع سابق، ص ٦٢ - ٦٣.

(٣) أرست رامزور، تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٨م، ترجمة د. صالح أحمد العلى، مؤسسة فرنكلين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ، ١٩٦٠م، ص ١٢.

(٤) أنور الجندى، مرجع سابق، ص ٩٩ - ١٠٠.

وتدعو للقومية والمناداة بفصل الدين عن الدولة واتهام تركيا باغتصاب الخلافة من العرب، واتهموا السلطان عبدالحميد باستحواذه على السلطة .

وعلى صعيد آخر ظهرت جبهة أخرى معادية للسلطان عبدالحميد فى مصر والشام تزعمها عبدالرحمن الكواكبي ، حيث هاجم السلطان والحكم العثمانى، ونادى بجعل الخلافة فى العرب والسلطنة فى الترك . ومن ناحية أخرى كان رفض عبدالحميد للمطالب الصهيونية عاملاً كبيراً فى المطالبة بتحطيم الدولة العثمانية حتى تستطیع الصهيونية إقامة حكومة لها فى فلسطين^(١) ورغم هذه الصعوبات فقد استطاع عبد الحميد فى نهاية القرن ١٩م القيام بالدعوة للجامعة الإسلامية إلى مدى بعيد ، كما أنه استطاع مد الخط الحديدي الذى يربط بين دمشق والمدينة المنورة .

شهد بداية القرن الـ ٢٠م ازدياد النشاط الماسوني، كما تأسست الجمعيات منها "النهضة العربية" و"رابطة العالم العربى" التى دعت إلى الوطنية وحاربت فكرة الجامعة الإسلامية ، وتكونت جمعيات إرهابية مسيحية لأجل هذا الغرض أيضاً . وقد نجحت الحملات العلنية والسرية التى عملت على تقويض حلم عبدالحميد وقاموا بثورة عسكرية ، وعبر عن هذه الثورة "بالانقلاب الدستوري" وكان أصحاب هذه الثورة من يهود الدنمة والماسون .

ومن هنا نجد أن الفترة بين ١٨٧٦م حتى ١٩٠٨م كانت مرحلة صراع بين الفكر الإسلامى والفكر القومى ، وقد فاز القوميون ، وكانت الظروف أقوى من جهود السلطان عبد الحميد ، فكان مواجهة حركة تركيا الفتاة فى الخارج والحركة القومية التى امتدت إلى العرب والحركة الصهيونية التى أرادت تقويض حكم عبد الحميد حتى تقيم دولتها فى فلسطين ؛ كل هذا كان له الأثر الكبير فى عزل عبد الحميد ، وتولى الاتحاديون مقاليد الدولة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى .

وقد كان انقلاب الإتحاديين عام ١٩٠٨م بداية مرحلة جديدة فى تركيا ، فبعد أن كانت الجامعة الإسلامية هى محور السياسة الداخلية للدولة فى عهد السلطان عبد الحميد ، نجدها على أيدى الإتحاديين قد اختلطت بتيارات فكرية وسياسية ، وكان الإتحاديون يشكلون عنصر المعارضة الأساسى لسياسة السلطان عبدالحميد.

وقد بدأت أولى خطوات الإتحاديين فى السيطرة على الدولة وإسقاط السلطان عبد الحميد بإحداث انقسام فى الجيش عن طريق تسريح عدد كبير من كبار الضباط^(٢)، وقد نتج عن هذا أن قامت الكثير من المظاهرات ضد الإتحاديين نادت

(١) انظر، محمد حرب، السلطان عبد الحميد، مرجع سابق، ص ٢٣١ - ٢٣٥.

(٢) أحمد فهد الشوابكة، رسالة ملجستير، ص ٣٠٥.

بتحكيم الشريعة وحماية السلطان ، إلا أن الاتحاديين قرروا خلع السلطان عبد الحميد بعد استصدار فتوى من شيخ الإسلام وتولية أخيه محمد رشاد^(١) وقد عمل اليهود مع الاتحاديين في سبيل الوصول إلى أهدافهم وإزالة القيود التي كانت في وجه استيطانهم في فلسطين . وسلك الاتحاديون سياسة عنصرية متطرفة نادوا خلالها بتفوق العنصر التركي والاستخفاف بالعنصر العربي ، وتشددوا في فرض اللغة التركية في المدارس والجهات الحكومية، ورفضوا الاستدعاءات والمرافعات بالعربية . وعندما أدلى وزير الاوقاف وكان عربياً بياناً بالتركية وختمه بدعاء باللغة العربية ، ثار نوابهم بأنه لا يجوز الكلام في المجلس بغير التركية^(٢) وتم استبدال العرب الذين يشغلون مناصب في الدولة بأتراك ، وأمروا بمعاملة بلاد اليمن والحجاز كمستعمرات تركية، وتعميم اللغة التركية وإحلالها محل اللغات الأخرى ، وأفسحوا المجال أمام كل من يهاجم الإسلام ويحقر من رجاله وضرر سياسته في الجامعة الإسلامية ، وصار كتاب تركيا يسقطون اسم الدولة العثمانية ويسمون العلم العثماني بالعلم التركي . وقد فشل الاتحاديون في جنى ثمار سياسة الجامعة الإسلامية بسبب سياستهم المعادية للأفكار والتقاليد الإسلامية، وقد أسفرت سياستهم عن تصفية أكثر ممتلكات الدولة العثمانية في الشرق والغرب . وقد تسبب حزب الاتحاد والترقي وحكمه للبلاد وصغر سن الضباط الأحرار وقلة تجاربهم إلى دخول البلاد الحرب العالمية الأولى مما أثر في كيانها ، وانتهى هذا الوضع بهزيمتها في هذه الحرب واحتلال الجيوش الأوربية للدولة العثمانية ، فاحتلت إنجلترا استانبول وقبرص ومصر ، وشاركت فرنسا في احتلال استانبول والجزائر وتونس ، واحتلت إيطاليا طرابلس وإيطاليا ، واحتلت اليونان أزمير .

* * *

٢ - انبثاق الحركة الكمالية :

أدى وضع الدولة في ذلك الوقت نتيجة دخول الحلفاء البلاد إلى انبثاق حركة تستهدف الحفاظ على كيان الدولة من الاحتلال الأجنبي وإنقاذها من الانهيار الذي كادت أن تقع فيه^(٣) وقد تشكلت الجمعيات الشعبية لمقاومة المحتلين الأوربيين منها "جمعية تراكية" في أدرنه، وجمعية "الدفاع عن الولايات الشرقية" ، وجمعية " حفظ الحقوق " ، وجمعية "اللامركزية"، وجمعية "تعالى الإسلام" .

(١) انظر الشوابكة، هامش ، ص ٣٠٦ .

(٢) مجلة المنار، ج ٧ ، م ١٢ ، ويشتمل هذا المجلد على سنوات ١٩٠٧ ، ١٩٠٨ ، ١٩٠٩ ، ١٩١٠ ، ١٩١١ ، ص ٥٠٨ .

(٣) محمد عزة دروزة، مرجع سابق، ص ٩ .

ووسط هذه الأحداث والظروف برز على الساحة السياسية والعسكرية الرجل الذى استطاع أن يقود حركة المقاومة والذى ارتبطت باسمه الدولة، وكان هذا الرجل هو مصطفى كمال الذى ينسب إليه الكماليون. " والكمالون هم الاتحاديون، فقد كان الاتحاديون ينسبون إلى معنى، فصار الكمالون ينسبون إلى شخص، وحل اسم حزب الشعب محل اسم جمعية الاتحاد والترقى، وحل اسم مصطفى كمال باشا وعصمت باشا محل طلعت باشا وجمال باشا والدكتور ناظم وغيرهم ". غير أن الكماليين كانوا أكثر جرأة من الاتحاديين^(١) وقد كان مصطفى كمال فى ذلك الوقت ضابطاً يشغل رئاسة أركان الحرب، وكان رئيساً لكلية الضباط فى "سالونيك" حيث أعاد تنظيمها من جديد، وكان يوجه الانتقادات اللاذعة لمن هم فى مراكز الحكم^(٢) وقد كانت هناك فكرة إبعاد مصطفى كمال عن الأستانة التى كانت عاصمة الدولة وإرساله إلى "صامسون" من قبل الحكومة لتتجنب خطورته على الدولة، فرحب مصطفى كمال بهذه المهمة واعتبرها فرصة يتمكن منها أن تكون له صفة رسمية وصلاحيات، حيث كان عليه توجيه أربع فرق عسكرية كان يرأسها ويكون على اتصال رسمى بالقواد والولاء فى الأناضول^(٣). وبدأ عمله فى "صامسون" عام ١٩١٩م وكان هذا التاريخ هو بداية الحركة الكمالية والعهد الكمالى الحديث، حيث كانت معنويات الشعب التركى منهارة فى ذلك الوقت، وكانت الجمعيات والأحزاب لا تجد أمامها سوى حلان: إما الحماية أو الانتداب، حتى يمكن تجنب تقسيم البلاد، أو اختيار الطريق الأصعب وهو حفظ الكيان التركى مع ظروف الدولة القاسية فى ذلك الوقت^(٤).

وكان قرار تأسيس دولة تركية مستقلة هو اختيار الطريق الصعب وتولى مصطفى كمال هذه المهمة.

بدأ مصطفى كمال أولى خطوات حركته بمهاجمة اليونانيين الذين احتلوا أزمير، وكان هجومه عن طريق الخطب واستنهاض القوى الوطنية لمواجهة الموقف، وقد رأى رجال الجيش والحكومة فى مصطفى كمال أنه مخلص الأمة للحصول على استقلالها. ومن ناحية أخرى تغلب مصطفى كمال على الصعاب التى واجهته وحاول إرضاء السلطان على اعتبار أنه الشكل الرسمى للبلاد، وحتى يتجنب إثارة الشعب ضده^(٥).

(١) المنار، ج ٤، م ٢٥، الكمالون والاتحاديون، ص ٢٨٠.

(٢) مصطفى الزين، ذنب الأناضول، رياض الريس للكتب والنشر، لندن - قبرص، ١٩٩١م، ص ٤٥ - ٤٦.

(٣) محمد عزة دروزة، مرجع سابق، ص ١٥.

(٤) نفس المرجع، ص ١٥.

(٥) نفس المرجع، ص ١٤ - ٢٠.

قام مصطفى كمال بتشجيع عقد المؤتمرات من أجل توطيد زعامته، وكان أول مؤتمر يعقد من أجل هذا الغرض هو مؤتمر أرضروم الوطنى الذى عقد فى يوليو ١٩١٩م وقد وضع هذا المؤتمر نظاما للحركة الاستقلالية ومنهاجاً لأهدافها . ونص هذا المؤتمر على مكافحة البلاد ضد أى اعتداء أجنبى ، وأكد على فكرة الحكم للشعب فى البلاد .

وأعقب هذا المؤتمر " مؤتمر سيواس " الذى عقد فى سبتمبر ١٩١٩م وقد كان أوسع وأشمل من سابقه حيث حضره مندوبون من جميع أنحاء الأناضول ، وكان هناك ممثلون لكل منطقة، وقد أقر هذا المؤتمر منهاج مؤتمر أرضروم^(١) .

وبعد هذين المؤتمرين استمر مصطفى كمال فى تقوية الجمعيات العسكرية الشعبية لمقاومة الاحتلال ، وقد حصل على بعض النجاح فى إجلاء القوات الفرنسية والانجليزية عن مناطق الاحتلال^(٢) .

وفى عام ١٩٢٠م تم توقيع "معاهدة سيفر"^(٣) وكانت بين الحكومة العثمانية وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا ، ووقعت هذه المعاهدة فى باريس ، وكان من أهم بنودها :

- ١ - جعل منطقة أزمير تابعة للدولة العثمانية مع إبقاء حامية يونانية .
- ٢ - قيام حكومة كردية فى الولايات الشرقية والجنوبية .
- ٣ - لكل عثمانى حق التحول إلى رعاية إحدى الدول الحليفة .
- ٤ - لكل خريج مدرسة أجنبية حق العمل فى الدولة سواء كان عثمانياً أو من رعايا الدول الحليفة .
- ٥ - للأقليات الدينية حق إنشاء المدارس والمعابد ومؤسسات دون تدخل من الدولة .
- ٦ - للحلفاء حق وضع قرار تأمين حقوق الأقليات العنصرية والدينية .
- ٧ - تكوين لجنة إيطالية ، إنجليزية ، فرنسية لتنظيم مالية الدولة يعين بها مندوب للدولة ويكون رأيه استشارياً فقط .
- ٨ - منع الدولة من إقامة أية استحکامات عسكرية .
- ٩ - إلغاء التجنيد الإجبارى .

(١) محمد عزة دروزة، مرجع سابق، ص ٢٠ - ٢٧.

(٢) نفس المرجع ، ص ٢٨.

(٣) مصطفى الزين، مرجع سابق، ص ١٥٩.

١٠ - عدم إلغاء الامتيازات الأجنبية التي أعلنتها الدولة أثناء الحرب .

وأصبحت هذه المعاهدة بشروطها الجائرة سلاحاً في يد مصطفى كمال ضد الحكومة العثمانية والسلطان والحلفاء^(١) وقد احتج مصطفى كمال على الحكومة وقتها مما أوقع الصدر الأعظم في ذلك الوقت "فريد باشا" في حرج شديد . وقد أصر الحلفاء على ضرورة اعتراف أنقرة "بمعاهدة سيفر" سائلة الذكر وتطبيق أحكامها حتى يمكن النظر في تعديلها، إلا أن المفاوضات الأتراك رفضوا الاستجابة ومن هنا كان موقف الحكومة مع الحلفاء نصراً للحركة الاستقلالية التركية^(٢) .

وفي نوفمبر عام ١٩٢٢م قام السلطان وحيد الدين بمغادرة الأستانة، وقد استصدر مصطفى كمال فتوى في هذا الوقت بخلع وحيد الدين من الخلافة وذلك بسبب خضوعه للأعداء وتنصيب السلطان عبدالمجيد خليفة بدلاً منه، ووافق المجلس الوطني على هذا . وعلى الرغم من ذلك فقد أكد مصطفى كمال أن منصب الخليفة ما هو إلا رمزي وليس لصاحبه القدرة على العمل، وأن الحكم للوطن التركي فقط ، وأن الأمة لن تسلم زمامها لشخص^(٣) .

وفي يوليو ١٩٢٣م وقعت " معاهدة لوزان " بين وفد الحكومة الكمالية برئاسة عصمت باشا (إينونو) وبين مجموعة الدول الأوروبية، وكانت خطوة هامة فتحت الباب لتركيا الحديثة في الظهور، حيث اعتبرها الأتراك نصراً للحركة الاستقلالية من أجل الحصول على الحرية والاستقلال ، وكان من أهم بنودها ما يلي :

١- إعادة جميع ولايات أدرنة للدولة.

٢- الجلاء عن كل الأماكن المحتلة في البلاد.

٣- القضاء على مشروع المنطقة الدولية للمضائق.

٤- القضاء على مناطق النفوذ الأجنبية والإيطالية والفرنسية.

٥- إلغاء مشاريع المراقبة والتدخل المالي.

٦- إعادة بعض جزر البحر الأبيض إلى الدولة .

وفي أوائل أغسطس عام ١٩٢٢م صدقت الجمعية الوطنية على " معاهدة لوزان " وانسحبت الجيوش الحليفة منها^(٤). وتعتبر " معاهدة لوزان " حداً فاصلاً بالنسبة للدور

(١) محمد عزة دروزة، مرجع سابق، ص ٤٠.

(٢) نفس المرجع ، ص ٤٥.

(٣) نفس المرجع ، ص ٥٧.

(٤) مصطفى الزين، مرجع سابق، ص ٢٠٧.

الذى قامت به الحركة الكمالية من أجل استقلال البلاد ونصرا كبيرا للكماليين^(١) . ولم تكن هذه المعاهدة سوى صفقة من الصفقات أعطت الوطن استقلالا سورياً وكان الإسلام هو ضحية هذه المعاهدة^(٢) .

وقد كانت الصفات التى يتمتع بها الشعب التركى من تحد وقوة قد ساعدت أتاتورك فى تحقيق النجاح ، هذا إلى جانب العوامل السياسية التى كان لها أثرها فى استقلال البلاد والتى ترجع إلى التفكك والخلاف الذى حدث بين الحلفاء ، وإنهائهم فى الحرب التى خاضوها ، وقد تجنبوا حشد جيوش جديدة فى تركيا وتركوا المهمة لليونان التى لم يكن جيشها فى ذلك الوقت مجهزا مثلما كان الجيش التركى . هذا إلى جانب مزايا الأمة التركية القوية من الجندية والطاعة من ناحية ووحدتها فى الجنس واللغة والدين من ناحية أخرى ، ومن جانب آخر كانت الأناضول تتمتع بطبيعة جغرافية ساعدت على تماسك أجزائها ، وذلك من حيث اتساعها وامتلاكها جيشاً مزوداً بالآلاف الضباط وعشرات الآلاف من المجندين المدربين تدريباً عالياً^(٣) .

* * *

٣ - قيام الجمهورية :

كان مصطفى كمال مشغولاً بتنظيم حزب الشعب، فأدرك النواب خطورة خطته السياسية التى يدبرها مصطفى كمال للانفراد بالحكم ، فأرسلوا إليه يطلبون منه التحدى من رئاسة الحزب بحجة أن رئيس الدولة ينبغى أن يظل فوق الأحزاب، لكن مصطفى كمال عارضهم قائلاً : "لا يمكن أن توجد أحزاب تناوئنا، ويهمنى من وجهة الكرامة أن أظل زعيماً لحزب الشعب ورئيساً للدولة فى وقت واحد " ، وكان هذا الجواب تحدياً للجمعية الوطنية ، وبدأ زملاؤه . يتكثرون ضده بزعامة " رؤوف " ، وكان بينهم " رحمى " ، " وعدنان " ، " وكاظم قره بكير " ، " ورفعت " ، " وعلى فؤاد " ، " ونور الدين " ولم يبق بجانبه سوى " عصمت " و" فوزى " بينما كان الجيش يؤيده^(٤) .

وبينما كان " مؤتمر لوزان " منعقداً كانت مسألة الجمهورية قد دخلت حيز التنفيذ، وبعد موافقة المجلس على " معاهدة لوزان " عام ١٩٢٣م فى أغسطس، أدلى مصطفى كمال بحديث مع إحدى الصحف يوم ٢٢ اغسطس ١٩٢٣م قال فيه : (إن خطوات

(١) نفس المرجع ، ص ٢١٠ .

(٢) إبراهيم الدسوقي شتاء، الحركة الإسلامية فى تركيا، الزهراء للإعلام العربى ، القاهرة ، ١٩٨٦م ، ص ٣٢ .

(٣) محمد عزة دروزة ، مرجع سابق ، ص ٦١ .

(٤) هـ. س. أرمسترونج، النائب الأخير مصطفى كمال ، دار الهلال ، يوليو ١٩٥٢م ، ص ١٩١ .

إصلاح وتجديد تركيا لم تكتمل، وإنه من الخطأ الزعم بأن التطور الدستوري لتركيا قد وصل إلى نهايته ، ومن الضروري إصلاح وتعديل الدستور^(١) وإن تركيا يجب أن يكون لها حكومة جمهورية^(٢) واتفق مع عصمت باشا باتخاذ أنقرة مركزاً للدولة ، وقدم عصمت الاقتراح في المجلس في ٩ أكتوبر ١٩٢٣م وأقره المجلس في ١٣ أكتوبر وقد نص على جعل أنقرة مقر إدارة الدولة التركية^(٣) .

وبينما كان المجلس الوطني يتخبط في تشكيل الوزارة دعا مصطفى كمال أصدقاءه وأخبرهم بعزمه إعلان الجمهورية طالبا تأييدهم، حيث خاطبهم بلهجة صارمة قال فيها : " لقد حان الوقت لنضع حدا لهذه " المهزلة " غدا سوف نعلن قيام النظام الجمهوري "^(٤) وفي نفس الوقت أعد مع " عصمت اينونو " مشروعاً لإعلان الجمهورية جاء فيه : " إن نظام الحكم للدولة هو النظام الجمهوري ، يتولى مجلس الوزراء السلطة التنفيذية ، ورئيس المجلس هو رئيس الدولة ، ويرأس المجلس الوطني ومجلس الوزراء. وأجرى التصويت على المشروع ووافق ١٥٨ عضواً على قرار الجمهورية من ٢٨٧ عضواً، بينما امتنع الباقون عن التصويت . وقد حدثت مناقشات ومعارضات من جانب أعضاء الحزب ، وكان عصمت اينونو مؤيداً له حيث قال : "لقد لغت الدبلوماسيون الأوروبيون نظري إلى أن الدولة التركية لا رأس لها، والوضع الراهن يدل على أنكم تنتظرون حكومة أخرى أو نظاماً آخر إن الأمة الآن سيدها" فارتفعت الأصوات قائلة (عاشت الجمهورية)^(٥) .

وجاء قرار إعلان الجمهورية في ٢٩ أكتوبر ١٩٢٣م كالتالي :

١- شكل الدولة جمهوري ودينها الإسلام ولغتها التركية .

٢- رئيس الجمهورية هو رئيس الدولة يتولى رئاسة المجلس الوطني ورئاسة الوزارة .

٣- رئيس الجمهورية يختار رئيس الوزارة من أعضاء المجلس.

وفي نفس الجلسة تم انتخاب مصطفى كمال رئيساً للجمهورية ، وما لبث المجلس أن اطلع على قرار من رئيس الجمهورية بتعيين عصمت اينونو رئيساً للوزراء ، وكانت أول وزارة في العهد الجمهوري .

(١) انظر الطنوبى، ص ١٦٨، ولمزيد من المعلومات عن قيام الجمهورية انظر ، - 460 s. , a.g.c., Berkes 461. وعن علاقة الجمهورية بالدين انظر نفس المرجع من ٤٧١ - ٤٧٥ ..

(٢) الطنوبى، مرجع سابق، ص ١٦٨.

(٣) نفس المرجع ، ص ١٦٩.

(٤) مصطفى الزين، مرجع سابق، ص ٢٢٢.

Unesco, Ataturk , Ankara, 1963, s. 139.

(٥)

ويصف الصحفي التركي (فالح رفقي) الموقف في تركيا بعد اتفاقية لوزان بقوله : "كانت البلاد كسفينة غادرت الشاطئ ودخلت البحر ولا يعرف مرساها سوى الربان ، وكان مصطفى كمال هو الربان الحكيم الذي حدد سيرها بحنكة ودراية منذ رحلته المظفرة من سمحون إلى أرضروم وأنقرة وسميرنا ولوزان، وسار بها نحو الغاية الحتمية إلا وهي الجمهورية^(١) .

ومنذ هذه اللحظة بدأ " مصطفى كمال " مرحلة بناء تركيا على أسس جديدة، وقد أقيمت الاحتفالات بانتخابه في كل قرى ومدن تركيا، فيما عدا إستانبول التي قام سياساتها وصحافيوها بالهجوم على مصطفى كمال لمحاولته القضاء على الخلافة وإبعاد تركيا عن العالم الإسلامي ، وكانوا يرون ضرورة وجود الخليفة في الدولة كرمز لوحدة الأمة ، إلا أن مصطفى كمال لم يعر اهتماما لهذه الانتقادات بل استدعى " عصمت اينونو " لتشكيل أول حكومة في ظل النظام الجمهوري الجديد .

وبهذا الانتخاب صار مصطفى كمال الحاكم الشرعي للبلاد، حيث يملك سلطة تعيين رئيس الوزراء والوزراء، فقد كان إلى جانب كونه رئيسا للجمهورية رئيس مجلس الوزراء ، ورئيس الجمعية الوطنية ، ورئيس حزب الشعب، وفوق ذلك كان القائد العسكري العام الذي يسيطر على الجيش والشعب معا^(٢) .

وعبر عن هذه المناسبة بقوله : " ليكن معلوما لكل العالم أن برنامجنا الأساسي في إدارة الدولة هو برنامج حزب الشعب الجمهوري، وأن المبادئ التي احتواها هذا البرنامج هي الخطوط العريضة التي تبين لنا الطريق في الإدارة والسياسة. لكن ينبغي القول أن هذه المبادئ لا يمكن أن نقرنها بما ورد في الكتب التي يظن الناس أنها نزلت من السماء ، إننا قد أخذنا إلهاماتنا من الحياة مباشرة وليس من السماء ولا من عالم الغيب^(٣) .

وعلى صعيد آخر ظهرت معارضة شديدة من جانب الصحفيين وخاصة في إستانبول ، فجاء في صحيفة " وطن " الاستنبولية تحت عنوان " عاشت الجمهورية : هل تقوى الجمهورية على أن تحدث تغييرا في عقليتنا بمجرد تغيير نظام الحكم ؟ وهل ستحول عقل كل وزير ليصبح عقلية سياسية رفيعة ؟^(٤) وقال صحفي آخر في لهجة ساخرة : "لقد انفلت البالون ، لقد أصبتم أيها السادة في إعطاء الدولة اسما جديدا . لكن

(١) سليم الصويص، مرجع سابق، ص ٢٢٩.

(٢) أرسترونج، مرجع سابق، ص ١٩٥.

(٣) مصطفى كمال أتاتورك، مضبطة مجلس الأمة، ج ١، ص ٩ ، ١١/١١/١٩٣٧م.

Unisco, Op. cit. p. 140 .

(٤)

هل تقدرّون بهذه الطريقة على إدارة شئون الدولة ؟ نرجو لكم التوفيق فى جمهوريتكم^(١) .

ومن ناحية أخرى فقد عقد "رؤوف بك" نائب إستانبول مؤتمرا دعى فيه الصحفيين، وقد كان معارضا لقيام الجمهورية إلا أن "عصمت اينونو" خيرّه بين أن يوافق على رأى الاغلبية أو يستقيل بصفته عضوا فى الحزب ، فوافق على رأى الأغلبية قائلا : "أنا أؤيد الجمهورية ، لكنى أعارض الحكم الفردى" وقد وصف "فالح رفقى" مصطفى كمال بأنه "ال خليفة المأمون" وأنه زعيم معتزلة هذا العصر^(٢) .

وقد أقيمت الاحتفالات بانتخاب مصطفى كمال رئيسا للجمهورية، وقد أطلق عليه لقب الغازى وهو لقب يطلق على السلاطين العظام الذين قاموا بفتوحات شاسعة . وأخذت برقيات التهنئة تنهال عليه من كل مكان، من إيران والهند ومصر والعراق وسوريا وليبيا والحجاز وشمال أفريقيا وغيرها، حتى إن الشاعر الكبير أحمد شوقى كتب أبياتا يهنئه فيها على انتصاره على الأوربيين بقوله :

الله اكبر كم فى الفتح من عجب

يا خالد الترك جدّد خالد العرب

تحية أيها الغازى وتهنئة

بآية الفتح تبقى آية الحقب^(٣)

وفى هذا الوقت قامت الحكومة بدعوة السلطان عبد المجيد إلى احتفال بمناسبة فصل الدولة عن الدين وجعل الحكومة منفصلة عن الخلافة ، على أن يكون السلطان عبد المجيد خليفة للمسلمين ، وذلك فى صلاة الجمعة . وقام عبد المجيد بالدعاء لمصطفى كمال وتهنئته برئاسة الحكومة ، وقد فرحت أكثر البلاد الإسلامية بهذه المبايعة ، وهنأت مصطفى كمال على إحيائه سنة الخلفاء الراشدين فى إقامة الدولة والخلافة على أساس الشورى ، وبايعت عبد المجيد للخلافة والإمامة الكبرى ، وقامت بتلقيب عبد المجيد بلقب " أمير المؤمنين وخليفة رسول الله وحامى الحرمين الشريفين " وفى مقدمة هؤلاء المهنيين كان مسلمو الهند إلى جانب مسلمى مصر وأساتذة المدارس وعلماء الدين فى الأزهر .

(١) الصويص، نفس المرجع السابق، ص ٢٣٢

(٢) سليم الصويص، مرجع سابق، ص ٢٣١ .

(٣) أحمد شوقى ، شعر المرحوم أحمد شوقى، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ، ١٩٧٠م، ص ٥٩ .

وعلى الرغم من هذا فقد كان الناس منقسمون بين من يقول بصحة هذه المبايعة فى فصل الدين عن الدولة مثلما حدث فى أوروبا من فصل بين الكنيسة والحكومة، وبين من يرفض هذه المبايعة، واعتبر أن هذه الخلافة ما هى إلا خلافة مشايخ الطرق وهى ليست من الإسلام^(١) .

وقد ألقى مصطفى كمال بعد انتخابه رئيسا للجمهورية خطابا قال فيه : " بفضـل هذا النظام الجديد ستتـجـح امتـنا فى أن تظهر مناقبها وخصائصها أمام العالم المتحضر، ولسوف تبرهن الجمهورية التركية، فعلا لا قولا، أنها جديرة بالمكانة التى تحتلها فى العالم "^(٢) .

ومنذ هذا التاريخ أصبحت العلمانية فى الجمهورية التركية إحدى الأسس الفكرية الرسمية التى قام أتاتورك بتطبيقها ، وكان ذلك عن طريق سلسلة من الإجراءات قام بها من أجل تغيير معالم الدولة التى عاشت حقبة من الزمان فى ظل الإسلام. وسوف نتحدث فى الصفحات القادمة عن هذه الإجراءات التى غيرت مجرى الحياة فى تركيا^(٣) .

(١) المنار، ج٤، م٢٥، مرجع سابق، ص ٢٨٣ - ٢٨٥.

(٢) سليم الصويص، مرجع سابق، ص ٢٣١.

(٣) أحمد نورى النعيمى ، الحركات الإسلامية الحديثة فى تركيا حاضرها ومستقبلها ، دراسة حول الصراع بين الدين والدولة فى تركيا، دار البشير، عمان - الاردن، ١٩٩٢م، ص ٢١.

الفصل الثانى

الحركة الكمالية وإجراءاتها فى مجال الدين

- ١- إلغاء الخلافة .
- ٢- إغلاق التكايا والزوايا .
- ٣- اعتماد القانون المدنى السويسرى .

إجراءات الحركة الكمالية في مجال الدين :

منذ لحظة إعلان الجمهورية التركية عام ١٩٢٣م برئاسة مصطفى كمال بدأ أتاتورك اتخاذ الترتيبات نحو الاتجاه للغرب، وقد وصف مصطفى كمال قانون العلمانية وفصل الدين عن الدولة بأنه : " انتصار للكفاح في سبيل المدنية ، وأن تصفية الدستور بإخراج المادة القائلة إن الإسلام دين الدولة هو بمثابة لبس التاج في مراسيم انتصار دعاوينا الأساسية "(١) .

وقال أيضاً : " إن الدولة التركية دولة علمانية، وكل راشد حر في اختيار دينه، إن الأمة التركية دولة تدار بالنظام الجمهوري الذي هو إرادة الشعب " هاتان العبارتان وردتا بخط أتاتورك نفسه (٢) .

وكانت أولى خطوات نضاله من أجل فصل الدين عن الدولة هو القضاء على السلطنة ثم على الخلافة ، وتحويل سيادة الخلافة إلى الأمة متمثلة في شخصه.

واستمر مصطفى كمال يوجه الضربات والهجوم على الدين والتربية الإسلامية ليمهد السبيل للتربية المبنية على القومية والفكر الحر. وكان يخاطب طلبة المدارس بقوله : إن المرشد الوحيد لكم هو العلم، ومن السخف والجهالة والتعصب أن نبحث عن مرشد غير العلم (٣) ويذكر في هذه المناسبة قوله مهاجماً الدين: " إن غلطة آل عثمان وآل سلجوق من قبلهم كانت نسيانهم لتركيتهم وانتمائهم للجامعة الإسلامية، ونسيانهم جنسيتهم ، فكانت النتيجة أنها ارتضت الذل والأسر وتدرجت إلى هدف حقير جعلها مستعبدة في سبيل الله (٤) " .

وبعد هجوم مصطفى كمال وأتباعه على الدين والإسلام بدأ يسفر عن خطوات انقلابية ليحدث التغيير في معالم الدولة ونظمها، ومن أجل تحقيق هذه الخطوات ذهب مصطفى كمال إلى "قسطنطيني" حيث كانت أكثر مدن تركيا محافظة على التقاليد وثقاع شمال أنقرة، قام مصطفى كمال هناك بإلقاء خطاب تمهيدا لتنفيذ إجراءاته وكان مرتديا قبة وقد أشار إليها في خطابه قائلا : " إنها تقى من الحرارة في الصيف والبرودة في الشتاء " (٥) وقد تحدث عن مسالة الملابس الغربية وكيف أنها رمز للرق والتقدم. وذكر الطربوش بقوله : " سنقضى على الطربوش ونحرم لبسه وسنعاقب من يلبسه

(١) إبراهيم الدسوقي شتا، مرجع سابق، ص ٤٠.

(٢) انظر. Ataturkculuk, Brinci Kitap, Istanbul, 1988.

(٣) Giritli, Ismet, Op. c. p. 104. نقلا عن الطنوبى ص ٢١١.

(٤) الطنوبى ، مرجع سابق، ص ٢١٢.

(٥) مصطفى الزين، مرجع سابق، ص ٢٤٩ - ٢٥٠.

أشد عقوبة ونستعيز عنه بالقبعة ، إذ ليس فى القرآن الكريم ما يشير إلى غطاء رأس خاص " كما ظهرت القبعة فى اللباس العسكرى التركى ، وأصبحت شارات النجوم الخاصة برتبة الضباط مثل الجيش الفرنسى^(١) .

كما تحدث عن حجاب المراه فى نفس هذه الخطبة مؤكداً أن النساء فى ذلك الوقت أصبحن مثاراً للسخرية فى العالم فقال : " فى بعض الأماكن رأيت نساء يضعن قطعة من القماش أو فوطة على رؤوسهن ويغطين بها وجوهن ، أو يدرن ظهورهن ويختفين عندما يمر بهن رجل ، ما معنى هذا السلوك ؟ هل من الممكن لأمة متمدينة أن تسلك هذا السلوك غير الحضارى^(٢) ؟ .

كما هاجم فى خطابه هذا أيضاً الطرق والتكايا الصوفية ، وذكر فى خطابه أن تركيا لن تكون بلد المشايخ والدراويش والمريدين ، وأنه من الضرورى إلغاء الطرق الدينية والتكايا^(٣) .

وقد أتت هذه الجولة التى قام بها مصطفى كمال بثمارها ، حيث أقر مجلس الوزراء قرارات ثلاث : الأول إغلاق التكايا والزوايا ، والثانى خاص بزي العلماء وتحريم ارتداء هذه الملابس على الأشخاص ، والقرار الثالث خاص بزي الموظفين وإلزامهم لبس القبعة ، وقد تم موافقة المجلس الوطنى على القرارات الثلاث . وفى نفس الوقت تم إلغاء ألقاب الدراويش والمريد والأستاذ والسيد والشلى والأمير والقيب والخليفة ، واستبدال الزوايا والتكايا واستعمالها كمدارس ، كما تم نقل جميع ما فى الزوايا والتكايا من تحف فنية وتاريخية إلى المتاحف^(٤) ونادى القانون أيضاً بالقضاء على أعمال العرافة والسحر والتنجيم وكتابة التعاويذ والأحجية والتمايم .

أما من ناحية قانون تحديد الزى العلمى لرجال الدين ؛ فقد أقر المجلس أن تكون العلامة المميزة لزي العلماء هى العمامة البيضاء والجبة السوداء ، وأن يكون العلماء فى الدوائر الرسمية مكشوفى الرأس . أما قانون لبس القبعة Sapka فكان نتيجه أن تحقق المظهر الغربى الخارجى للجمهورية التركية . وقد كان مصطفى كمال يثور كلما رأى رجلاً يلبس طربوشاً ، حتى إنه أثار أزمة مع سفير مصر فى أنقرة بسبب ارتدائه للطربوش ، وقد صرخ فى وجهه فى إحدى الحفلات قائلاً : " قل لملكك إننى لا أحب هذا اللباس " ^(٥) .

(١) البرليطة فى الجيش التركى ، مقال بالاهرام ، العدد ١٤٣٦٥ ، ١٧/٥/١٩٢٤ ، ص ١ .

(٢) إبراهيم الدسوفى شنا ، مرجع سابق ، ص ٤٠ .

(٣) انظر الطنوبى ، رسالة ماجستير ، مرجع سابق ، ص ٢١٣ .

(٤) دروزة ، مرجع سابق ، ص ٧٦ .

(٥) فتحي رضوان ، مصطفى كمال أتاتورك ، دار ومطابع المستقبل بالإسكندرية ومؤسسة المعارف ببيروت ، ١٩٨٣م ، ص ٩٤ .

وكان هذا القانون سببا لقيام ثورات محلية، وقد تم الحكم على كثير من الأتراك بالإعدام بسببه أيضاً^(١) وكان الشيوخ ورجال الدين يجبرون على ارتداء القبعة وهم على أعواد المشانق^(٢) وكان الطربوش لدى مصطفى كمال يعنى أنه " رمز الجهل والإهمال والتواكل وكراهية التقدم، ومن ناحية أخرى كان رجال الدين يصفون القبعة أنها من علامات الكفر ولبسها كفر. وكان الكماليون يعتقدون أنه إذا استمر لبس الطربوش فسوف تستمر فكرة الخلافة وتزدهر ، وقد واجه مصطفى كمال حجاب المرأة مثلما واجه القبعة .

واستكمالاً لسلسلة الانقلابات صدر قانون اتخاذ التقويم الغربى تقويماً رسمياً للدولة وذلك عام ١٩٢٥ م . ثم ظهرت ترجمات تركية للقرآن وكان بها أغلاط كثيرة، كما بدأت معارك تغيير الأبجدية وتفتيتها من العربية والفارسية ، وكان يقصد من هذا " قطع الجبل الجديد عن إنتاج سبعة قرون من التراث التركى الإسلامى أو العثمانى "^(٣) ثم تلت الأبجدية معركة الألقاب؛ حيث كانت أسماء الأتراك طيلة سبعة قرون أسماء إسلامية فقام مصطفى كمال بمحاولات محوها ووضع لقب لكل أسرة ، فهو أتاتورك بمعنى " أب الأتراك " وعصمت: "ابننو" نسبة إلى مكان شهد معارك الاستقلال. كما تم إلغاء لقب الحاج من قانون إلغاء الألقاب ومنع عرض الصور التى تحتوى على الكعبة والمدينة ومكة ، حتى إن متدينى الترك كانوا يذهبون فى بعض السنين إلى الحج خفية يؤدون الفريضة^(٤) . كما تم تترك الأذان الذى كان يُرفع بالعربية .

كما صدر قانون إلغاء وزارتى الأوقاف والشرعية، وأصبح تشريع الأحكام والمعاملات بين الناس عائداً للمجلس الوطنى، كما صدر قرار بعدم أحقية رئاسة الديانة فى إصدار الفتوى، كما صدر قرار توحيد التعليم وإلغاء المدارس الدينية، واستطاعت الشؤون الدينية ، من خلال ثلاث مؤسسات حكومية التحكم فى الإدارة، الأولى هى رئاسة الشؤون الدينية ، والثانية إدارة الأوقاف الدينية ، والثالثة وزارة المعارف ، كما تم إلغاء المدارس والكتاتيب الإسلامية واستبدال مجلة الأحكام العدلية بالقانون المدنى السويسرى، كما عملوا على إهمال تعليم القرآن وعلوم الدين. وظهرت عناوين صحف إستانبول تقول : " وداعاً للشرق "^(٥) .

وتوالى على الدولة الخطوات الانقلابية التى كانت أكثر خطورة على الدولة ، وبدأ بأهم الخطوات الحاسمة التى قام بها أتاتورك والتى كان لها تأثيرها على الشعب التركى بأكمله ، إلا وهى خطوة إلغاء الخلافة التى سنتحدث عنها بالتفصيل .

(١) دروزة ، مرجع سابق، ص ٧٩.

(٢) شتا ، مرجع سابق، ص ٤٠.

(٣) نفس المرجع، ص ٤٢.

(٤) دروزة، مرجع سابق، ص ١١٦.

(٥) Rayan, Sir Andrew, Op. cit., p. 215. عن الطنبوبى ، ص ١٩٢

١ - الغاء الخلافة

كان أساس الحكم العثماني في بداية الأمر يستند إلى ثلاث دعائم رئيسية هي : السلطنة - الخلافة - مشيخة الإسلام، وكان الديوان مساعداً للخليفة السلطان في تسيير وإدارة أمور الدولة، وكان الوزراء يأترون بأوامر السلطان الخليفة، وكان ديوان الوزراء يساعد السلطان الخليفة في إدارة الدولة، وتقوم مشيخة الإسلام بدور الشورى للسلطان الخليفة^(١) وكان للإسلام أهمية خاصة بالنسبة لتركيا، فقد كان قوة اجتماعية وسياسية، كما كان يشكل مسألة أساسية في المجال السياسي منذ العهد الأول لنشوء الجمهورية^(٢) وقد فتحت الدول الإسلامية صدرها للعثمانيين من منطلق إيماني عقدي؛ فقد كان العثمانيون هم الوحيدون الذين يحملون مؤهلات إدارة الخلافة الإسلامية، وقد كانوا الوحيديين القادرين على الدفاع عن الثغور الإسلامية في البحر الأبيض فقد ظلت الدولة العثمانية تنازل أوربا الصليبية وتجاهدها على مدار ستمائة عام منذ القرن السابع الهجري حتى القرن الثالث عشر^(٣).

وقد أصبحت الدولة العثمانية دولة خلافة إسلامية بعد تنازل آخر خليفة عباسي وهو " أبو إسحاق محمد المتوكل على الله " عن الخلافة للسلطان " سليم الأول " عام ٩٢٣هـ وذلك لأن العثمانيين كانوا أقدر من غيرهم على حماية العالم الإسلامي ونشر الدعوة الإسلامية^(٤). وكان تعريف الخليفة في المفهوم التركي في ذلك الوقت هو: " الخليفة هو خلف لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، مهمته النظر في أعمال الناس الدينية والدينية " وهو تعريف الشيخ عاطف أفندي الاسكيلي^(٥). (١٨٧٦ م) - ١٩٢٦م).

وقد كانت الدولة تعتمد على الإسلام منذ نشأتها الأولى اعتماداً كبيراً، وكان هذا عاملاً من عوامل الصراع الفكري بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية^(٦) حيث ارتبط تاريخ العثمانيين بالتاريخ الإسلامي من خلال حرصهم على أداء الدعوة إلى الله . ولم يكن الخليفة مجرد حاكم أو سلطان، لكنه كان حامل رسالة الله على الأرض^(٧) وكانت الدولة العثمانية مثقلة بمشاكلها الداخلية والخارجية خلال الربع الأخير من

(١) السلطان عبد الحميد، مذكرات، مرجع سابق، ص ٤ وأيضاً محمد حرب ، السلطان عبد الحميد، مرجع سابق، ص ٢٩-٣٠.

(٢) أحمد نوري النعيمي، مرجع سابق، ص ٧.

(٣) جمال عبد الهادي، مرجع سابق، ص ٣.

(٤) نفس المرجع ، ص ١٦ - ١٧.

(٥) Iskilpli Muhammed Atif, Sariat Medeniyeti, Istanbul, 1975, s. 22.

(٦) أحمد نوري، مرجع سابق، ص ٥.

القرن الـ ١٩م وتمثلت هذه المشاكل فى ضعف مركزها المالى ، وثورات شعوب البلقان ، وتسلب الدول الأوربية الكبرى الذى أدى إلى سقوط تونس فى قبضة الحماية الفرنسية عام ١٨٨١م واحتلال بريطانيا لمصر عام ١٨٨٢م .

وكان أمر إلغاء الخلافة فى الدولة العثمانية قد تم منذ اليوم الأول للانقلاب الذى أسقط فيه السلطان عبدالحميد عام ١٩٠٩م لكنه نفذ على مراحل حتى تم تنفيذه. وقد كشفت مذكرات السلطان عبدالحميد أنه كان ضحية مؤامرات صهيونية واستعمارية كانت تهدف إلى تقويض دعائم الخلافة وتفكيك أوصال الدولة العثمانية، وكان القضاء على السلطان عبدالحميد مقدمة للقضاء على الخلافة الإسلامية^(١) .

لقد تم سقوط الخلافة عملياً على مرحلتين ، المرحلة الأولى كانت على عهد السلطان عبدالمجيد ؛ حيث كان أول سلطان يضافى على حركته تغريب الدولة العثمانية عندما أصدر فرمان التنظيمات عام ١٨٥٤م ، ومن هنا بدأ ما يعرف بعهد التنظيمات، ومن ثم تم استبعاد العمل بالشرعية الإسلامية . وكانت المرحلة الثانية هى مرحلة مصطفى كمال أتاتورك منذ لحظة تحول الدولة العثمانية إلى الجمهورية التركية .

ففى سنوات قليلة من عام ١٩١٨م - ١٩٢٤م تحولت تركيا إلى دولة غربية علمانية وبعد إعلان الجمهورية بدأ أتاتورك يتخذ الإجراءات اللازمة نحو إلغاء الخلافة ، وقد مهد مصطفى كمال للفصل بين الحكومة الجمهورية والخلافة الإسلامية بخطبه ، كتبها له الأستاذ سيد بك الإزميرى وزير العدلية - أحد المثقفين الأتراك المتأثرين بجمال الدين الأفغانى - ومهد لإلغاء الخلافة بكتاب (خلافت وحاكميت مليه) ، فقد استعمل الكماليون "سيد بك" هذا فى وضع الصيغ والتوجيهات لما يريدون التصرف فيه من أمور الشرع الإسلامى، فإنه هو الذى وضع لهم قانون العائلة. واستعملوا آخرين غيره مثل "ضياء كوك ألب" صاحب ديوان الشعر الذى سموه (قرآن الترك) و"أحمد أغايف" و"يوسف آقشورا" و"جلال نورى" وغيرهم من الذين تولوا إدارة رعى الانقلاب الدينى والاجتماعى، منهم من قذفته البلاد الروسية إلى عاصمة الترك لأجل هذه الأعمال^(٢) .

وكانت صحف إستانبول فى ذلك الوقت تتحدث عن الخليفة وتحيطه بالاحترام الواجب ، حتى إن رؤوف بك نائب إستانبول قام بزيارة الخليفة فى قصره ودعا أن يظل الخليفة رأساً للدولة ، ورؤوف بك هو الذى عارض إعلان الجمهورية من قبل^(٣) .

(٧) فهمى الشناوى، مصرع الخلافة العثمانية، المختار الإسلامى، القاهرة، ١٩٩٥م، ص ١٧٣.

(١) أنور الجندى، مرجع سابق ، ص ١٥٠.

(٢) مجلة المنار، ج٤، م ٢٥، ص ٢٨٦، التمهيد للفصل بين الدين والدولة.

(٣) Unisco، وكذلك الصويص، مرجع سابق ، ص ٢٣٢ - ٢٣٤.

وقد قام عصمت اينونو بتوبيخه على زيارته هذه للخليفة بقوله : إن مسألة زيارة الخليفة هي قضية الخلافة نفسها. وأضاف عصمت قائلا : " لن ننسى أن فتوى من الخليفة دفعت بالبلاد إلى دخول الحرب العالمية الأولى (١) .

بدأت أولى خطوات مصطفى كمال نحو إلغاء الخلافة بإلغاء لقب السلطان، وكان السلطان عبدالمجيد يلقب نفسه " بخليفة رسول رب العالمين وخادم الحرمين الشريفين عبدالمجيد بن عبدالعزيز خان " وكان يكتسى العمامة والجبّة متمثلاً بذلك السلطان محمد الفاتح ، ويمتطي جواداً أبيض ويذهب إلى جامع " آيا صوفيا للصلاة، ويحيط نفسه بالقرسان وتسير وراءه الجموع مهللين، وكان يستقبل في قصره السفراء والمبعوثين الأجانب . وقد أثارت هذه الأفعال غضب مصطفى كمال فأرسل إليه يمنعه من إقامة هذه المظاهر ، كما أرسل تحذيرا إلى بطانة السلطان وحاشيته من التواجد لدى عبدالمجيد واتهمهم بالتآمر ضد نظام الحكم. وفي عام ١٩٢٤م كان مصطفى كمال في أزمير حيث تلقى برقية من رئيس الوزراء " عصمت اينونو " جاء فيها : (إن الصحف تدعي إذاعات عن مقام الخلافة وموقف الحكومة منه، وإن هذا قد أثر في نفس الخليفة، وإن بيت مال الخلافة عليه تكاليف تقصر الحكومة في سدها) ومن هنا عزم مصطفى كمال على ضرورة إلغاء هذا المنصب (٢) .

كان أتاتورك ينظر إلى الخلافة على أنها رمزا لتخلف تركيا وعجزها عن السير في طريق التقدم وال عمران ، وكان يرى أنها ما هي إلا عمامات توضع فوق الرؤوس يستخدمها السلطان لإشباع شهواته ومصالحه على حساب الشعب، واستنزاف لقمة العيش من أفواه الفقراء وتحويلها إلى مآدب ضخمة ، هذا إلى جانب الرهط من رجال الدين الذين يحيطون بالخليفة يهاجمون الحركات الإصلاحية في البلاد ويعلنون أنها منافية للشريعة ويستغلون عواطف الشعب بحجة المحافظة على الإسلام .

وأيضاً كان مصطفى كمال يرى في رجال الدين أنهم رسل جهل لاهم لهم سوى قبض رواتبهم من الخليفة فقامت الحكومة بعدة إجراءات من أجل الحد من نفوذ الخليفة ، فأصبح الخليفة يخرج إلى الجامع محاطاً بعدد من الحرس، كما أصدر قانوناً يحذر أعضاء الأسرة العثمانية من الدخول في الجيش التركي، وقرر تخفيض راتب الخليفة إلى النصف (٣) وكان مصطفى كمال يعتقد أن الخلافة تسير في ركاب الأجانب ضد الشعوب ، يتاجرون بالدين في سبيل أغراضهم ومصالحهم الشخصية (٤) واعتبر أتاتورك مسألة الخلافة من أصعب المشاكل التي يمكن أن تواجهه بعد توليه رئاسة

(١) سليم الصويص، مرجع سابق، ص ٢٣٣.

(٢) محمد عزة دروزة، مرجع سابق، ص ٦٨.

(٣) الطنوبي، مرجع سابق، ص ١٨٠.

(٤) مصطفى الزين، مرجع سابق، ص ٢٢٨.

الجمهورية، لكنه لم يستطع في البداية أن يصرح بها فقام بعمل الاستعدادات لمواجهة هذا الأمر، وقرر بالاتفاق مع عصمت اينونو تسديد الضربة القاضية للدولة بإصدار قرار إلغاء الخلافة إلا أنه خشى من قيام حرب أهلية. وفي نفس هذا الوقت تسربت أخبار تدبيره ضد الخليفة، فإذا بالزعيمين الهنديين المسلمين " الأغاخان " ، " وأمير على " يرسلان إليه خطابا باسم مسلمي الهند يطالبانه فيه باحترام مقام الخليفة حيث إنه خليفة كل مسلمي العالم وليس تركيا فقط. وكان هذا الخطاب الفرصة التي اقتنصها أتاتورك ضد هذين الزعيمين، وقد خشى أتاتورك من تأثير انتشار هذه الرسالة في الصحف فقام بإثارة الرأي العام ضد هذين الزعيمين^(١) وراح أتاتورك يقول في هذه المناسبة : " إن انكسار العدو الماكرا للخدمة حين فشلت في القضاء على تركيا بواسطة اليونانيين عمدت إلى دسائسها المألوفة، فأخذت تستخدم صنيعتها " الأغاخان " لدس نفسها في شئون تركيا ومناصرة الخليفة وخطر الأتراك إلى معسكرين بغية إشعال الحرب الأهلية فيها " ^(٢) وكانت تلك هي الذريعة التي تمكن بها مصطفى كمال أن يخدم الفتنة الداخلية من ناحية ، وتمكن من تغليب الشعور القومي عند الناس على شعور الولاء للخليفة من ناحية أخرى . وعلى هذا النمط نشر مصطفى كمال دعايته في الأقاليم ، وحوكم محررو الصحف التي نشرت خطاب أغاخان وأذيعت تفصيلات المحاكمة بجميع وسائل النشر والإعلان بما يصورهم والخليفة في مظهر الخونة وصنائع الانجليز ، وتعالى الأصوات تطالب مصطفى كمال بإنقاذ تركيا^(٣) وقد تزامن الاهتمام بإلغاء الخلافة مع التطور الفكري والاجتماعي وبرز مسألة العصرية والتمدين بعد إعلان الجمهورية^(٤) .

وفي مارس عام ١٩٢٤م عقد اجتماع طارئ " للجمعية الوطنية " قام أعضاء الجمعية بشن هجوم على الانجليز وعلى الأغاخان ، وخلال هذا الاجتماع استغل أتاتورك الجو الحماسي الذي سيطر على النواب فقدم مشروعاً بقانون إلغاء الخلافة، وقامت الصحف المؤيدة للجمهورية بمهاجمة تدخل الهند في شئون تركيا، وذلك بإيعاز من مصطفى كمال^(٥) فقد جاء في صحيفة (أقسام): " أن الخلافة لم تنفع المسلمين بشئ في ثلاثة عشر قرناً، وهي لم تنفع الترك بشئ من أيام السلطان سليم حتى الآن " .

وفي جلسة حزب الشعب في فبراير ١٩٢٤م وضع عدد كبير من الأعضاء تقريراً يتضمن البراهين على أن الخلافة في الدين الإسلامي والتاريخ ما هي إلا إمارة

(١) Toynbee , A.J., Op. cit., Appendix I , pp 571 - 572. نقلا عن الطوبى ص ١٨١ .

(٢) مصطفى الزين، مرجع سابق، ص ٢٣٢ .

(٣) أرسترونج ، مرجع سابق، ص ١٩٨ - ١٩٩ .

(٤) صحيفة الأهرام، تصريحات رئيس الجمهورية التركية، عدد ١٤٢٣٥، ٢١/١٢/١٩٢٣، ص ٢ .

(٥) صحيفة الأهرام، عدد ١٤٢٣٠، ١٥/١٢/١٩٢٣، ص ١ .

وحكومة ، فطالبوا بإلغائها . وفى ذلك الوقت جاء على صفحات جريدة (ايلرى) عن الأسباب التى تدعو إلى إلغاء الخلافة فقالت : (إنا عازمون على أن نـدوس بأقدامنا وننسف كل الموانع والحوائل التى تذهب بنا من الشرق الذى ودعناه إلى الغرب الذى يممناه ، حتى إن التغرب لا يقتصر على شئوننا الرسمية وقوانيننا بل ستكون أدمغتنا وعقليتنا أيضاً غربية بحتة. ولا حاجة لنا بعد الآن إلى مقام الخلافة والوزارة الشرعية والمحاكم الشرعية والأوقاف والمدارس الدينية. إنا نودع كل هذه الأشياء اللاتى تمنعنا من الرقى والتعالى)^(١) وفى ٣ مارس عام ١٩٢٤م تقدم (مصطفى كمال) بمرسوم يقضى بإلغاء الخلافة، وقد خطب فيه قائلاً : باى ثمن يجب صون الجمهورية المهددة وجعلها تقوم على أسس علمية ، فالخليفة ومخلفات آل عثمان يجب أن يذهبوا ، والمحاكم الدينية العتيقة وقوانينها يجب أن تستبدل بها محاكم وقوانين عصرية، ومدارس رجال الدين يجب أن تخلى مكانها لمدارس حكومية غير دينية^(٢) وفى هذه الأثناء تقدم الشيخ صفوت مبعوث "أورفة" مع خمسين من زملائه بمشروع قانون خاص بإلغاء الخلافة، وذكر التقرير أن وجود مقام الخلافة داخل الجمهورية التركية يشكل خطراً على الجمهورية ، وأن آل عثمان كانوا سبب مصيبة الأمة التركية منذ قرون^(٣) .

وهنا قامت الجمعية الوطنية بالموافقة على قانون إلغاء الخلافة دون مناقشة فتهدمت أسس الدول القديمة جميعها فى لحظة واحدة. ثم أرسل أتاتورك فى نفس اليوم أمراً إلى حاكم إستانبول بإلقاء القبض على الخليفة ووضع خارج البلاد قبيل الفجر، وعندما تلقى الوالى هذا الأمر ذهب إلى قصر يلدز حيث يقيم الخليفة مع حاميه من رجال البوليس والجيش للقبض على عبدالمجيد، فأيقظوه من النوم ووضعوه فى سيارة ذهبت به إلى خارج البلاد متجهة إلى سويسرا بعد أخذ بعض الدراهم لتدبير أموره وبعد هذا الأمر ببومين أصدر أتاتورك أمراً بنفى جميع الأمراء العثمانيين وأميراتهم خارج البلاد، وبذلك يكون قد أنهى على الخلافة العثمانية فى البلاد^(٤) .

وفى ٣ مارس (آذار) ١٩٢٤م قدم مشروعاً لقانون ينص على إلغاء الخلافة وإخراج العائلة العثمانية خارج البلاد، وقد وقع هذا المشروع من قبل خمسين نائباً . وتكون مشروع إلغاء الخلافة من إحدى عشرة مادة تنص على خلع الخليفة وإلغاء مقام الخلافة وطرد جميع أفراد الأسرة السلطانية خلال عشرة أيام، ونزع الجنسية التركية ومنعهم من التصرف فى أملاكهم الموجودة فى تركيا، وانتقال قصور وأمالك السلطنة إلى الأمة .

(١) مصطفى صبرى ، التكبير عن منكرى النعمة، نقلا عن الطنوبى، ص ١٩٣.

(٢) أرمسترونج ، مرجع سابق، ص ٢٠٠.

(٣) صحيفة الأخبار، كيف قررت حكومة أنقرة إلغاء الخلافة ، عدد ١٢٣٨، القاهرة، ١٠/٣/١٩٢٤، ص ١.

(٤) مصطفى الزين، مرجع سابق، ص ٢٣٢.

وقد نص قرار إلغاء الخلافة الذى صدر فى ٣ مارس ١٩٢٤م على مايلى :

١ - خلع الخليفة وإلغاء الخلافة ، حيث إن الخلافة مندمجة فى معنى ومفهوم الحكومة والجمهورية .

٢ - حرمان الخليفة المخلوع وأفراد العائلة العثمانية ذكورا وإناثا وأصهارهم من الإقامة داخل حدود الدولة .

٣ - إجبار العائلة العثمانية على مغادرة البلاد خلال عشرة أيام .

٤ - حظر تصرفهم فى أى أموال غير منقولة داخل الدولة ، مع تصفية حقوقهم خلال سنة عن طريق محاكم الدولة بطريق التوكيل .

٥ - منحهم نفقات سفر لهم لمرة واحدة .

٦ - نقل ملكية جميع ما فى قصور السلطنة من مفروشات وأوان ولوحات وتحف إلى الدولة .

وبعد هذا القرار أراد بعض الأعضاء تنصيب مصطفى كمال خليفة للمسلمين للمسلمين لكنه لم يوافق^(١) .

ومن ناحية أخرى فقد طلبت الهند من مصطفى كمال إحياء الخلافة على قاعدة ديمقراطية ثابتة^(٢) ولكنه طلب ذهب أدراج الرياح بطبيعة الحال .

ويظهر من صياغة هذا القانون كيف أن مصطفى كمال حرص على استئصال الأسرة العثمانية ذكورا وإناثا وأصهارا حتى لا يشكلوا فى المستقبل نواة تهدد مستقبل الجمهورية مرة أخرى^(٣) وقد أوضح مصطفى كمال موقفه من أسرة آل عثمان بقوله :

لئن كان الفرنسيون بعد مرور أكثر من قرن على قيام الثورة الفرنسية يرفضون السماح لأعضاء أسرة العائلة المالكة بالعيش فى فرنسا حتى لا تتعرض السيادة الفرنسية إلى الخطر ؛ فإن هذا هو الموقف الذى يجب أن نتبناه نحن تجاه أسرة آل عثمان ، حتى نأمن عدم بزوغ السلطة من جديد. ونحن بدورنا لا نستطيع أن نضحى بالجمهورية على مذابح المجاملة والمغالطة.

وبناءً على هذا القرار تم طرد آل عثمان من تركيا وكان عددهم تسعة وسبعون فرداً وصدرت الأوامر فى ذلك الوقت بالدعاء للجمهورية بدلا من الخليفة فى خطب الجوامع وتقرر عدم الاعتراف بالرتب والأوسمة والأنواط كما أطلقت أسماء جديدة على المدارس التى كانت تطلق عليها أسماء السلاطين^(٤) .

(١) دروزة ، مرجع سابق، ص ٦٨.

(٢) Toynbee , A.J.Op.cit,p.62, Tilus, M.t., pp. 96 - 98. عن الطوبى ص ١٩٨.

(٣) سليم الصويص، مرجع سابق، ٢٣٥.

(٤) انظر القانون الخاص بإلغاء الخلافة وطرد بقية آل عثمان من تركيا فى Nasit Hakki Ulug, Halifeligin Sonu , Istanbul, 1975, s. 190.

وقد جاء بالمنار بهذه المناسبة كلمة للأستاذ أمين الرافعي يقول فيها :

" يعمل الكماليون بسرعة على تنفيذ قرارهم الطائش بإلغاء الخلافة وعزل الخليفة ، وقد استعملوا في أقوالهم عبارات تدل على غرورهم وجهلهم بعاقبة ما يرتكبوه ضد الإسلام والمسلمين ، فعصمت باشا يزعم في خطبته التي نقلت إلينا التلغرافات خلاصتها : أن العالم الإسلامي لم يصادق تركيا إلا لأنها قوية ، لا لأنها دولة الخلافة ، فهل بعد ذلك جهل وغرور ؟ "

وقال أيضاً : " لقد ذهبوا إلى جلالة الخليفة في ساعة متأخرة من الليل وأمروه بالجلوس فوق العرش ، وبعد أن تلووا عليه قرار العزل أنزلوه وساروا به في سيارة إلى الحدود ، ومنها إلى سويسرا ، فعلوا به ذلك في جنح الظلام لأنهم يعلمون أنهم يرتكبون جريمة شنيعة ، ومن أجل ذلك تراهم يعقدون محاكم التفتيش في جميع أنحاء البلاد ويحولونها سلطة الحكم بالإعدام ليمالوا النفوس إرهاباً حتى لا تثور على قرارهم . وبهذه المناسبة لا نرى بدأ من توجيه نظر علمائنا الأفاضل إلى ضرورة قيامهم بواجبهم الديني في هذه الحادثة الخطيرة ، فقد سبق أن أعلنوا بيعتهم لجلالة الخليفة ، ولما كانت البيعة قائمة فيجب على العلماء أن يعلنوا ذلك في اجتماع ويبرقون قراراته إلى حكومة أنقرة لتعلم أن العالم الإسلامي ساخط على أعمالها المنكرة . كما نرجو من علمائنا أن يدعو جلالة الخليفة للحضور إلى مصر ليعيش وأسرته في بلد إسلامي ، ويكون متصلاً بالمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ؛ لأن فكرة إبعاده إلى سويسرا لا يقصد منها سوى الحيلولة بينه وبين المسلمين^(١) .

لقد سقطت الخلافة الإسلامية سقوطاً تدريجياً مخططاً تخطيطاً دقيقاً بعد أن اجتمعت عليها قوى الشرق والغرب من صليبيين ويهود وأوربيين ، وأوهموا المسلمين أن الخلافة هي سبب تأخرهم وفساد أحوالهم ، وكان سقوطها آخر المراحل التي تطلع إليها الاستعمار واليهودية العالمية من أجل تمزيق وحدة الإسلام والعروبة .

وقد ترتبت نتائج كثيرة على إلغاء الخلافة؛ حيث تم القضاء على رمز الوحدة الإسلامية لمسلمي العالم ، كما أدت إلى فقدان مكانة تركيا بين العالم الإسلامي كدولة للخلافة . وكان أكبر تأثير لها في كل من مصر والهند ، فقد برز اسم مصر والأزهر في ذلك الوقت كمصدر لهذه الدعوة ومركز هام في النشاط الإسلامي^(٢) .

كما بدأت فكرة الجامعة الإسلامية تضعف وتظهر القومية ، وأصبحت تركيا دولة قومية محصورة في نطاق محدود من الأرض ، وتم إلغاء الخلافة التي كانت تمثل الرأس للجامعة الإسلامية .

(١) أمين الرافعي، المنار ، ج٤ ، م٢٥ ، ١٩٢٤م ، ص ٢٩٩ .

(٢) الطنوبي، مرجع سابق ، ص ١٩٨ .

وبإلغاء الخلافة انتهت آخر العقبات أمام مصطفى كمال لتحويل تركيا إلى دولة علمانية غربية . وقد وصف المؤرخ التركي " بيمان صفا " إلغاء الخلافة بقوله : " لقد أبحرت الوحدة الإسلامية من إستانبول مع أسطول الخلفاء وهربت مع وحيد الدين . والعثمانية أبحرت من إزميد مع " على كمال " ، والمعروف أن على كمال كان يشغل منصب وزير الداخلية في عهد فريد باشا وحارب العناصر الوطنية المناضلة ضد الاحتلال " .

ولا يفوتنا هنا أن نذكر ما جاء في المنار في الجزء الرابع من المجلد الخامس والعشرين لعام ١٩٢٤م في هذا المجال، ففي مقال بعنوان الانقلاب الديني السياسي في الجمهورية التركية ورد التالي : " كان الترك كلما فشلوا وخابوا في تجربة من تجارب التفرنج يحسبون أن سبب ذلك من رسوخ الاستبداد في سلاطينهم المؤيد بتقديس منصب الخلافة له بمقتضى تعاليم دينهم، لا من جهلهم في أخذ النافع وترك الضار ، وضلالهم في ظنهم أن الإسلام يؤيد الاستبداد ، فجزموا بأن التفرنج المطلوب لا يتم إلا بترك التقيد بالإسلام في حكومتهم، وأن الأسرة السلطانية العثمانية قد رسخت في الإسلام وما فيه من رياسة الخلافة حتى صار يتعذر سلها منه والاستعانة بأفرادها على سل سائر الشعب التركي منه، فقرروا إسقاط الدولة والقضاء على هذه الأسرة، وإن الذين شعروا بحاجة الدولة إلى الإصلاح في القرن ١٣هـ يجهلون أولا هذه القاعدة الاجتماعية ، فلم يبحثوا عن علل الضعف وأسباب الفساد كالجهد والخلل والرشوة، بل حصروا وجهة نظرهم في مظاهر قوة الإفرنج الحادثة بعد ضعف ، ولم يفتنوا لما بينهم وبين الإفرنج من الاختلاف والفروق " .

وعلى صعيد آخر فقد تأثر المسيحيون المقيمون بالدولة بهذا القرار، وفي هذا الصدد يقول شكيب أرسلان : " إن عشرات الملايين من المسيحيين كانوا يعيشون في كنف الدولة الإسلامية وتحت رعايتها ينعمون بامتيازات كثيرة، مدة عمل الأتراك بالشرع الإسلامي إبان الخلافة الإسلامية، وحينما تبدل نظام الحكم وأعلنت الجمهورية التركية وأبطل العمل بالشريعة الإسلامية وأخذوا في تقليد الغرب؛ هاجر أغلب المسيحيين من الأناضول. " ثم يعلق بقوله : " إن هذا برهان ساطع على سماحة الشرع الإسلامي ^(١) " .

وبإلغاء الخلافة أكمل مصطفى كمال الخطوات التالية لتثبيت الجمهورية وتنفيذ جميع إجراءاته ^(٢) .

* * *

(١) شكيب أرسلان، مرجع سابق، ص ٣٢٨.

(٢) سليم الصويص، مرجع سابق، ٢٣٦.

٢ - إغلاق التكايا والزوايا وإلغاء الطرق الصوفية

كان التصوف جزءاً لا يتجزأ من حياة العثماني حيث كان هذا التصوف يدخل في نسيج الدولة العثمانية وكان له دوره وأهميته في بناء المجتمع العثماني فكانت المرأة العثمانية تتصف بأنها شديدة الرغبة في التصوف .

وكان للتصوف دوره الفعال في منطقة الأناضول حتى أنه لم تكن تخلو قرية أو مدينة من زوايا التصوف، وكانت هذه الزوايا تؤدي دورها وتقوم بواجبها الدعوى. والتصوف قطعة لا تتجزأ من حياة العثماني وكثيراً ما كانت تدور المشيخة بين أعضاء عائلة واحدة. وهناك عائلات شيوخ مشهورة وعلى رأسها سلالة مولانا جلال الدين الرومي في قونية ، وهي أشهر تكية عثمانية (متحف حالياً). وكانت مرتبة المولوي الجلي تعادل مرتبة وزير ، وأيضاً سلالة حاجي بكتاش والتي عرفت بالطريقة البكتاشية^(١) .

كما كانت للطرق الصوفية تشكيلاتها وتظيماتها في الدولة تسير طبقاً لأصول وقواعد وكانت تتحرك بشكل عسكري عند تعرض الإسلام للخطر، وبثبت التاريخ استشهاد كثير من شيوخ الصوفية الذين استشهدوا فيما وراء النهر أثناء مقاومتهم للغزو المغولي ، وقد كان آخر خلفاء الدولة العثمانية من مريدي الطريقة النيجانية^(٢) .

والطريقة والتكية ، هما احتياجان لا يمكن الاستغناء عنهما في الحياة الاجتماعية العثمانية حيث كانت توجد تكية في كل قصبة .

والتكية هي مؤسسة فكرية تصوفية ، وهي مصطلح إسلامي يعنى بيت من ينتسبون إلى الطريقة الصوفية، ويقومون فيه بممارسة العبادة، وهي مكان للذين يجتهدون في تحصيل العلم ويجتهدون في الترقى الروحاني والتخلي عن كل العلاقات الدنيوية^(٣) كانت توجد في تركيا طرق وتكايا كثيرة في كل مدينة وكل قصبة، وكانت تجري فيها أحاديث ومسامرات علمية، وفنية، وتصوفية دينية. وكانت هذه الطرق والتكايا مؤسسات تربوية وتعليمية . وكان الباشا شاه يظهر احترامه لشيوخ التكايا الكبيرة^(٤) وتسمى التكية الصغيرة " زاوية " والكبيرة " دركاه " والكبيرة جدا " استانة " ولكل منها شيخ .

(١) يلماز أوزتونا، مرجع سابق ، ص ٥٠٠ .

(٢) يلماز أوزتونا، مرجع سابق ص ٥٠١ .

(٣) Mehmet Zeki PAKLIN , Türk Tarihi Terimleri, 111, Devlet Kitapları , İstanbul 1983

(٤) يلماز أوزتونا ، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمود سلمان، م ٢، منشورات مؤسسة فيصل للتطوير، استانبول - تركيا، ١٩٩٠م، ص ٥٠٠ .

أما أتباع الطريقة فيطلق عليهم ؛ الدراويش ، وهم الذين يحيطون بالشيخ فى التكية ، وينامون فيها. وقد حصل الدراويش والشيخ على أهمية فى المجتمع العثمانى حيث اشتركوا بصورة فعلية فى تأسيس الدولة، وكان أمرهم لا يناقش ولا يفكر فى علقته ويسمى هؤلاء الناس باسم " درويش غازيلر " بمعنى الدراويش الغزاة، وهم على سيرة عثمان غازى^(١) وكانت التكايا مؤسسات تعيش على تبرعات وأوقاف محبى التكية، وكانت الدولة تعترف بالشيخ بصورة رسمية ، وكان للشيخ موقع فى التشريفات ، لكنه لم يكن موظفا للدولة ولم يكن له راتب يتقاضاه .

وكانت توجد فى الدولة العثمانية تكايا عظيمة يخدمها مئات الدراويش ، وقد خدموا فى إسكان روملى وإسلامها والحفاظ على المثل الإسلامية بدرجة ملحوظة^٢

وكان فى إستانبول عام ١٦٤٠م ، ١٥٧١٤ جامعا ومسجدا ومصلى ، و ٥٥٧ تكية، و ٢٢٠٠٠ زاوية وحجرة يعيش فيها الدراويش .

وكان يجوز للمسيحيين أن يدخلوا التكايا للاستطلاع ، وكانت أشهر الاحتفالات التى يحضرها الأجانب غير المسلمين هى احتفالات المولوية ، وهى عبارة عن موسيقى ورقص دينى تصوفى يجرى بالقراءة والعزف ويسمى " سماع " ، وكان يتم هذا الاحتفال مرة واحدة فى الاسبوع فى كل تكية مولوية ، وقد حضر احتفال المولوية البادشاه^(٣) .

وقد اعتمدت الحكومة العثمانية منذ تأسيسها على شيوخ الطرق الصوفية من الزهاد فى شئون الدولة وخاصة فى سياستها الخارجية . ففى عهد الفتوحات العثمانية فى أوربا ، كانت الحكومة العثمانية ترسل هؤلاء الزهاد إليهم فيقيمون معهم ويتعرفون على شعبهم ، حتى إذا جاءت الجيوش العثمانية الفاتحة وجدت أرضا خصبة تعرفها وتعرفهم^(٤) .

وقد كانت الطرق الصوفية على طول التاريخ الإسلامى ذات أسس وقواعد ، وكان لها دورها فى الحفاظ على فريضة الجهاد ، وقد استشهد الكثير من مشايخ الصوفية وذلك أثناء مقاومتهم الغزو المغولى ، كما كان للصوفية تشكيلاتهم ودورهم داخل الجيش العثمانى نفسه ، فكانوا يفتحون تكاياهم وزواياهم حيثما يحل الجيش ، وذلك مثل ما فعلت الطريقة البكتاشية، ودورها مع الجيش الإنكشارى معروف، وقد كان

(١) نفس المرجع يلماز أوزتونا مرجع سابق، ص ٥٠٢ .

(٢) نفس المرجع السابق ، نفس الصفحة

(٣) نفس المرجع السابق ، ص ٥٠٣ .

(٤) محمد حرب، السلطان عبد الحميد ، مرجع سابق، ص ١٩٥ .

للطرق الصوفية تنظيماتها على مستوى الامبراطورية، وكان الصوفى " يربط " ويقيم فى الثغور من أجل الجهاد .

وقد اتخذ السلطان عبد الحميد هؤلاء المتصوفة لخدمة الجامعة الإسلامية ولأنها كانت تمثل أساساً فى تفكيرهم؛ فقد كون السلطان عبد الحميد رابطة بين مقر الخلافة فى إستانبول وبين تكايا ومراكز تجمع الطرق الصوفية فى كل أنحاء العالم الإسلامى^(١) وفى نفس الوقت تكونت فى عاصمة الخلافة لجنة مركزية مكونة من العلماء وشيوخ الطرق الصوفية ، الذين عرفوا بالتقوى والزهد والخبرة الدينية، ومنهم الشيخ (أحمد أسعد) وكيل الفراشة الشريفة فى الحجاز، والشيخ أبو الهدى الصيادى شيخ الطريقة الرفاعية ، والشيخ محمد ظافر الطرابلسى شيخ الطريقة المندنية ، والشيخ رحمة الله أحد علماء الحرم المكى. وكانت مهمتهم نشر مفهوم الجامعة الإسلامية فى موسم الحج بين الحجاج. وتكونت لجنة أخرى فى بغداد تقوم بنفس المهمة بين أتباع الطريقة القادرية الذين يأتون بكثرة من شمال أفريقيا لزيارة الشيخ عبد القادر الكيلانى مؤسس الطريقة؛ فكانت تعمل على تهيئة القادمين لحمل فكرة الجامعة الإسلامية ومقاومة الاستعمار الفرنسى فى شمال أفريقيا . وكان للجنة المركزية للجامعة الإسلامية فى إستانبول فرع أفريقى مهمته تنسيق العمل مع الجماعات الدينية لمقاومة الاحتلال الفرنسى، وهذه الجماعات هى: الشاذلية والقادرية والمندنية^(٢) وكان لهذه الحركة من النفوذ والهيبة ما جعل إدارة المخابرات الفرنسية فى شمال أفريقيا أن تصفها بأن هذه الجماعات تعتبر جيشاً محلياً منظماً يمكن أن يقاوم به أى قوة أجنبية^(٣) .

وقامت السلطات الفرنسية بعدة محاولات لمنع نفوذ هذه الجماعات فاتبعت سياسة تقوم على :

١- إغراء شيوخ الطرق الصوفية بالمال والمركز للوقوف مع فرنسا وسياستها فى شمال أفريقيا .

٢ - منع الحجاج من الحج ، حتى لا يلتقوا بدعاة الجامعة الإسلامية ، مع عدم إعلان منع الحج ، واتخاذ مبررات صحية لتخويف الناس منه مثل إعلان أخبار عن انتشار الكوليرا^(٤) .

وقام السلطان عبد الحميد بإرسال عدد من المتصوفة والزهاد إلى الهند ، وذلك من أجل القضاء على محاولات الانجليز التى تدعو لإلغاء الخلافة من العثمانيين

(١) نفس المرجع ونفس محمد حرب ، السلطان عبد الحميد ، مرجع سابق ، ص ١٩٥ .

(٢) نفس المرجع السابق ، ص ١٩٧ .

(٣) نفس المرجع ونفس الصفحة.

(٤) نفس المرجع ، ص ٧٢ .

وإعطائها للعرب، وقد اتصل هؤلاء المتصوفة بحكام الجزيرة العربية وخاصة الحجاز^(١) .

كما كانت تجرى اتصالات بين السلطان عبد الحميد وتجمعات الطرق الصوفية وشيوخها في تركستان وفي جنوب أفريقيا وفي الصين^(٢) .

كانت الطرق الصوفية تنتشر في كل أنحاء تركيا من البكتاشية إلى النقشبندية إلى المولوية والقادرية والشاذلية والرفاعية والخلوتية واللامتية والعشاقية وغيرها. وقد كان لمشايخ هذه الطرق والزوايا الصوفية في تركيا وقت إعلان الجمهورية ضلع في الجمعيات والاجتماعات السرية والدعوة إلى التظاهر وإثارة العصبية ضد الحكومة الكمالية الجديدة. ومن أبرز زعمائهم كان أبو الهدى الصيادي السوري وحجازي سيد أحمد أسعد زعيم الطريقة الرفاعية، ومحمد ظافر زعيم الطريقة الشاذلية^(٣) . وقد كان النظام العلماني الذي فرضه أتاتورك يهدف إلى إنهاء دور رجال الدين في أمور الدولة ودورهم في حياة الناس الاجتماعية والثقافية والمعيشية. وعندما ارتضى شيخ الإسلام ارتداء القبعة والظهور مرتديا إياها إلى جوار أتاتورك لم تكن التنظيمات الصوفية قد ألفت السلاح ، وكان التيار الصوفي بالمرصاد أمام الحملة الشعواء التي أقامها أتاتورك ضدهم حين أعلن أن تركيا لن تكون بلد المشايخ والدراويش والمريدين، كما أعلن أن المتصوفة يجهلون أصول الشرع وليست لديهم مقدرة على تلاوة الفاتحة . وما أن تسلم أتاتورك زمام حكم البلاد حتى بدأ بقمع المظاهر الدينية ، فقد اعتبرها عادات وتقاليد موروثة منذ مئات السنين ، وأعلن أن هذه الطرق تقوم على الخرافات والأساطير والمبالغات ، وأن أئمة هذه الطرق ومشايخها يقومون بخوارق ومعجزات لا أساس لها^(٤) .

وقد كانت هذه الطرق تنتشر بين أوساط المثقفين وأصحاب المراكز العالية في الدولة ، حتى إن السلطان عبد الحميد نفسه كان من أتباع الطريقة الشاذلية ، كما كان عدد كبير من الضباط منضمين إلى الطرق الصوفية هذا إلى جانب طبقة الفلاحين ، وقد تصدى أتاتورك لتلك الطرق وأغلقها بالقوة والعنف، كما أغلق جميع زواياهم وتكاياهم ووضع قوانين صارمة لمعاقبة الذين يمارسون شعائرهم سواء في الخفاء أو العلانية .

وفي ٣٠ أغسطس عام ١٩٢٥م ألقى مصطفى كمال خطابا في مدينة " قسطنطينية " حيث تنتشر " الطريقة المولوية " تعرض فيه للطرق الصوفية فقال : " إن طلب العون

(١) نفس المرجع ، ص ٧٢ .

(٢) نفس المرجع ، ص ١٩٨ .

(٣) سليم الصويص، مرجع سابق، ص ٢٥٩ .

(٤) انظر لإجراءات أتاتورك الرسمية للسيطرة على الطرق الصوفية ومن ثم الغائها ملحق Mustafa Kara, Tekkeler ve Zaviyeler , Istanbul , 1980, s. 389 - 423.

والمساعدة من قبور الأموات هو صفة للمجتمع الأنسانى المتحضر . وإنى أتساءل ماذا عسى أن يكون هدف رجال الدين سوى جعل حياة أتباعهم أفضل مما هى عليه روحيا وماديا ؟ فإذا كان هذا هو هدفهم فإننى أرفض مجرد التصور بأنه ما زال فى تركيا بعد كل هذا الجهاد للقضاء على الجهل والتخلف أناس مازالوا يلتزمون تحسين أوضاعهم المعيشية من خلال مشايخ الطرق وأساليب الشعوذة. يجب أن تتعلموا أيها السادة أنتم وأفراد أسركم ، وعلى الأمة التركية بأسرها أن تعلم أن الجمهورية التركية العلمانية لا يمكن أن تكون بعد اليوم أرضا خصبة للمشايخ والدرأويش وأتباعهم من أصحاب الطريقة ، وإذا كان هنالك من طريقة حقيقية فهى طريقة الحضارة المبنية على العلم ، وعلى من يريد أن يكون إنسانا أن يأخذ بما تقدمه له هذه الحضارة وأن يتفاعل معها ، وعلى مشايخ الطرق أن يفهموا هذا الكلام بوضوح وبالتالى يغلقوا زواياهم وتكايهم عن طيب خاطر وإلى الأبد، قبل أن أدمرها فوق رؤوسهم! " واستطرد قائلا : " إن من الطبيعى أن يستاء من هذه الإصلاحات الخوجات، أى المعلمون الدينيون والدرأويش الذين يعيشون خاملين فى بيوتهم ويستغلون عواطف الشعب الدينية ويضعون كل مصالحهم مع الرجعية^(١) .

وما إن عاد أتاتورك من " قسطنطينى " إلى أنقرة حتى أصدر سلسلة من القوانين والقرارات أغلق بموجبها جميع " التكايا " وحلها ومنعها من ممارسة شعائهم تحت طائلة العقوبة الصارمة^(٢) . وفى نوفمبر عام ١٩٢٥م قام مصطفى كمال بتقديم لائحة قانونية احتوت على التالى :

- ١ - إغلاق الزوايا والتكايا الموجودة بالدولة سواء كانت وفقاً أو ملكاً لمشايخها .
- ٢ - إلغاء كل أنواع الطرق ومشايخها وإلغاء ألقاب الدرأويش والمريد والأسستاذ والسيد والجلبى والبابا والأمير والنقيب والخليفة والعرافة والسحر والتنجيم وكتابة التعاويذ والأحجية والتمايم .
- ٣ - حظر استعمال عناوين وصفات أزياء تدل على تلك الطرق .
- ٤ - إغلاق جميع المزارات وقبور السلاطين والأولياء ومشايخ الطرق .
- ٥ - يحكم على كل من يخالف هذه القرارات بالحبس مدة لاتقل عن ثلاثة أشهر وغرامة لا تقل عن خمسين ليرة .

(١) سليم الصويص ، مرجع سابق ، ص ٢٦٠ .

(٢) مصطفى الزين ، مرجع سابق ، ص ٣٠٩ ، ٣١٠ .

٦ - تحويل جميع ما فى الزوايا والتكايا من أثاث إلى المتاحف التابعة للدولة .
وكنيجة حتمية لإغلاق الزوايا والطرق أصبحت المناصب المعترف بها كعلماء هى :
رئيس الشؤون الدينية ، وأعضاء الهيئة الاستشارية فى رئاسة الأمور الدينية ،
والمفتون ، والأئمة والخطباء الذين يعينون من قبل رئاسة الشؤون الدينية .

٧ - زى العلماء هو عمامة بيضاء وجبة سوداء .

٨ - عدم إجبار العلماء على ارتداء الزى خارج وظائفهم .

٩ - يخير العلماء فى السلام بين رفع غطاء الرأس أو الإشارة بأيديهم .

وفى نفس الوقت الذى أغلقت فيه الطرق والتكايا وألقابها صدر قانون تم إقراره فى
٢٥ نوفمبر لسنة ١٩٢٥م بقرار الآتى : على جميع أعضاء المجلس والموظفين والعاملين
فى جميع المؤسسات الرسمية والخصوصية اكتساء القبة التى اكتستها الأمة وأصبحت
غطاء الرأس لجميع الشعب التركى .

وقد تمرد البعض من هذا الإجراء ووقعت المظاهرات والتمردات والفتن ضد هذا
القرار واعتبروه رمزا من رموز الإلحاد والزندقة^(١) واستكمالا لهذه القرارات جاء
على عناوين صحيفة " مليت " المناداة بتيسير الإسلام عن طريق ترك الأشياء التى لا
تتفق والعلم وطلبت السماح بدخول المساجد بالأحذية ووضع كراسى للجلوس عليها
لصعوبة الجلوس على الأرض ، والصلاة بوضوء واحد طوال اليوم ، وإدخال الآلات
الموسيقية فى المساجد^(٢) وقد شن مصطفى كمال هجوما على هؤلاء الدراويش قال فيه :
" إن طلب العون من الميت عار على المجتمع المتمدين ، ما هو هدف هذه الطرائق ؟
إننى أرفض التصديق فى عهد العلم والمعرفة والمدنية أن يكون خير تركيا ومستقبلها
رهنا بيد رجال بدائيين يقودهم خوجا ، (أى معلم الدين) عليكم أن تدركوا أن تركيا
الجمهورية ليست وطن هؤلاء الخوجات والدراويش والأخوان . إن أحسن طريقة هى
طريقة الحضارة ، أن تكون رجلا هو أن تتصرف وفق ما تتطلبه الحضارة منك ، بهذا
سأغلق كل التكايا . نحن نستمد قوتنا من الحضارة والعلم والمعرفة ونسترشد بها . أما
التكايا فتريد استغلال الشعب وقد قرر الشعب التحرر من المجذوبين ، وألا يظل
مجنونا ومجذوبا " .

وفى سنة ١٩٣٧م وصف وزير الداخلية حركات الدراويش بأنها " إرث شرير من
الماضى ، وأنها تضل الأمة عن الطريق الصحيح ، طريق القومية والمعرفة والعلم "^(٣)

(١) دروزة، مرجع سابق، ص ٧٧، ٧٨.

(٢) الطنبوبى ، مرجع سابق، ص ٢٣٣.

(٣) سليم الصويص، مرجع سابق، ص ٢٦٠.

بعد ذلك تم تكوين جمعيات تعترض على الإجراءات الحكومية تحت قيادة الشيخ سعيد البالوى الذى عرف باسم سعيد الكردى النقشبندى شيخ النقشبندية ، وقد أثار هذا التكوين مصطفى كمال وقام بمقاومته بسبب تدعيم الجيش له فى الأناضول ؛ فقام بإضافة مادة إلى قانون الخيانة الوطنية نص فيها تحريم تكوين جمعيات تقوم غايتها السياسية على الدين، وكل من يشارك فى هذه الجمعية فهو خائن للوطن .

وفى أبريل عام ١٩٢٥م تم القبض على الشيخ سعيد وأعدم . وانعكاسا لهذه الحوادث كان أتاتورك يقوم بمهمة تفسير الدين فوق المنابر بنفسه ، ثم نفذ القانون بحزم وقوة ، ونتيجة ذلك أن أغلقت الزوايا والمزارات ، واختفت الأزياء وأشكال الطرق وأسمائها وطبولها وزمورها وناياتها ودفوفها ودرأويشها^(١) . إلا أن تطبيق القانون لم يمنع من حدوث العديد من المصادمات بين الحكومة ورجال الدين ، وكان ذلك نتيجة طبيعية لهجوم أتاتورك المستمر على الإسلام والمظاهر الإسلامية فى شتى صورها^(٢) .

* * *

(١) محمد عزة دروزة، مرجع سابق، ص ٧٧.

(٢) الدسوقي شتا، مرجع سابق، ص ٤٧ - ٥١.

٣ - اعتماد القانون المدنى السويسرى :

كانت المسائل الشرعية والاحكام الفقهية فى الدولة العثمانية تعتمد على اجتهادات علماء الدين وفقهاء الدولة حيث كانوا يستنبطون احكامهم الفقهية من كتب الفقه الإسلامى . وكانت " المحاكم قبل تدوين المجلة تصدر قرارات متناقضة فى الموضوع الواحد ، وكان مرد ذلك اختلاف كفاءة القضاة فى الاستنباط من كتب الفقه ، مما نتج عنه تراكمات واختلافات فى المسائل المدنية ، فاتجهوا للبحث عن الحلول بعيدا عن الفقه الإسلامى . وهو ما ظهر متوافرا فى النموذج الغربى للتقنين" (١) .

ومع ظهور تيار الاصلاحات ومحاولة تغريب الدولة واعلان التنظيمات عام ١٨٣٩م فى عهد السلطان عبد المجيد بدعى الاتجاه بالدولة إلى العلمانية بدلا من الاتجاه الشرعى ، ظهر المناداه بضرورة الأخذ بالقانون المدنى الفرنسى . وأنشئت لأول مرة محاكم مدنية على النسق الغربى إلى جانب المحاكم الشرعية وذلك للنظر فى القضايا المدنية التى تخص غير المسلمين (٢) .

وفى ذلك الوقت قام أحمد جودت باشا بمطالبة وضع قانون يناسب العادات والعرف والتكوين الإسلامى للدولة العثمانية (٣) . ونادى بضرورة تقنين الفقه الإسلامى ليتناسب مع تكوين الدولة الإسلامية. فصدر مرسوم سلطانى بتشكيل لجنة من كبار فقهاء الدولة برئاسة أحمد جودت باشا وذلك لجمع المسائل الفقهية واصدارها فى كتاب يسمى مجلة الاحكام العدلية (٤) .

وصدرت المجلة واستمر العمل بها كأساس للقانون المدنى فى الدولة العثمانية مدة ستين عاما (٥) .

تقع المجلة فى ١٦ جزء ، كل جزء مقسم إلى أبواب ثم فصول ثم مواد وتضم المجلة ٧٣ بابا و ١٨٥١ مادة (٦) .

(١) ماجدة مخلوف، أهمية تقنين الفقه الإسلامى، أحمد جودت باشا ودور مجلة الاحكام العدلية فى التقنين، مقال فى المحلة العربية، عدد ١١٦، الرياض، مايو ١٩٨٧م، ص ٨٦، ٨٧.

(٢) ماجدة مخلوف، معروضات أحمد جودت باشا، دراسة وتحقيق وترجمة إلى العربية، رسالة دكتوراه، جامعة عين شمس، كلية الآداب، القاهرة، ١٩٨٣م، ص ٥٣.

(٣) ماجدة مخلوف، معروضات أحمد جودت، مرجع سابق، نفس الصفحة.

(٤) انظر ماجدة مخلوف، أهمية تقنين الفقه الإسلامى، مرجع سابق، ص ٨٦.

(٥) ماجدة مخلوف، معروضات أحمد جودت، مرجع سابق، ص ٥٥.

(٦) تتكون المجلة من كتاب البيع - الإيجار - الكفالة - الحوالة - الرهن - الوديعة - الهبة - الغصب - الإلتاف - الحجر والإكراه والشفعة - الشركة - الوكالة - الصلح والإبراء - الإقرار - الدعوى البينة والتحليف والقضاء. انظر فى هذا ماجدة مخلوف، أهمية تقنين الفقه الإسلامى، مرجع سابق، ص ٨٧.

احتوت "المجلة" على الكثير من الكتب الفقهية وكتب الفتاوى ، وكانت تضم الأحكام التى تتبع المذهب الحنفى فيما يختص بشئون المعاملات. ولا يوجد فى المجلة مواد تطبق المسائل الفرعية^(١) مما سهل مجال التطبيق العملى لها .

وتعتبر المجلة أول تنفيذ لفكرة ابن المقفع لتقنين الفقه، التى احتضنها أبو جعفر المنصور وأيدها هارون الرشيد ولم تتحقق إلا على يد "أحمد جودت باشا". وتعد المجلة أفضل عمل تشريعى تعتر به الدولة العثمانية^(٢) .

والمجلة من أعظم الأعمال التى قدمتها الدولة العثمانية للعالم الإسلامى، وهى أول صياغة للأحكام توصل إليها "أحمد جودت باشا" فى شكل مواد بعيدة عن الاختلافات. وقد طبقت هذه المجلة فى معظم الاقطار الإسلامية^(٣) .

كما قامت محاولات فى البلدان الإسلامية للتأليف الفقهى على نسق هذه المجلة^(٤) .

واستمر العمل بهذه المجلة حتى عام ١٩٢٦م حينما جاء قرار مصطفى كمال أتاتورك بإحلال القانون المدنى السويسرى محل مجلة الأحكام العدلية ليهز الحياة الاجتماعية والعائلية والشخصية لدى المجتمع التركى التى كانت تقوم عليها الحياة هناك طيلة قرون طويلة^(٥) .

وقد أكد مصطفى كمال رأيه فى إحلال هذا القانون بقوله : " إن الأديان تعبر عن أحكام ثابتة بينما الحياة تتحول وتحتاج إلى تغيير . وأقر أن كل ما تعايه تركيا يرجع إلى كونها تستمد أحكامها من الدين"^(٦) كما أكد مصطفى كمال أن مقضيات الحياة تتطلب وضع قانون مدنى متسق مع متطلبات المدنية الحديثة^(٧) .

(١) ماجدة مخلوف، معروضات أحمد جودت، مرجع سابق، ص ٥٦.

(٢) ماجدة مخلوف، معروضات أحمد جودت باشا، مرجع سابق، ص ٥٧ - ٥٩ .

(٣) طبقت هذه المجلة فى مصر والأردن، والعراق، وسوريا، ولبنان، وطبقها إنجلترا فى قبرص واتخذتها بلغاريا أساسا لقوانينها المدنية، كما طبقت فى يوغسلافيا وألبانيا وفلسطين. انظر ماجدة مخلوف، أهمية تقنين الفقه الإسلامى، مرجع سابق، ص ٨٧.

(٤) من هؤلاء الذين حاولوا التأليف على نسق هذه المجلة كان محمد قدرى باشا فى مصر فقد ألف كتاب "مرشد الحيران فى معرفة أحوال الإنسان" وهو كتاب فى المعاملات الشرعية على المذهب الحنفى، كما قام أيضا الشيخ أحمد بن عبد الله القارى الفاضل فى مكة بتأليف مجلة فقهية سار فيها على نهج وأسلوب أحمد جودت باشا. انظر ماجدة مخلوف، مقال أهمية تقنين نالفقه الإسلامى، مرجع سابق، ص ٨٧.

(٥) محمد عزة دروزة ، مرجع سابق، ص ٨٧.

(٦) نقلا عن الطنوبى، مرجع سابق، ص ٢٢١- ٥٣ - ٤٥، Levonion, L., The Turkish Press, pp. 45 - 53.

(٧) هناك ترجمة عربية كاملة للقانون المدنى التركى موجودة فى مكتبة مركز بحوث العالم التركى بالقاهرة، وملها نعرف أن هذا القانون مكون من ٤٤٨ مادة وفيه الكثير من المواد الغريبة على النبية الإسلامية منها المادة ١١٢ حيث تقول " تبطل الزوجية إذا كان أحد الزوجين متزوجا عند إجراء مراسم الزواج" انظر، الترجمة العربية للقانون المدنى التركى، مكتبة مركز بحوث العالم التركى بالقاهرة، ص ٣٠.

وقد صدر القانون المدنى فى ١٠/٤/١٩٢٦م مرفق معه تقرير احتوى على الأسباب التى دعت إلى تقريره ، وقد قدم هذا التقرير " محمود أسعد " الذى ترجمه ترجمة غير مفهومة، وقد بدأ القانون بمقدمة اشتملت على هجوم على الإسلام حيث وصف القرآن أنه " شريعة الصحراء" (١) .

ويقع القانون السويسرى الذى وضعته الحكومة الجديدة فى ٩٣٧ مادة مقسمة إلى خمسة وعشرين باباً ومقدمة تحوى أحكاماً عامة .

وتتناول الأبواب الموضوعات التالية :

حقوق الشخص - الأشخاص المعنويين - الزواج - وحدة العائلة والوحدة المالية والعائلية - النسب الصحيح والتبنى - الولد غير صحيح النسب - النفقة - الوصاية - الأوصياء والحجر - الميراث والتركات والوصية - الملكية العامة - ملكية غير المنقول - ملكية المنقول - وضع اليد. وقد احتوت مواد وأحكام هذا القانون على الكثير مما يخالف الشريعة الإسلامية .

ومن أهم أحكام الرشد والزواج التى تضمنها القانون المدنى السويسرى :

- ١ - يبدأ سن الرشد فى تمام الثامنة عشرة .
- ٢ - سن الزواج السابعة عشرة للرجل والسادسة عشرة للمرأة .
- ٣ - لا يجوز لشخص أن يتزوج مرة ثانية .
- ٤ - لا يجوز للمرأة المتوفى زوجها أن تتزوج إلا بعد مرور ثلاثمائة يوم .
- ٥ - لكل من الزوجين الحق برفع قضية طلاق بسبب زنا الآخر أو بسبب محاولة الآخر اغتياله أو معاملته معاملة سيئة جداً أو بسبب العشرة بين الزوجين ، وعلى الحاكم أن يحكم بالطلاق إذا ثبتت صحة أسباب الطلاق .
- ٦ - تبني الأولاد لا يجوز إلا من قبل من كان عمره أربعين سنة فما فوق ، والمتبنى يتلقب بلقب متبنيه ويكون وريثاً له .

أما فى أحكام الميراث فأصحاب الحق الأصليون فى الإرث هم الفروع فقط على أساس المساواة بين الذكر والأنثى كما أباح هذا القانون زواج الأخوة فى الرضاعة (٢) كما جعل من حق الأب الاعتراف بولده الذى يولد له على غير فراش الزوجية

(١) الدسوقي شتا، مرجع سابق، ص ٤١ .

(٢) القانون المدنى التركى، ص ٢٣، انظر ، الطنبوبى، مرجع سابق، ص ٢٢٢، وانظر أيضاً فى هذا الصدد دروزة، مرجع سابق، ص ٨٧ - ١٠١ .

ويلحقه به ، ومن حق الأم أيضاً رفع قضية تعيين والد ولدها الذى تلده على غير فراش الزوجية ، ولها حق رفع قضية للحصول على نفقة لها ولولدها ولو كانت متزوجة من آخر^(١) .

وبهذا القانون تأكد مبدأ فصل الدين عن الدولة ، وقد حرم أى دعاية ضد مبادئ العلمانية ، وأتاح هذا القانون الفرصة لظهور كتابات تهاجم الإسلام وتتحدى بالإنسلاخ عنه .

وقد ذكر " جلال نورى " فى كتابه الثورة التركية : " إن العادات والتقاليد الدينية هى العقبات الرئيسية للتقدم، ويخلص إلى ضرورة تبني الفكر الغربى القائم على التجربة وحرية الفكر وضرورة إصلاح الإسلام مثلما فعل " مارتن لوتر " فى المسيحية^(٢) .

أما " حمدى صبحى " فقد عبر عن اتجاهه المعادى للإسلام بقوله: إننا نفكر الآن فى تحطيم هذا النير الإسلامى الواقع علينا^(٣) .

وفى نهاية عام ١٩٢٦ تم فرض السفور على النساء، وأصدرت المجالس البلدية قراراً يحظر فيه السيدات لبس السروال، وألزمتهن لبس الفستان وإلا قدم أزواجهن أو أقرباؤهن للمحاكمة^(٤) وكان حاكم "طرابزون " هو أول من حرم استخدام الحجاب وفرض على النساء أن تخرجن عاريات الوجوه ، وقرر أن كل سيدة ترتدى النقاب سوف يقبض عليها للثبوت من شخصيتها^(٥) .

وبرر أن الحجاب والنقاب عقبة فى سبيل التعرف على ذوات المقاصد السيئة من السيدات واللصوص^(٦) وقد كان المقصود من هذا القانون هو تغيير أحكام الشرع وقطع صلة الأتراك بالدين الإسلامى وإبعاد المجتمع التركى عن أحكام الشرع الإسلامى .

وقد نص القانون فى مادته رقم (١٦٣) بالعقاب بالسجن المؤبد لكل من يستفيد من الدين والشعور الدينى فى إثارة الناس ضد أمن الدولة بأى صورة ، بالإضافة إلى أى محاولة تنظيم جمعيات لهذا الغرض حتى ولو لم ينتج عن هذه الجمعيات أى نتائج . كما حرم تكوين أى جمعيات سياسية على أساس دينى ومعاقبة أعضائها^(٧) . كما

(١) انظر الطنوبى، مرجع سابق، ص ٢٢٤ .

(٢) الطنوبى، مرجع سابق، ص ٢٢٧ .

(٣) الطنوبى، مرجع سابق، ص ٢٢٧ .

(٤) صحيفة الأهرام، مقال تركيا والأزياء الشرقية، العدد ١٥١٦٨، ١٢/١١/١٩٢٦، ص ٢ .

(٥) صحيفة صدق الحق ، العدد الأول، ١٩٢٦/١٢/٣٠ .

(٦) Zia, Nasim, Atatürk and the Emancipation Turkish Women.. نقلا عن الطنوبى، ص ٢٨٨

(٧) الطنوبى، مرجع سابق ، ص ٢٢٦ .

الفصل الثالث

إجراءات الحركة الكمالية فى مجالى اللغة العربية والعلوم الإسلامية

- ١- قانون توحيد التدريس .
- ٢- الانقلاب الحرفى .
- ٣- الانقلاب اللغوى .

الإجراءات الكمالية ضد اللغة العربية :

لم تكن اللغة التركية فى عهد الدولة العثمانية تركية بمفهوم هذه الكلمة إلا ببعض التراكيب والإضافات ، أما من حيث الجذور وبنية الألفاظ فقد كانت مزيجاً من التركية والعربية والفارسية ، وكانت هذه اللغة تسمى " باللسان العثمانى " . وكان الطالب التركى فى المدارس يدرس اللسان العثمانى إلى جانب اللغتين العربية والفارسية . وفى عام ١٨٦٢م ظهر لأول مرة فى تاريخ الدولة العثمانية محاولة إصلاح الأبجدية وكتابتها بالحروف الأوروبية، وكان أول من نادى بهذا الأمر "منيف باشا"، وعلى الرغم من وجود مدارس تحفيظ القرآن إلا أن مدارس الحكومة قد انفصلت عن إشراف العلماء ووضعت تحت إشراف وزارة المعارف ، وازدادت الهوة بين التعليم الدينى والتعليم المدنى، وقد نتج عن ذلك ازدواج ثقافى^(١) .

وفى هذه الفترة ظهرت حركة تركيا الفتاة التى تألفت عام ١٨٦٥م من شخصيات أدبية وسياسية ، وصدرت أول مجلة تحمل اسم "حرية" وهى مجلة أسبوعية صدرت عام ١٨٦٨م - ١٨٧٠م لتركيا الفتاة، وكانت تضم مدافعين عن الاتجاه الحديث فى الأدب التركى ، منهم "نامق كمال" "ضيا باشا" "ونورى بك" "وعلى موافى"^(٢) وقد طالب زعماءها بإدخال الإصلاحات الدستورية فى الدولة العثمانية، وقد كانت هذه الجمعية على اتصال وثيق بالعناصر السياسية الفرنسية^(٣) وكان نشاطهم فى عهد السلطان عبدالعزیز إصدار الصحف ، وكانت تتضمن هجوماً على أسلوب الكتابة باللغة العثمانية، وكان على رأس هذا الهجوم "ضيا باشا" فى مقالة كتبها عام ١٨٦٨م. كما هاجم حزب تركيا الفتاة الأبجدية عن طريق الصحف، وقد أثارت مقالاتهم اهتمام السفير الإيرانى "الكرم خان" فأرسل خطاباً إلى محررى "حرية"^(٤) قال فيه إن نظام التعليم الإسلامى سيئ وإن الأبجدية العربية هى التى تعوق الوصول إلى مستوى الحضارة الأوروبية .

وفى هذه الاثناء ظهرت جريدة اسمها (انقلاب) كان يصدرها محمد بك، ويرجع إلى هذه الجريدة إدخال لفظ "انقلاب" فى القاموس التركى^(٥) كما ظهرت صحف "ترقى" "وبصيرت" "وعبرت" وكلها تروج الافكار الغربية خلال تلك الفترة .

(١) أحمد عبدالرحيم مصطفى، مرجع سابق، ص ٢١٩

(٢) أرست رامزور، مرجع سابق، ص ٣٩-٤٠

(٣) سليم الصويص، مرجع سابق، ص ٤٢ .

(٤) هى أول مجلة لتركيا الفتاة كما ذكرنا من قبل، انظر أرست رامزور، مرجع سابق، ص ٤٠

(٥) سليم الصويص، مرجع سابق، ص ٤٢ .

١ - قانون توحيد التدريس

قوبل نظام التعليم في الدولة العثمانية بمعارضة من الحكومة الكمالية ، ففي الجلسة التي تم فيها إلغاء الخلافة ووزارتى الشرعية والأوقاف عام سنة ١٩٢٤م تقرر فيها قانون إلغاء التعليم التابع لوزارة الأوقاف، وإقرار قانون جديد يتم تنفيذه تحت رئاسة الشئون الدينية التابعة للحكومة والجديدة^(١) .

ومع ظهور تيار العلمانية بدأت محاولات التخلص من تأثير الثقافة العربية، وتطبيقاً لهذا أصدر مصطفى كمال عام ١٩٢٣م قانوناً بإلغاء الحروف العربية واستبدالها بالحروف اللاتينية، كما أصدر قانون توحيد المدارس، على أن تقوم رئاسة الشئون الدينية التابعة للحكومة الجديدة بتنفيذه، وكانت بنوده كالتالى :

١- جميع المؤسسات العلمية والتدريسية في بلاد الجمهورية قد ربطت بوزارة المعارف .

٢- جميع ما يدار من قبل وزارتى الأوقاف والشرعية أو من قبل الأوقاف الخصوصية من مدارس ومكاتب ربط بوزارة المعارف .

٣- جميع ما فى ميزانية وزارتى الأوقاف والشرعية من مخصصات للمدارس ينتقل إلى ميزانية المعارف .

٤- وزارة المعارف تنشئ فى الجامعة كلية إلهيات عالية لتنشئة متخصصين فى الأمور الدينية ، كما تنشئ مدارس خاصة لتخريج الأئمة والخطباء وغيرهم من أصحاب الوظائف الدينية .

٥- جميع ما هو موجود عند نشر هذا القانون من مؤسسات تدريسية عسكرية رشدية وإعدادية مما هو مربوط بوزارة الدفاع ، وما هو موجود من دور الأيتام وملاجئ مما هو مربوط بوزارة المعارف تنقل مخصصاته لميزانية المعارف^(٢) .

وبهذا القانون أوضح مصطفى كمال منهجه نحو إصلاح التعليم وقال آنذاك : " إننا ونحن نناضل ضد الجهل، فإن قواعد التعليم يجب أن تهدف إلى إعطاء المعلومات الأولية بطريقة نشطة حتى يكون أطفالنا نشطين فاعلين ومنتجي^(٣) . وكان مصطفى كمال يرى أن المدرسة التركية القديمة تعنى بالقشور ولا تستطيع تعليم علوم الطبيعة والكيمياء والرياضيات ، ولهذا فهى تقوم بتعليم الدين واللغتين العربية والفارسية

(١) انظر ما أصاب المدرسة الدينية التقليدية العثمانية وإلغاء التدريس الدينى الإسلامى، Mustafa Kaplan , Kemalizm ve İslamiyet, İstanbul , 1993, s. 145 - 146.

(٢) محمد عزة دروزة، المرجع السابق، ص ٧٢.

(٣) سليم الصويص، مرجع سابق، ص ٢٥٣.

وبعض مبادئ الحساب والتاريخ ، وكان يشعر بالفارق بين أبناء المدارس التركية والمدارس الأوروبية .

لكن هذا القانون لم يستمر العمل به، ولم يُقبل على كلية الألهيات أحد فأقفرت وألغيت ، حتى إن مدارس الأئمة والخطباء قد أغلقت هي الأخرى وكان ذلك عام ١٩٣٠م . وأصبحت دراسة العلوم الدينية التي تؤهل صاحبها لمنصب أو وظيفة دينية مسألة شخصية ترجع لمن يريد ها . وجدير بالذكر أن التعليم الديني في المدارس رفع بعد صدور هذا القانون، وذلك لأن الطالب أصبح يواجه توجيهات مضادة ، ويلقن أن الثقافة والتقاليد الإسلامية هي من أسباب تأخر التركي ، وأنها من أسباب ضعف البنية القومية والثقافية واللغوية التركية . وأصبح تعليم القرآن وأمور الدين لـلأولاد مسألة شخصية هي الأخرى ، فأخذ يقل يوماً بعد يوم وذلك لانعدام وجود المعلمين الصالحين لهذا الغرض . وقد كان لهذا القانون تأثير كبير على الحياة التركية ، وقام البعض بنشر رسائل تنديدية بسبب إلغاء المدارس الدينية والتعليم الديني مما أثار نقمة الرأي العام المسلم ، وقامت الاعتراضات من كل اتجاه بسبب قلب الدولة إلى بلاد لا دينية وهدم كيان الإسلام والمسلمين ، وتشكلت الجمعيات السرية واندفعت تبث الدعاية وتعدّد الاجتماعات وتدعو للمظاهرات ، وقد لاقت استجابات في نواح كثيرة من الدولة ؛ فنشبت ثورة الأكراد وتصدت لها الحكومة بقمع هذه الثورة ومنعها، وأصدرت قانون إقرار الأمن بحيث منعت أي منشورات من شأنها أن تؤدي للارتداد والعصيان ، وعلى الرغم من مواجهة الحكومة لهذه الثورات والاعتراضات إلا أن النشاط الإسلامي استمر ولم يهدأ .

وفي عام ١٩٢٣م أصدر مصطفى كمال قانوناً بإلغاء الحروف العربية واستبدالها باللاتينية ، كما قام بتكليف العلماء والأدباء لتأسيس " الجمعية اللغوية " عام ١٩٢٣م وكانت مهمتها إبراز اللغة التركية وترقيتها حتى تصل إلى مكانة رفيعة بين لغات العالم ، وجاء في خطابه أثناء اجتماع جمعية اللغة قوله : " ينبغي أن نحرر أنفسنا من الإشارات التي لا تفهم والتي تسبب لنا صداً إذا حاولنا فهمها، وعلينا أن نأخذ هذا الأمر على أنه مهمة قومية ووطنية ، وعندما نقومون بهذه المهمة فعليكم أن تتذكروا أنه من المخجل أن عشرة أو عشرين في المائة من الوطن يعرفون القراءة والكتابة ، وأن وطننا يجب أن يتعلم القراءة بالحروف الجديدة في عام أو عامين، وسوف نبرهن أننا أنداد للعالم المتحضر^(١) .

وقد كتب أحد الأتراك عبارة تسخر من اللغة العربية والدين بشكل عام يقول فيها :
" إنه لشئ مضحك أن نعبد إلهاً يخاطب الجميع باللغة العربية ولا يعرف إلا العربية"^(٢) وفي نفس الوقت رفض مصطفى كمال أي معاملة في دوائر الحكومة

(١) Jorge Blanco Villalta, Atatürk, Ankara, 1982, s. 379 - 382.

(٢) مصطفى الزين، مرجع سابق ص ٢٣٩.

تكتب بالعربية، كما أمر بترجمة القرآن إلى اللغة التركية وتلاوة الصلاة بالتركية،
وحينما ثار رجال الدين عليه بادرمهم بقوله : " هل يفهم الله اللغة التركية أم لا ؟ " وقد
كان سؤالاً مفاجئاً للعلماء^(١) .

كما أمر مصطفى كمال بعدم إطلاق سراح المسجونين بعد انتهاء مدة عقوبتهم إذا
لم يتعلموا في مدة سجنهم القراءة والكتابة بالحروف الجديدة، وفي نفس الوقت يفرج
عن كل سجين يتقن الحروف الجديدة قبل انقضاء المدة المحكوم بها عليه^(٢) . وقد
صدرت الصحف في أول ديسمبر سنة ١٩٢٨م بالحروف الجديدة فواجهت خسائر
نظراً لقلّة توزيعها ؛ نتيجة لعدم فهم هذه الحروف الجديدة، فقام مصطفى كمال بتقديم
المعونات المادية اللازمة لهذه الصحف^(٣) . وقد وصل تصميم كمال لتنفيذ قرار الانقلاب
اللغوي إلى الحد الذي جعله يرتدى ملابس ريفية ويحمل لوحه الأسود وطباشيره
ويطوف بنفسه على القرى شارحاً للناس طريقة الكتابة الجديدة وكأنه معلم في
مدرسة^(٤) .

وبصدور قانون تغيير الحروف سنة ١٩٢٨م أصدرت الوزارة تعليمات إلى مدارس
الشعب بإلغاء الهيئات العلمية والتنفيذية في الولايات والأقضية والتي كان يرأسها
الولاة والقائمقاميون والمديرون ورؤساء الدوائر والبوليس ، كما أغلقت مدارس
الشريعة ومدارس الوعظ والإرشاد والمدارس الأجنبية الخاصة ، ومنعت المدارس من
تعليم الدين وانخرطت البنات في سلك التعليم^(٥) ونادت بفتح مدارس في المدن والقرى
والقصبات والأحياء وإمدادها بالقاعات والمعلمين وأدوات الدراسة اللازمة، وأجازت
اتخاذ المساجد ودوائر الحكومة والمقاهى أماكن للدراسة وذلك لمن تجاوز سن الدراسة ،
وألزمت كل معلم أن يقوم بتدريس الحروف الجديدة لعدد من ٣٠-٥٠ شخصاً، وأن
يحصل هذا الشخص على شهادة بإتمام الدراسة. كما أوجبت هيئات المعارف القيام
بمهمة مراقبة وتفتيش هذه المدارس ، وألزمت كل مؤسسة مالية وصناعية بتهيئة
أسباب تعليم موظفيها ومستخدميها هذه الحروف، أيضاً فقد افتتحت جامعة أنقرة عام
١٩٢٥م واشتملت على كليات الحقوق واللغات والتاريخ والجغرافيا^(٦) .

وفي عام ١٩٣٧ بدأ بناء جامعة في الأناضول ، وقال مصطفى كمال في خطاب
له عام ١٩٢٨م : إن خطوة تبديل اللغة ستكون انتقالاً عظيماً إلى الارتقاء وهذا

(١) نفس المرجع ، ص ٢٥٧ .

(٢) دروزه، مرجع سابق ، ص ١٢٤ - ١٢٥ ، مصطفى الزين، مرجع سابق، ص ٢٢٨ .

Villalta, op.cit, s. 382.

(٤)

(٥) مصطفى الزين ، مرجع سابق ، ص ٢٥٦ .

(٦) سليم الصويص ، مرجع سابق ، ص ٢٥٥ .

Villalta, op.cit, s. 382.

(٧)

الانتقال في اللغة التركية روحاً تتسق مع نبل الأمة التركية ومكانتها^(١) . وقال في حديث آخر له : إن التعليم الذي تلقاه ملايين الشعب التركي لم يغرس فيه الخصائص الإنسانية الكفيلة بتحطيم القيود ، والسبب في ذلك هو أن التعليم القومي لا وجود له^(٢) .

قام الباحثون الأتراك بمحاولة تأكيد فكرة أن اللغة التركية هي أقدم لغات العالم وأنها أصل كل اللغات ، وحاولوا إثبات أن السومريين والحثيين والأثروسيين والألبانيين وسكان الأناضول الأصليين وسكان إيران هم في الأصل أتراك ، وأن موجات الأتراك غمرت الأرض شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً ، وأنهم أثروا في كل مكان ذهبوا إليه تأثيراً مدنياً ولغوياً . وقال بعضهم إن اللغة العربية واللغات السامية ليست إلا لهجات من التركية^(٣) .

وفي مجلة اللغة التركية عدد (تموز) ١٩٣٣م ورد مقال بعنوان : " اللغة التركية في اللغة العربية " حاول فيه كاتب المقال أن يثبت أن اللغة العربية ليست إلا مسخاً وتشويهاً للغة التركية ، وأن اللغة العربية أخذت أصول كلماتها من الأمم التركية التي هاجرت إلى آسيا الصغرى وانتشرت في العراق وسوريا . وكانوا يعبرون عن هذه الأمم بقولهم :

" هم أمم بدائية فقيرة في اللغة والمدنية ، اضطرت إلى أخذ لغة الأمم الأرقى منها في المدنية والثقافة المادية والفعلية "^(٤) وقد ورد هذا المقال في خمسة وخمسين صفحة تضمن كلمات عربية وصل عددها إلى ألفي كلمة تشترك مع اللغة التركية في الاشتقاقات والمعاني وعبر عنها أنها أمثلة فقط. ثم أصدر كاتب هذا المقال كتاباً مكون من ثلاث مجلدات وذلك عام ١٩٤٤م بعنوان " قيام اللغة العربية على التركية " كرر فيه ما جاء في مقاله السابق ولكن بشكل أوسع ، أظهر فيه هجومه واستهانته باللغة العربية وفقرها ، مع تأكيده على أنها ليست إلا لغة تركية معربة أو ممسوخة .

وجاء في عبارة أخرى على لسان الأتراك الذين نادوا بتتريك اللغة قالوا فيها : " بضاعتنا ردت إلينا " ويقصدون لغتهم^(٥) .

وكانت خطوة انقلاب الحروف من العربية إلى اللاتينية خطوة حاسمة في تاريخ تتريك اللغة التي نادى بها مصطفى كمال وحكومته من أجل قطع رابطة الشعب التركي بثقافة الأمة العربية ، تلك الخطوة التي كان يرى فيها مؤيدوها أنها تفتح الباب أمام استقلال اللغة التركية وطبعها بالطابع القومي . وفي الصفحات القادمة نقدم خطوة انقلاب الحروف بشئ من التفصيل .

(١) دروزه، مرجع سابق، ص ١٢٤ - ١٢٥.

(٢) الصويص، مرجع سابق، ص ٢٥٥.

(٣) دروزه، مرجع سابق، ص ١٤١.

(٤) نفس المرجع ، ص ١٤٣ - ١٤٦.

(٥) نفس المرجع ، ص ١٤٣ - ١٤٦.

٢ - الانقلاب الحرفي

ذكرنا في الفصل السابق أن مصطفى كمال أتاتورك لم يكن هو أول من فكر فى استبدال الحرف العربى بالحروف التركية، وأوردنا أن أول من أثار هذه القضية هو الناشر التركى " محمد منيف باشا " الذى كان يجد صعوبة فى ترجمة أعماله الأدبية نتيجة لعدم وجود مفردات تركية أو عثمانية، فقام بإنشاء الجمعية العثمانية العلمية عام ١٨٦٢م بهدف تغيير الحرف العربى إلا أن دعوته رفضت . وفى عام ١٨٦٩م أثيرت هذه القضية فى صحيفة (حریت) كما نشر أيضا أحد أدباء الأتراك وهو " تحسين عمر " كتابا أوضح فيه أن الأبجدية التركية تتصل بالأبجدية اللاتينية بصلصة نسب، وذلك من حيث التاريخ والعلم ، وأوضح أيضا نتائج تغيير الحروف من الناحية الثقافية والاقتصادية ، فأقترح استعمال أبجدية تحتوى على ٢٥ علامة تمثل الحروف الساكنة وثمان علامات تمثل الحروف الصوتية؛ فمثلا يستعمل حرف "H" بدلا من ح - خ " وحرف "Z" بدلا من " ص-ظ " وغيرها. وقام أحد الكتاب الأتراك ويدعى "إبراهيم أمين" بطبع كتيب فى كتابة اللغة التركية بالأحرف اللاتينية عام ١٩١٠م استفادت منه وزارة المعارف التركية عندما ألقت لجنة لدراسة مشروع الأحرف اللاتينية^(١) . ومن ذلك الوقت بدأت صحيفة " طنين " تنشر بعض الأخبار والإعلانات المكتوبة بالحروف الجديدة^(٢) . وفى أكتوبر سنة ١٩٢٥م قال مصطفى كمال : " إننا اعترفنا بوجوب اتخاذ جميع أسلحة الغرب المدنية، فيجب علينا أن نكون منصفين فى اتباع الطريق المؤدية إلى خيرنا ونجاحنا فيما يتعلق بلغتنا ، فقد أخذنا عن الشرق عاداته ولغته وأحرفه فلم نستد مما أخذناه عنه إلا الرجوع إلى الوراء والتقهقر المتتابع فى عاداتنا وأخلاقنا ، لذا يجب علينا أن نطرح عنا جانبا الأحرف العربية ونستبدلها بأحرف لاتينية ، فنضمن إذ ذاك تقدمنا ورقينا، ونخلص لغتنا من السقوط، وننشرها فى أقطار العالم الأربعة ونتربع بواسطتها فى وسط الترقى والتقدم "^(٣) وفى مؤتمر باكو الذى عقد فى فبراير ومارس ١٩٢٦م دارت مناظرات وأبحاث من قبل الحاضرين فى المؤتمر من سياسيين وعلماء مندوبين عن الجمهوريات التركية تدور حول الأبجدية وضرورة التعجيل بطبع الكتب والصحف بها .

وانتهى المؤتمر إلى القرار التالى :

(١) محمد حرب، الشعر التركى المعاصر من بداية الحركة الكمالية إلى نهاية الحرب العالمية الثانية، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى قسم الدراسات الشرقية بكلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٦٠م، ص ٩٣.

(٢) نقلا عن الطنوبى، ص ٢٣٧، Edmonds, W.A., Language Reform in Turkey, The Moslem World, Vol. 45, Jan. 1955, pp. 59 - 60.

(٣) التعليم والثقافة فى تركيا، مجلة الهلال، مارس ١٩٢٥، ص ٥٩.

بعد أن تحقق المؤتمر من أفضلية الأبجدية التركية الجديدة من جهة الفن وتفوقها على الأبجدية العربية ، كان من رأيه إدخال هذه الأبجدية الجديدة، وأساليب تطبيقها في المناطق والجمهوريات التركية التترية التي تدخل في صلاحيات الحكومة السوفيتية ، ثم أن المؤتمر تحقق من الأهمية القصوى الناتجة عن اتخاذ الأبجدية التركية الجديدة في أذربيجان وغيرها من الجمهوريات، ويدعو الشعوب التركية التترية إلى الاستئناس بالاختيار الذي بدئ في تلك المناطق، وذلك كي يمكنهم اتخاذ هذه الأبجدية فيما بعد^(١) .

وبمجرد انتهاء المؤتمر قامت الحكومة التركية بالتصريح بأن الأبجدية اللاتينية أصبحت من المسائل الهامة في الحكومة ، وبدأت تكتب الكلمات التركية على طوابع البريد بالحروف الأوربية، وقررت الحكومة استعمال الحروف اللاتينية لكتابة الأسماء الأجنبية في الوثائق الرسمية. وفي نفس العام تأسست الجمعية اللغوية التركية بهدف تنريك اللغة ، وبدأت عملية استبعاد الحروف العربية والفارسية من المناهج الدراسية . وفي ٢١ مايو سنة ١٩٢٨م وافق المجلس الوطني على استعمال الأرقام الأوربية، واستخدم مصطفى كمال الحروف اللاتينية في مراسلاته الخاصة وعلى طوابع البريد وأوراق النقد^(٢) . وقد رأت جمعية اللغة التي كانت تعد تقريرا عن الحروف والقواعد أنه يمكن تطبيق قانون الحروف اللاتينية بعد خمس سنوات، إلا أن مصطفى كمال كان مصمما على التطبيق الفوري^(٣) . الأمر الذي يبين أهمية هذه الخطوة، فأخذ مصطفى كمال يطبق التجربة على نفسه. وفي أغسطس عام ١٩٢٨م قدم مصطفى كمال النتائج التي توصلت إليها جمعية اللغة قال فيها : " أيها الأصدقاء ، إننا نقدم الحروف التركية لكي نعبر عن منطوقات لغتنا الجميلة ، إن لغتنا المتناسقة سوف تكشف عن نفسها في حروف تركية، جديدة وقد حاول مصطفى كمال في خطابه أن يأتي بالحجج وإثبات أن الحروف العربية لا تفهم وأنها سبب أمية الشعب .

وفي أغسطس عام ١٩٢٨م طبعت الدولة الحروف الجديدة وقدمتها إلى الوزراء والقادة في ذلك الوقت^(٤) وبهذا صدر قانون الأبجدية اللاتينية بعد موافقة المجلس في أول نوفمبر عام ١٩٢٨م وتم اعتباره إجباريا ابتداء من يناير عام ١٩٢٩م على أن تأخذ به جميع مكاتبات وتعاملات دوائر الدولة ومؤسساتها وجميع الشركات والمصارف والجمعيات والمؤسسات، وأعطى مهلة لمدة ستة أشهر لكتابة أوراق التحقيق وإعلامات المحاكم وأوراق التحقيق والبطاقات الشخصية والوثائق العسكرية المكتوبة

(١) هنري لامنس، نقلا عن الطنوبى ، ص ٢٣٨.

(٢) دروزة، مرجع سابق، ص ١٢٥.

(٣) الطنوبى، مرجع سابق، ص ٢٣٩.

(٤) الطنوبى، ص ٢٤٠.

بالحروف العربية ، كما أعطى مهلة سنة ونصف لاستعمال الدفاتر والجداول والقيود والسجلات والتعليمات واللوائح المطبوعة بالحروف العربية، وحظر استعمالها بعد نهاية هذه المهلة على الدوائر الحكومية والمؤسسات الرسمية وغير الرسمية ، كما أوجب القانون تبديل كتابة كل لوحة تستعملها مؤسسات الدولة سواء كانت رسمية أو خاصة بالحروف الجديدة^(١) . ويدخل ضمن هذا كل إعلان وإذاعة وكتابة سينمائية وكل جريدة تركية مؤقتة أو دائمة وكل رسالة ومجموعة تركية وكل كتاب تركي يطبع من جديد بالحروف الجديدة^(٢) .

وبصدور هذا القانون حدث نشاط واسع المدى من أجل تنفيذه بالسرعة المطلوبة، فوضعت الرسائل للتعريف والتدريب وقواعد للإملاء تتواءم مع الرنة التركية، طبعت منها عشرات الألوف ووزعت في طول البلاد وعرضها ، وسمى القانون " الحروف الجديدة بالحروف التركية" باعتبار أن بعض هذه الحروف ليس موجودا في الحروف اللاتينية مثل حرف C والذي مقابله حرف ج وقد أضيفت تحته إشارة فتصبح Ç فيصبح جيما شينياً وتطلق (تشا) . أما حرف الشين فيرمز له بحرف S مضافا إليه إشارة فيصبح a وينطق شا . وحرف G وتطلق (غا). ولم يؤخذ حرف J واكتفى بحرف K ، كما لم يؤخذ حرف X وحرف I في اللاتينية أخذ شكلين له أحدهما بنقطة والآخر بدون، وبقي حرفا (O) و (U) وأضيف إليهما نقطتان (Ö) ، (Ü) . وهكذا صار في الحروف الجديدة ثمانية حروف صوتية لكل منها صوت خاص . أما الحروف الصامتة فهي :

B-C - Ç - D - F - G - g - H - J - K - L - M - N - P

والحروف المتحركة هي

A - E - I - O - Ö - U - Ü - Y

ورافق صدور هذا القانون حملات دعائية واسعة النطاق من أجل استخدام هذه الحروف الجديدة ، كما أقيمت من أجلها الاحتفالات والاجتماعات ونشرت الإعلانات والمقالات ، حتى إن الصحف صدرت في أول ديسمبر ١٩٢٨م بالحروف الجديدة^(٣) ولم

(١) دروزه، مرجع سابق، ص ١٢٢ - ١٢٣ .

(٢) بلغ الأمر بالتغيير الحرفي أن عهدت الدولة إلى بهجت كمال جاغلار وهو شاعر بأن يترجم القرآن الكريم ترجمة تركية بالحروف الجديدة، والغريب أن هذا الشاعر لم يهتم بترجمة آيات الأحكام ولا الآيات التي يورد فيها وصف الجنة والنار ، وبين الآيات أورد الشاعر كلمات مقتبسة من " نطق " وهو مجموعة خطب مصطفى كمال. انظر هذا وفي التفصيلات اللازمة Abdurrahman Dilipak, Bir Baska Acidan Komalizm, Istanbul, 1988, s. 141 - 142.

(٣) مجلة المقتطف، أمة تتعلم . الأتراك يهجرون الحروف العربية، م ٧٤، إبريل ١٩٢٩، ص ١٤١١، ١٤١٢، نقلا عن الطنوبى، ص ٢٤٤ .

تدخل السنة الجديدة وهى عام ١٩٢٩م حتى تم ما سماه الكتاب الأترك " بالمعجزة " ؛ حيث تم استخدام الحروف الجديدة فى كل الكتب والدوائر والمدارس والأوراق والدفاتر والسجلات والقوانين والمحاكم والمصارف والشركات والمؤسسات الرسمية وغير الرسمية ، وذلك بتشجيع وتأييد كبير من مصطفى كمال .

أما القرآن الكريم فقد استمرت كتابته بالحروف العربية ولكن بذلت المحاولات من أجل كتابته بالحروف الجديدة، ومع هذه الحروف زالت معالم الألفاظ التى تغيرت من العربية إلى التركية . ومما لاشك فيه أنه إذا أريد تعليم أحد الأولاد القرآن بهذه الحروف فإنه يتعلمه ويتلوه مسوخاً مشوهاً^(١) . وقد جرت العديد من المحاولات لترجمة القرآن والأحاديث النبوية إلى التركية، وقد خصص مبلغ ٤٠,٠٠٠ ليرة عام ١٩٣٢م لإعداد ونشر هذه الترجمة كما أعدت لجنة الجمعية اللغوية ترجمة للأذان باللغة التركية، وقام معهد الموسيقى فى أنقرة بتنظيم اللحن الخاص به ، وقام المؤذنون بالنداء بالترجمة الجديدة، وكانت بداية هذه القراءات من مسجد آيا صوفيا وتم نقلها إلى سائر المدن التركية^(٢) .

وقد جاء فى كتاب تركيا الحديثة العبارات التالية والخاصة بقانون قلب الحروف : " يوجد فى مكتبات ومتاحف ومساجد الأستانة كنوز عظيمة القيمة بالحروف العربية المتنوعة ، لخطوط من كتب مطبوعة أو مخطوطة نادرة، ومن لوحات ورقاع، وفى جميع المساجد لوحات ورقاع خطية عربية الحروف متنوعة الخطوط كذلك ، وعلى أبواب وجدران ومنابر ومحاريب المساجد والزوايا وكثير من المنشآت القديمة التاريخية وعلى المقابر عامة محفورات عربية الحروف. كل هذا الآن رسوم وأشكال غير مفهومة للجيل الجديد، إلا الفئة القليلة التى تتعلم القرآن بالحروف العربية، وسيصبح كذلك لجميع الشعب التركى بعد خمسين سنة على الأكثر، ولعل هذا من مقاصد الاستبدال أيضاً "^(٣) .

* * *

(١) دروزة، مرجع سابق، ص ١٢٢ - ١٣٣.

(٢) الطنوبى ، مرجع سابق، ص ٢٤٥.

(٣) دروزة، مرجع سابق، ص ١٣٣.

٣ - الانقلاب اللغوى:

(تصفية الكلمات والأساليب العربية من اللغة التركية) :

جاءت خطوة الانقلاب اللغوى بعد حركة تغيير الأبجدية ؛ وذلك بهدف التخلص من تأثير الثقافة العربية الدينية . وقد اتخذت أولى الخطوات العملية لهذه الحركة عندما تأسست الجمعية اللغوية التركية ، وكان ذلك فى يوليو عام ١٩٣٢م ، ومن أجل تنفيذ هذا الأمر عينت لجان لبحث علم اللغة ، وأصل الكلمات والنحو والصرف والمصطلحات الفنية وتأليف المعاجم ، وكان هدفها إبراز محاسن اللغة التركية وثرواتها وعظمتها^(١) .

وقد تم عقد أول مؤتمر لغوى للجمعية فى ٢٦ سبتمبر ١٩٣٢م أقيمت فيه المحاضرات والبحوث من أجل ترقية اللغة التركية وتنقيتها ، وانتهى هذا المؤتمر بالقرارات الآتية :

- ١- جعل اللغة التركية وسيلة كاملة للتعبير عن الثقافة القومية والعصرية .
 - ٢- طرح الكلمات الأجنبية من لغة الكتابة ، ودعوة المثقفين إلى توحيد لغتى الكتابة والعلوم .
 - ٣- وضع قاموس كبير للغة التركية مقتبس من الوثائق الخطيبية وكتب اللغة القديمة واستعمالاتها ومن التتقبيات عن المفردات التركية المتداولة بين الناس .
 - ٤- اختيار أجمل وأحسن الألفاظ التركية ونشرها وإصدار مجلة لغوية علمية^(٢) .
- وقد صدر قرار وزارى فى ٢١ نوفمبر ١٩٣٢م بتشكيل لجان التنقيب عن الألفاظ فى مراكز الولايات والأقضية والنواحي ، وقد نتج عن هذه اللجان أن بلغت الألفاظ التركية فى سبتمبر ١٩٣٣م ، ١٣٦ ألف لفظ جديد، ارتفع بعد عام واحد إلى ١٥٣ ألفاً، كما تم وضع قاموس جيب صغير بالألفاظ الضرورية بالتركية، وقد تم استبعاد الألفاظ العربية والفارسية والعثمانية عنها، وعقدت الجمعية عام ١٩٣٤م جلسة بحضور مصطفى كمال أتاتورك ، تليت فيها التقارير عن الجهود المبذولة والبحوث

(١) دروزه، مرجع سابق، ص ١٣٥.

(٢) نفس المرجع ، ص ١٣٦ - ١٣٧.

العلمية والإصلاحية، واستعرضت فيها الاتجاهات الواجب السير عليها والكتب والرسائل الواجب نشرها ، والوسائل الواجب الاستعانة بها فى الحركة الإصلاحية . وكان مصطفى كمال يرتدى ملابس ريفية ويذهب إلى قرى الاناضول يشرح بنفسه للناس طريقة الكتابة بالحروف الجديدة^(١) وقامت المحاولات على ما رآه من اشتراك بين معنى الكلمة العربية والكلمة التركية، فمثلا كلمة " غَزْ " فى العربية من معانيها " ندر " وفى اللغة التركية كلمة " از " بمعنى قليل . وقد جاء فى تقريراتهم أنه لم يعد من الضروري أن تكون فكرة التخلص من الألفاظ العربية تدخل فى نظام الفكرة القومية لأنها من أصل تركى ، ولأن اللغات الأوروبية والسامية ليست إلا لهجات تركية ، وإذا جاءت أى محاولة لإقرار كلمات تركية لتحل محلها فليست هى إلا من قبيل تقريب اللغة إلى الشعب الحاضر وتوحيد لغة الكتابة والكلام، وليس هناك من ضير فى أخذ كلمات عربية وذلك لكونها من أصل تركى .

وقد لازم الانقلاب اللغوى قانون آخر صدر فى يونيو ١٩٣٤م ألا وهو قانون الألقاب الذى نص على تسمية كل تركى بلقب يضاف إلى اسمه ويكون إسما للعائلة وعلامة مميزة له ولم يكن هذا القانون إلا تنريكا للأسماء العربية^(٢) ومنذ ذلك التاريخ لقب مصطفى كمال بـ "أتاتورك" أى " أبو الأتراك" وتخلى عن اسم "مصطفى" وبهذا دخلت الحكومة فى معركة الألقاب؛ حيث ظلت طوال سبعة قرون أسماء إسلامية^(٣) .

ثم ظهرت نظرية لغوية جديدة عام ١٩٣٥م سميت " بنظرية لغة الشمس " تقوم هذه النظرية على أساس : أن عبادة الشمس كانت أقدم عبادات الجنس التركى، وأن أول ما جرى على لسان الإنسان البدائى حركات الضم وهو الألف الممدودة وتكون المقطع (آ - ا) ، وهو المقطع الذى يعبر عن الشمس فى اللغات التركية إلى الآن . وبذلك زعم الباحثون الأتراك أن اللغة التركية هى أم اللغات فى الدنيا^(٤) وذكروا أنها انتشرت مع موجات الترك فى مختلف أنحاء العالم. وفى نفس هذا العام عام ١٩٣٥م أصدرت الحكومة منهاج حزب الشعب بلغة تركية غير مالوفة والحقوا به قائمة بالمفردات والمصطلحات وما يقابلها باللسان العثمانى، لكن هذا الأسلوب كان يحتاج وقتا طويلا

(١) مصطفى الزين ، مرجع سابق، ص ٢٥٦.

(٢) نفس المرجع ، ص ٢٥٧.

(٣) إبراهيم الدسوقي شتا، مرجع سابق، ص ٤٢ - ٤٣.

(٤) دروزة، مرجع سابق، ص ١٤٤.

لتنفيذه . ثم عقد المؤتمر الثالث للجمعية اللغوية عام ١٩٣٦م أورد فيه الحاضرون كثيراً من الكلمات الأوربية والسامية وقارنوا بينها وبين اللغات التركية القديمة فى النطق والمعنى ، وتوصلوا إلى أنها ليست إلا ألفاظ تركية متطورة، وأشاروا إلى أن أكثر أسماء الشمس ومعبوداتها وحركاتها تشترك فى الأصل التركى . ثم قاموا بإصدار منهاج ١٩٣٩م بلغة وسط بين العثمانية والتركية غير المألوفة فضاءعوا جهودهم فى اختيار أحسن وأجمل الألفاظ، وأخذوا الكثير من الألفاظ والمصطلحات التركية لتحل محل الألفاظ الأجنبية والعربية والفارسية وخاصة فى الصحف والكتب والمجلات . كما أحييت قاموسا تركيا قديما هو " ديوان لغات الترك " تأليف محمود الكشغرى عام ٤٦٤هـ فى بغداد ومخطوطته باللغة العربية ، وقد طبعت بالتصوير الشمسى للحفاظ عليها . ثم حدثت حركة استبدال كبرى فى الأساليب والمفردات والمصطلحات والاشتقاقات وأسماء الأعلام .

وفى عام ١٩٤٥م حدث تتركب للدستور حيث بدلت فيه ألفاظ ومصطلحات كثيرة، رغم كل ذلك فقد كان كثير من الألفاظ العربية لا يزال يستعمل فى اللغة الجديدة، وخاصة المفردات التى تحتوى على حروفاً ليست فى التركية وسقطت فى الرسم التركى الجديد خطأ كما سقطت بالرنة التركية نطقاً من الأصل، والجيل الجديد لا يعرف إلا أنها تركية، والطريقة التى اتخذوها تقوم على أساس استيفاء المفردات والمصطلحات العربية مع إخضاعها للقواعد الصرفية والإملائية التركية، مع استمرار حركة التتقيب والصقل والاستبدال فى غير تعجل^(١) .

وقد نشر مصطفى من الكلمات العربية فى مقابلة اللسان العثمانى فى رسائل، وثبتت الحاجة إلى خمسين ألف. مصطلح لشتى فروع العلوم والفنون المدرسية ، ووضعت رسائل تحتوى على الآلاف من الأسماء لتكون أسماء للذكور والإناث والقرى والقصبات والأعلام لتحل محلها التركية^(٢) .

وفى ختام حديثى عن اللغة العربية والإجراءات التى قام بها مصطفى كمال من أجل التخلص منها والعمل على تتركب جميع الألفاظ والكلمات ومحوها نهائياً من التركية ؛ يهمنى هنا أن أنشر مقالاً ورد فى مجلة المنار يتناول فيه مزايا العربية على

(١) دروزة ، مرجع سابق، ص ١٤٠ - ١٤٣.

(٢) مجلة المنار، ج٧، مجلد ١٢، ص ٥٠٦.

التركية ، واستعراضه لآراء الباحثين من الأجانب والعثمانيين ومطالبهم لإحياء العربية ، ورأيهم فى تعلم اللغتين العربية والتركية، فهناك رأى يقول : " إن تعليم كل من الشعبين فى المدارس الابتدائية الرسمية يكون بلغته ، وأن يكون تعليم العلوم فى بلاد العرب بالعربية وفى بلاد الترك بالتركية ، وأن تكون جميع معاملات الحكومة كل ولاية من ولاياتهما بلغتها ، ويكون فى الولايات العربية قلم ترجمة لأجل مخاطبة العاصمة وتلقى الخطابات منها بالتركية .

أما سائر الأجناس فيعلمون بالتركية لأن أكثرهم يعرفها إلا من كان منهم فى الولايات العربية فإنه يكون تابعاً لأهل ولايته " . وهناك رأى عالم تركى فى إحياء العربية وهو "العبيد الله افندى " مبعوث أزميز، أودعه فى مقالات له فى التعليم نشرها فى جريدة "تصوير أفكار " وقد ترجمتها صحف بيروت ومصر، ونقل هذه المقالات عن جريدة الاتحاد العثماني البيروتية، قال فيها : " أرى خير حل لمشكلة لغة العلم هو أن يتخذ الأتراك التركية لساناً علمياً لهم، وأن تؤسس بحماية الحكومة وتحت مراقبتها مراكز علمية عربية فى الأقطار العربية تسعى فى إنهاض علوم الحضارة العربية التى أخذت تتحط منذ أن انقرضت السلطنة العربية . وبذلك تنتشر العلوم والفنون بين الأتراك بلسانهم وتحفظ الحضارة العربية وترقى بلسانها الخاص من جهة وبما ينقل منها إلى التركية من جهة أخرى، وينجو الأتراك من الجهل بالدين وينهضون من هوة التعصب الأعمى التى لا يزالون ساقطين فيها إلى اليوم . ولو أن الدولة أدركت هذا الحل من قبل وعملت به لكثير سواد الترك الذين يعرفون العربية والعرب الذين يتكلمون بالتركية " (١).

أما بالنسبة إلى الحديث عن مزايا العربية على التركية فيقول كاتب المقال : إن رجحان العربية فى الدين والعلم والسياسة لهو أوضح وأظهر، فالناطقون بها أكثر من الناطقين بغيرها ، كما أن للترك والكرد والألبان باعاً نفسياً يبعثهم على تعلمها وهو الحاجة إلى فهم كلام ربهم (عز وجل) وحديث نبيهم (صلى الله عليه وسلم) وحكم سلفهم الصالح (رضى الله عنهم) وكتب أئمتهم فى التفسير والحديث والفقه وغيرها من علوم الدين . ومن الجهل أن يقال أنهم يستغنون عن ذلك كله بالترجمة، فهى حضارة سابقة وعلوم وفنون ، وهى اللغة المشتركة بين جميع المسلمين ، ولأنه يمكن

(١) المنار، ج ٧، مجلد ١٢، ص ٥٠٧.

أن تتسع دائرة نفوذ الدولة بنشر اللغة في الممالك الشرقية التي يكثر بها المسلمون مثل الصين وجاوه والهند فتتسع دائرة نفوذ الدولة وتجارتها في الشرق، ولأن الدولة تأسس بذلك من قيام دولة عربية تدعى الخلافة وتتازعها النفوذ في العالم الإسلامي".

ويقول أيضا في مقاله عن تقصير الترك في العربية : "إن التركية ليست لغة دين ولا لغة علم ولا لغة حضارة قديمة ولا مدنية معروفة كالعربية التي شهد لها أهل الأرض بأمجاد أهلها وحضارتهم ، فلم ينبغ في الدولة كاتب عربي من أصل تركي، على حين نبغ وينبغ من الفرس والأكراد أناس يؤلفون بالعربية فتحسبهم عربا، وأمثلتهم كثيرة مثل ابن كمال باشا وكاتب جلي ، وطاش كوبرلي والراغب الأصفهاني وأبي بكر الخوارزمي والغزالي وغيرهم".

ويختتم الكاتب مقاله بقوله : " رأى بعض العقلاء أن أحسن حل لمسألة اللغة العربية في المدارس الرسمية وأسلم عاقبه على أجيال الدولة المختلفة هو أن يجعل تدريس العلوم المادية كلها باللغة العربية كالطبيعيات والرياضيات والفلك والكيمياء والطب، وأن تجعل العلوم السياسية كلها باللغة التركية كالجغرافيا والتاريخ والاقتصاد والحقوق والاجتماع، وبذلك لا يقع حيف على العرب وهم نصف الدولة أو يزيدون، ولغتهم أفضل لغات سائر العناصر العثمانية ، والمستقبل كفيل بحل هذه المعضلة العلمية" (١).

وبهذه الخطوات التي قام بها أتاتورك من إلغاء الخلافة وإلغاء الشريعة ومحاربة الدين والقضاء على اللغة العربية وتتركها؛ استطاع مصطفى كمال أتاتورك الإنهاء على كل أصول الدولة وراثتها من مظهر وشكل وأسلوب ولغة، وأصبحت تركيا هي الدولة الوحيدة التي تحمل لقب أنها الدولة الإسلامية الأولى في الشرق التي اتخذت العلمانية منهجا وأساسا لسياستها.

* * *

(١) مجلة المنار، ج ٧، مجلد ١٢، ص ٥١٢.

الفصل الرابع

ردود فعل الاتجاهات الدينية من اجراءات الحركة الكمالية

* مقدمة

- ١- ردود فعل النقشبنديين .
- ٢- ردود فعل النورسنيين .
- ٣- ردود فعل تلامذة الإمام سليمان حلمي .

مقدمة :

تحدثنا فى الفصول السابقة عن الدولة العثمانية ودورها الإسلامى الذى امتد أكثر من ستة قرون من الزمان ، إلى أن بدأت الأطماع الأوربية تدب فيها فأخذت تضعف وتواجه الكثير من المشاكل حتى قامت الثورات من أجل استقلال البلاد من الاحتلال الغربى ، ونتج عن هذه الثورات قيام الجمهورية برئاسة مصطفى كمال أتاتورك الذى قاد الدولة للتخلص من الاستعمار الأوروبى . وتحدثنا أيضاً عن الدور الذى قام به مصطفى كمال من أجل علمنة الدولة والإجراءات التى اتخذها من أجل فصل الدين عن الدولة ، والتى كان لها رد فعل كبير لدى الشعب التركى ، فقد حاول أتاتورك فى بداية حكمه أن يسبغ على ثورته طابعاً إسلامياً لنيل تأييد شعب الأناضول، فقام بالتحدث بلغة إسلامية فى أكثر من مناسبة. وقد جاء فى خطابه بمسجد مدينة باليكسير عام ١٩٢٣م ما يلى : " إن المساجد ليست لكى ينظر بعضنا إلى بعض ركوعاً وسجوداً، بل هى للطاعة والعبادة وأن نتداول أمور الدين والدنيا ، وكل فرد يجب أن يعمل لصالح بلده روحاً وجسماً " وقد سيطر على أذهان المسلمين أنه سيعيد للخلافة مجدها وقوتها بعد خروج قوات الحلفاء وقد رأوا فيه الإخلاص والتفانى لخدمة الوطن، حتى إنهم عرضوا عليه أن ينصب نفسه خليفة للمسلمين لكنه لم يقبل، وبدأ ينفذ أهدافه ببطء شديد ودراية كاملة بعقلية وروح الشعب الذى أراد تغييره، حتى إن المعاصرين له من الشعراء سواء فى مصر أو البلاد الأخرى كانوا يتغنون بأمجاده وخدماته وجهاده من أجل الوطن، ولكن ما لبثوا أن اكتشفوا نواياه التى كان يوجهها من أجل فصل الإسلام عن الدولة العثمانية وتترك كل ما هو عربى وإسلامى ، وبدأ فى تنفيذ إجراءاته الواحدة تلو الأخرى .

وفى عام ١٩٢٤م صدر قرار يتعلق بالعلمانية وهو تغيير المادة التى تقول : إن الإسلام هو دين الدولة الرسمى ، وتعديل المادة إلى : " الدولة التركية هى جمهورية قومية ودولية و علمانية وإصلاحية ^(١) . وكان أول ما بدأ به من إجراءات حاسمة لتنفيذ قانون العلمانية هذا هو إلغاء الخلافة الإسلامية وإلغاء وزارة الأوقاف والشرعية وإلغاء التعليم الدينى، كما أصدر قراراً بإحلال القبة محل الطربوش وألغى حجاب المرأة ، كما ألغى العمل بالشريعة الإسلامية ، واتخذ القانون المدنى السويسرى بدلاً من القوانين الشرعية الإسلامية . أيضاً فقد قام بتغيير الأبجدية العربية واستبدالها

(١) أحمد نورى النعمى، مرجع سابق، ص ١٧.

بالحروف اللاتينية، وبتنفيذ هذه الخطوة يكون قد قطع الصلة بين الجيل الجديد من الأتراك وبين التراث التركي الإسلامى . وكان أتاتورك يلقي الخطب من فوق المنابر فى محاولة لتوضيح أن الدين ليس له علاقة بالسياسة ، وأن تنقية اللغة التركية من اللغة العربية ضرورة من أجل التنوير الدينى، وأن الدراسات الإسلامية تقتضى ضرورة دراسة فلسفة الإسلام^(١) . وكان لمصطفى كمال إجراءات أخرى كان لها الدور فى إثارة حفيظة المسلمين منها : التوقف عن إلقاء السلام بالفم وتكون المصافحة باليد، وحرم ارتداء الملابس الدينية لغير رجال الدين، كما أصدر قانونا بإلغاء الحجاب ومنع تعدد الزوجات ، وأدخل التعليم المختلط والموسيقى الغربية وأوقف العمل بالتقويم الهجرى واستخدم التقويم الميلادى، وجعل العطلة الأسبوعية يوم الأحد بدلا من يوم الجمعة^(٢) ، كما أصدر قانون إلغاء الألقاب وألغى لقب الحاج، كما منعت تداول صور الكعبة والمدينة ومكة^(٣) .

وكان لابد لهذه الإجراءات أن تواجهه بعنف من قبل الشعب التركى الذى عاش أجيالا وأجيالا فى ظل تراث إسلامى عريق تحت ظلال الدولة العثمانية .

وكان أول ما واجه مصطفى كمال من اعتراضات بعد إعلان الجمهورية والقضاء على الدولة العثمانية عامة هو مهاجمة السياسيين الكبار أمثال " رؤوف " و"على فواد" ، وكاظم قره بكير" وغيرهم من كبار رجال الدولة، وقد أراد مصطفى كمال فى بادئ الأمر التصدى لهم ، إلا أن " عصمت اينونو " تدخل فى الأمر وطلب من مصطفى كمال عدم مهاجمتهم أو القضاء عليهم احتراما لماضيهم السياسى الكبير، لكنهم استمروا فى تأليب الرأى العام ضد مصطفى كمال وحكومته الجديدة، فراح المحاكم تصدر أحكامها ضد المشتبه فيهم ، وحدث جو من التوتر والخوف وبدأت الحياة المعيشية تندهور بسبب الثورات والمعارك ، فعم الفقر وتوقفت التجارة بسبب نزوح الأرمن واليونانيين، ولم يكن الأتراك مهئين للقيام بدورهم فى ذلك الوقت بسبب اشتغالهم بالزراعة أو الجندية أو الوظائف الحكومية، وتوقفت حركة البنوك وكادت البلاد أن تقع فى كارثة مالية واقتصادية . وأخذ خصوم مصطفى كمال يستغلون هذه الظروف^(٤) فقاموا بتأليب الجمعيات والأحزاب السرية تهاجم الحكم ، وكانت التقارير تصل إلى مصطفى كمال عن نشاط هذه الجمعيات عن طريق رجال البوليس السرى، لكنه ظل ساكنا تجاههم حتى لا يقلب الرأى العام ضده حتى انتهز فرصة اكتشافه قيامهم بمؤامرة لاغتياله فى يوليو

(١) إبراهيم الدسوقي شتا، مرجع سابق، ص ٤٩ .

(٢) فتحى رضوان، مرجع سابق، ص ٩٥ .

(٣) دروزه، مرجع سابق، ص ١١٦ .

(٤) مصطفى الزينى، مرجع سابق، ص ٢٣٣ .

سنة ١٩٢٦م وذلك فى الوقت الذى كان يقوم فيه بزيارة لإزمير، فما كان من مصطفى كمال إلا أن أمر بؤاد رعوس هذه المؤامرة، وكان الرأس المدبر والمحول لهذه المؤامرة اليهودى "جساويد" الرئيس الأعلى للمحافل الماسونية فى استانبول ووزير المالية فى ذلك الوقت، وبدأت محاكمة أبطال مؤامرة إزمير فتم الحكم بإعدامهم، وكان من بين المحكومين عليهم صديق مصطفى كمال الشخصى الكولونيل "عارف".

قام مصطفى كمال بإلقاء خطبة فى نفس اليوم الذى صدر فيه الحكم بإعدام مدبرى حادثة إزمير قال فيه :

"إن الخونة الذين علقت مشانقهم كانوا ينون إبعادى عن هذا المكسب، لقد أرادوا الحول بينى وبين الهدف الوحيد الذى أعيش من أجله، "الشعب التركى"، لقد أطحت برعوسهم وساطيح برأس كل من يحاول أن يضع حاجزاً بين الشعب التركى وبينى. عليكم أن تفهموا مرة واحدة وأخيرة : تركيا هى أنا، فكل محاولة لتدميرى إنما هى محاولة لتدمير تركيا. أنا رثتها التى تنتفس بها وهى سبب وجودى وحياتى". وقد قوبل خطابه هذا بالهتاف والتصفيق له وهم بين معجب بشخصيته وبين خائف منه. وامعنا فى التحدى استدعى كمال أتاتورك رئيس حرسه وأمر باتخاذ تدابير عاجلة لإقامة حفلة راقصة احتفالاً بإعدام هؤلاء الخونة وأقيمت الزينة ودعى للحفل جميع الوزراء والنواب والسفراء والشخصيات المرموقة فى الدولة وكان أتاتورك يستقبل الوافدين إليه ببشاشة لم يرها أحد عليه من قبل^(١).

وكانت قد حدثت محاولة أخرى لاغتياله سبقت هذه المؤامرة، كانت هذه المحاولة عام ١٩٢٥م وكان على رأسها ضياء خورشيد الذى أراد الثار لصديقه على شكرى الذى قتله حرس مصطفى كمال، وقد كتب ضياء خورشيد على لوحة بقاعة الجمعية الوطنية عبارة تقول "تخلق الأمة صنمها ثم تعبدّه" لكن محاولة خورشيد هذه باءت بالفشل فأعدمه مصطفى كمال هو وأربعة عشر من زملائه^(٢).

وكان تركيز أتاتورك الأكبر فى إجراءاته هو محاولة التخلص من هيمنة اللغة العربية على الحياة التركى إلى الحد الذى جعله يصدر الكثير من القوانين لأجل تثبيت هذا الموقف، وفى المدة الواقعة بين ١٩٣٨م - ١٩٤٩م صدرت سلسلة من القوانين الموجهة نحو إحداث التغيير الجذرى فى حياة الشعب التركى. وقد صدر قانون يعاقب ارتداء العمامة كما يعاقب ترتيل الأذان باللغة العربية وفى عام ١٩٢٥م كانت تنظر فى المحاكم ٢٩ قضية تتعلق بالمؤذنين فى المساجد، وقد تم اعتقالهم بسبب ترتيلهم الأذان باللغة العربية، إضافة إلى ٥٨٩ قضية اعتقل أصحابها بسبب لبس الحجاب

(١) مصطفى الزين، مرجع سابق، ص ٢٣٨ - ٢٤٠.

(٢) Lord Kinros, Ataturk, Istanbul 1980, s. 652.

أو ارتداء العمامة^(١) . وفى عام ١٩٢٩م أكدت الحكومة سياستها العلمانية المتعلقة بالمدارس وقد جاء فيها : " نحن لا نقبل الخرافات التى أسكرت هذا الشعب لقرون ، لا نقبل أن ترجع للخلف تحت ستار الدين". فتم إلغاء المدارس التى كانت تدار عن طريق وزارة الشرعية والأوقاف، وكانت هذه المدارس كثيرة حتى إن مدينة قونية كان بها ٦٦ مدرسة تضم ٣٦٦٦ طالباً وكان ذلك عام ١٣١٧هـ وكانت هذه المدارس تخرج أئمة ووعاظاً وخطباء وحفاظاً ومرشدين، وبغلق هذه المدارس أحدثت ثغرة فى التعليم فى ذلك الوقت، وكان لابد من تعويضها فتم إنشاء كلية الإلهيات التابعة لرئاسة الشئون الدينية وذلك بعد إلغاء وزارة الأوقاف والشرعية، وكانت مهمة هذه الكليات تخريج أئمة وخطباء لكنها لم تلق إقبالا من قبل الشعب الذى ظل سنينا طويلة يتعلم القرآن والشرعية وأصول الدين^(٢) .

وعلى صعيد آخر كان رد فعل الشعب التركى والإسلاميين على قانون إغلاق الزوايا والتكايا قوياً وعنيفاً ، فقد قام أتباع الطريقة التيجانية فى الثلاثينيات بتحطيم صور مصطفى كمال أتاتورك وتمائيله ، وأقاموا صلواتهم بعد أذان شرعى وبشكل علنى ، وذلك بسبب الإجراءات العنيفة التى اتخذتها الدولة من حظر جميع أنواع الطرق ومشايخها ومنع الألقاب التى تستخدمها هذه الطرق . كما قام أتباع الطريقة الرفاعية بمعارضة هذه الإجراءات، وكان لها حضورها الكبير فى الأناضول الداخلى وما تزال ، حتى إنها كانت تدعم حزب الحركة القومية قبل عام ١٩٨٠م ثم انتقلت إلى تأييد حزب الوطن الأم^(٣) .

وإلى جانب هذه الطريقة كانت هناك طريقة أخرى تنتشر فى كل أنحاء تركيا وهى الطريقة القادرية ومؤسسها "عبدالقادر الجيلانى" وكان مركز قوتهم فى "طرابزون" وكانت أيضاً هذه الطريقة تعارض الاتجاهات الكمالية فى الدولة. وقد كانت لهذه الطرق مكانة كبيرة فى العهد العثمانى، حتى إن معظم السلاطين العثمانيين كانوا ينتمون إلى طريقة من الطرق، فلما منعها ومنع زيارة قبور الأولياء وقبور السلاطين ومنع رفع الأذان والأدعية والأوراد باللغة العربية وتم استبدالها بالتركية ظهرت الثورات والمقاومة الشديدة من جانب أتباع هذه الطرق ومشايخها .

أما أكثر الطرق انتشاراً فى ذلك الوقت فقد كانت الطريقة النقشبندية التى اتخذت شكل الصراع الدموى فى محاربة الإجراءات المضادة من قبل الحكومة تجاه المشايخ والدعاة ، فقام هؤلاء الدعاة بالجهاد والعمل على الحفاظ على الهوية الأصلية الإسلامية للشعب التركى ، كما كان هناك رجال آخرون تصدوا للقوانين التى تلغى

(١) أحمد نورى النعيمى، مرجع سابق ، ص ٢٥ - ٢٥.

(٢) دروزة ، مرجع سابق، ص ٧٢.

(٣) محمد نور الدين ، الحركة الإسلامية فى تركيا ، بيروت ، ١٩٩٦م ، ص ٢٣

الإسلام من الدولة ، ومن هؤلاء كان الشيخ سعيد النورسي ، والشيخ سليمان حلمي أفندي ، والشيخ عاطف الإسكيلي وغيرهم من المجاهدين المسلمين^(١) . ومن ناحية أخرى فقد كان رد فعل الإسلاميين كبيراً نحو قانون ارتداء القبعة بدلاً من الطربوش، فقد قاوم الإسلاميون ارتدائها حتى إنهم كانوا يعلقون على المشائق بسبب رفضهم ارتداء القبعة . وقد اعتبر مصطفى كمال أتاتورك الطربوش رمزاً للجهل والإهمال والتواكل وكراهية التقدم ونبذ الحضارة، ومن ناحية أخرى فإن الإسلاميين رأوا في القبعة رمزاً للكفر .

وقد أعدمته حكومة أتاتورك أحد علماء الدين وهو الشيخ عاطف الإسكيلي لأنه كتب رسالة في تحريم ارتداء القبعة ، وكان ذلك قبل صدور قانون ارتدائها بعام كامل، كما أن الشيوخ ورجال الدين كانوا يجبرون على ارتداء القبعة وهم على أعواد المشائق. ويروي أحد المسنين منظرًا رآه حول هذا الموضوع قال فيه : "كنت أمر من الميدان الذي يتدلى فيه المشنوقون، لم يكن أحد هناك باستثناء بعض الجندرمة ، بدأت الريح تهب ، ولا أستطيع أن أنسى منظر اللحي البيضاء على الوجوه الميتة وهي ترف مع الريح^(٢) . وكانت الجماهير ترمي قوات الأمن في المدن والقرى بالحجارة وتهاجمهم بالعصى والخناجر، وكادت تشتب في البلاد حرب أهلية بسبب إلغاء الطربوش. ومن ناحية أخرى أمر مصطفى كمال باستخدام أقصى أنواع العقوبة لكل من يرفض خلع "الطربوش" وراح رجال الأمن يصادرون الطرابيش عن رموس الناس بالقوة ويضربونهم ويسجنونهم، واستطاع مصطفى كمال فرض ارتداء القبعة بالقوة والجب، وعندما حاول أحد النواب من العسكريين الكبار وكان برتبة جنرال يسمى نور الدين باشا أن يعترض على قرار إلغاء الطربوش طرده مصطفى كمال من الجمعية الوطنية وجرده من رتبته العسكرية . وتحديدا من مصطفى كمال لتثبيت هذا القانون في أذهان العالم ، أرسل مندوبه "أديب ثروت" إلى المؤتمر الإسلامي الذي عقد في مكة وهو يرتدي القبعة الأوروبية . ولم يبد المؤتمر اعتراضاً احتراماً لمصطفى كمال فقبلوه بلباسه الأوروبي^(٣) .

ووسط هذا الكم الهائل من السخط الشعبي التركي تجاه إجراءات مصطفى كمال، ستركز الضوء في الصفحات التالية على ردود الأفعال القوية ضد تلك الإجراءات، عند النقشبنديين والنورسيين وأتباع الإمام سليمان حلمي .

* * *

(١) إبراهيم الدسوقي شتا، مرجع سابق، ص ٥٢.

(٢) انظر إبراهيم الدسوقي شتا ص ٤٠، وأحمد نوري النعيمي ، ص ١٢.

(٣) مصطفى الزين، مرجع سابق، ص ٢٥٠.

١ - ردود فعل النقشبنديين

كانت التنظيمات الصوفية تعارض سياسة أتاتورك، وقد كان للصوفية تشكيلاتهم وكانوا يفتحون تكاياهم وزوايهم ، وقد نجح الشيخ سعيد الكردي وهو شيخ الطريقة النقشبندية في شرق تركيا في أن يقوم بحركة معارضة لأتاتورك ويحتل مناطق شاسعة ويصل إلى ديار بكر بل يكاد يحتلها. وكان الالتفاف الشعبي حول هذه الحركة كبيراً مما جعل أتاتورك يأمر الجيش بالتصدي لحركة الشيخ سعيد الكردي وأتباعه ، وقد كانوا أكثر الطرق انتشاراً في ذلك الوقت .

وفي أبريل عام ١٩٢٥م تم القبض على الشيخ سعيد وبعض رجاله وأعدم ، وعلقت مشانقهم في ديار بكر أمام الجامع الكبير هناك .

ويرى عن الشيخ سعيد أنه ظل محتفظاً برباطة جأشه حتى آخر لحظة ، وقد خاطب رئيس المحكمة الذي حكم عليه بالإعدام بقوله: "سوف نصفى حسابنا يوم الحساب الأخير" ثم وضع جبل المشنقة حول رقبتة . وبعد ذلك فرضت الحكومة الكمالية على منطقة الأكراد حكماً عسكرياً وأعدم العديد منهم ، وحرم التكلم باللغة الكردية أو تعليمها، ومنع الأكراد من اعتبار أنفسهم قومية متميزة أو أقلية عنصرية^(١) .

يصف المؤرخون أن الأسلوب الذي تعاملت به تركيا مع الأكراد كان من أعنف الأساليب التي عرفوها ، ولهذا فإن حقدهم على مصطفى كمال وتركيا لم يكن يضارعه أي حقد ، وقد قامت ثورات عديدة أزعت الحكومة وكانت بسبب إعدام الشيخ سعيد . وأعلن أحمد حمدي النقشبندی نفسه خليفة للشيخ سعيد وفي "أرضروم" هاجم الأهالي مبنى المحافظة تحت قيادة خوجه عثمان^(٢) .

وقد حدث أن مصطفى كمال اضطر إلى تكوين تنظيم معارضة محدودة ، فاستدعى سفيره في باريس "فتحى بك" رئيس الوزراء السابق وذلك في أغسطس ١٩٣٠م وذلك لتكوين حزب جديد باسم الحزب الحر الجمهورى "سربست جمهوريت فرقة سى" "Serbest Gumhuriyet Firkasi" وقام الحزب الجديد بتبنى مبادئ حزب الشعب إلى أن دخل فيه المعارضون للعلمانية ، وكان البارزون منهم أعضاء الطريقة النقشبندية، فبدأت

(١) سليم الصويص، مرجع سابق، ص ٢٧٠.

(٢) إبراهيم الدسوقي شتا، مرجع سابق، ص ٤٧.

تحدث إجراءات جديدة في القرى والمدن منها تنظيف المساجد وتجديد المدافن، وظهرت الطرايش التي كان من المحظور استعمالها ، وأصبح "فتحي بك" يقابل بالهتاف بينما موظفو الصحف الحكومية يقابلون بالحجارة ، وحدثت مصادمات مع البوليس وقتل عدد من الرجال البوليس ، وتعالت الأصوات تنادى بالعودة للإسلام وتطالب فتحي بك بالتدخل لتخليص الدولة من النظام الجمهوري، لكن فتحي تراجع وأذعن لأوامر مصطفى كمال بحل الحزب، وجاء في نص حل الحزب اعتذار من "فتحي بك" قدمه لمصطفى كمال وللجمهوريين لاحتضانه المعارضين للحكومة .

وقد كانت ثورة النقشبنديين هي الثورة الأخيرة التي واجهت الحركة الكمالية في تركيا ، أما المعارضة التي أعقبها فأخذت أشكالاً أخرى تتمثل في أنشطة إسلامية مختلفة .

ومن نماذج الشخصيات الإسلامية التي تنتسب إلى الطريقة النقشبندية والتي كان لها أثرها البارز في حياة الشعب التركي المسلم كانت شخصية الشيخ عاطف الإسكيلي .

والشيخ عاطف الإسكيلي من أبرز علماء الدولة العثمانية ولد عام ١٨٧٦م في قرية تابعة لإسكيليوب بالأناضول من أسرة عريقة النسب . تخرج من كلية الإلهيات وكان ترتيبه الثاني ، وعين معلماً في جامع الفاتح ومن هنا بدأ تدريسه للعلوم الدينية . كان يكتب المقالات الدينية والشرعية في مجلتي "بيان الحق" و"صراط مستقيم" أشهر المجالات الإسلامية في الدولة العثمانية ، وكان ينتقد موقف مصطفى كمال أتاتورك تجاه المسلمين وتنفيذ حكم الاتحاد والترقي ، فأخذ ينشر المقالات الدينية لتوعية المسلمين بأوضاعهم. وكان الشيخ مقصد المسلمين الوافدين من جميع أنحاء العالم إلى "استانبول" حيث كانوا يعتبرونها مركز الخلافة الإسلامية، وكانوا يستفتون الشيخ عاطف في أمور دينهم^(١). وعندما صدرت قوانين الحكومة التركية بإلغاء الخلافة عام ١٩٢٤م وقانون الملابس عام ١٩٢٥م الذي تم فيه استبدال الطربوش بالقبعة ؛ دعا الشيخ عاطف مسلمي العالم في كل مكان أن يلتفتوا حول دولة الخلافة ويتبرعوا لبناء قواتها البحرية، فكان يقول : " لو أن شخصاً دفع عشرة عملات (بارة) من النقود مساعدة لأسطول الدولة ونتج عن هذه المساعدة (مسمار) في بناء مدمرة اشترتها الدولة

(١) انظر محمد حرب، العثمانيون، مرجع سابق، الشيخ عاطف الإسكيلي، ص ٢٢١ - ٢٥٧.

الإسلامية ، وتم دفع هذه المدمرة إلى الحرب، لكان لهذا التبرع المذكور أجره وثوابه سواء في حياته أو بعد موته كما لو كان اشترك في الحرب" (١) .

وكان الشيخ عاطف قد أصدر رسالة له بعنوان "الفرجة والقبعة" وقد ظهرت هذه الرسالة قبل صدور قانون الملابس بعام ونصف، وقد هاجم فيها الشيخ عاطف تقاليد الغرب وحذر من أن يتنازل المسلمون عن أخلاقهم ومقدساتهم . وكان لهذه الرسالة أثر كبير في إحداث الكثير من الثورات بسبب ارتداء القبعة ، وبدأ أتاتورك يعلن صراحة أن الطربوش هو رمز الجهل، وأصدر قانوناً بتحريم لبس الطربوش، وانتشر رجال البوليس في الشوارع الرئيسية وجميع المدن والقرى من أجل مصادرة الطرابيش من فوق رؤوس المارة . وكان مصير من يقاوم رجال البوليس الحبس ، وسرت موجة من الغضب والسخط وبدأ الجماهير يرحمون رجال البوليس التركي رافضين مخالفة تعاليم الإسلام، وقام أتاتورك بإعلان : " أن الثورات يجب أن تبني على الدم " وبدأ تنفيذ الحكم على المئات من "المخالفين" بالشنق والرمي بالرصاص وإلقائهم في السجون (٢) وقام أتاتورك بإصدار أمراً بالقبض على كثير من علماء الدين منهم "سليمان خوجه العشاقى" و"صالح أفندى" ، "ودورمش خوجه" والشيخ المتصوف "شرف الدين الداغستانى" و"أحمد أفندى الغيتانى" مدير مدرسة الأئمة والخطباء (٣) .

وفى يناير سنة ١٩٢٦م تم القبض على الشيخ عاطف الإسكلى بتهمة كتاباته ضد القبعة ، وقد كتبه قبل صدور قانون ارتداء القبعة بسنة وأربعة أشهر ، وكان لهذا الكتاب أثره فى نفوس المسلمين، وكان سبباً فى قيام ثورة القبعة التى قامت فى ٢١ يناير عام ١٩٢٦م .

وفى ٢٦ يناير ١٩٢٦م تقرر مثول عاطف أفندى أمام محكمة الاستقلال، وطلب منه المدعى العام بكتابة دفاع عن نفسه، حيث أمر بحبسه ثلاث سنوات، وحينما هم لكتابة دفاعه عن نفسه رأى فى المنام رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له : "انشغل نفسك بالدفاع عن نفسك ولا تريد للحاق بنا " وهنا قرر الشيخ عاطف التوقف عن الكتابة، وفى اليوم التالى صدر الحكم عليه بالإعدام (٤) .

وفى اليوم التالى صدرت الصحف التركية بعنوان :

(١) عاطف أفندى، القنات البرية والبحرية فى نظر الشريعة ، مجلة صراط مستقيم ، ج ٥ ص ٢٣٧٧، ١٩١٠م ، وانظر فى هذا أيضاً أحمد لورى النعیمی، مرجع سابق، ص ٤/١٢ .

(٢) مصطفى الزین، مرجع سابق، ص ٢٥٠ .

(٣) محمد حرب، العثمانيون، مرجع سابق، ص ٢٣٣ .

(٤) محمد حرب، العثمانيون، مرجع سابق، ص ٢٣٦ .

" تنفيذ حكم الإعدام في الشيخ عاطف الإسكيلي مؤلف الكتب الرجعية ". ولما أرادت زوجته التأكد من خبر إعدامه جاءها الرد " مات الشيخ عاطف أفندي " وعلق على هذا القول المؤرخ صادق آل بايراق قائلا:

لم يستطيعوا أن يقولوا قتلناه لأنهم كانوا يخافون ، كانوا يخافون حتى من جنثه بعد موته " .

ومن أعمال الشيخ عاطف والتي كان لها تأثيرها القوي على الشعب التركي وفي نفس الوقت كان لها اثر كبيراً في القضاء عليه من قبل الحكومة :

- ١- مرآة الإسلام
- ٢- طريق الإسلام
- ٣- دعوة الإسلام .
- ٤- المسكرات في دين الإسلام
- ٥- القوات البرية والبحرية في نظر الشريعة
- ٦- الحجاب الشرعي
- ٧- حضارة الشريعة^(١)
- ٨- تقليد الفرنجة والقبعة (وهو الكتاب الذي شنق بسببه)

وبعد الأحداث الدامية التي شهدتها تركيا في هذه الفترة بدأت المعارضة تظهر في شكل نشاط إسلامي هادئ بعيد عن الثورات الدموية، وقد تمثل هذا النشاط في حركة الشيخ سعيد النورسي الذي حاول استقطاب الشباب المسلم حوله في تركيا . وسوف نستعرض نشاطه ومنهجه الإسلامي في الصفحات القادمة.

* * *

٢- ردود فعل النورسيين

ولد الشيخ سعيد النورسي عام ١٨٧٦م في قرية "نورس" بشرق الأناضول، وهي قرية تابعة لقضاء حيزان التابع بدوره إلى محافظة "بتليس". تلقى العلوم الإسلامية منذ صغره واشتهر بذكائه ، تعلم الرياضيات والفيزياء والفلسفة والتاريخ والجغرافيا ، ودرس علوم النحو والصرف والفقه الإسلامي، كان يشترك في المناظرات التي كانت

(١) نقل صادق آل بايراق هذا الكتاب من لغته العثمانية إلى الحروف التركية الجديدة وقد لاقى إقبالا كبيرا، وهو بالعثمانية وعنوانه كالتالي :

إسكيلي محمد عاطف، أستاذ التفسير في مدرسة دار الخلافة العلية و المدير العام للمدرسة الابتدائية الداخلية؛ مدني شرعية وترتيبات دينية : شريعت مدني، وقد جمعها صادق آل بايراق من مجلة " بيان الحق " التركية العثمانية ونقلها إلى الحروف اللاتينية بعنوان، *Seriat Medeniyeti* ، استانبول ١٩٧٥.

تعقد بين العلماء ومتقفي العصر وكان أيضاً مقصد الناس ، يجيب على أسئلتهم عندما كان يلقي دروسه في جامع المدينة حتى أطلقوا عليه "بديع الزمان" لشدة ذكائه ودرايته بالأمور وحكمته^(١) .

وفي عام ١٨٩٦م سافر إلى إستانبول لتقديم مشروع إنشاء جامعة إسلامية في ديار بكر بغرض خدمة القرآن ، قدمه إلى السلطان عبد الحميد وقد نجح في تقديمها إليه ، وكان يهدف من إنشاء لهذه الجامعة أن تقابل الأزهر الشريف بمصر وأسمائها "مدرسة الزهراء" وتدرس العلوم العصرية بجانب العلوم الدينية .

قبض على النورسي عقب هذا ، واعتقل نتيجة للشبهات التي أثارها حوله من خلال عباراته التي وردت في مذكرته إلى السلطان بشأن إنشاء الجامعة ، ومن خلال أحاديثه التي كان يجريها في إستانبول ، لكن لم يستمر اعتقاله طويلاً ، وبعد خروجه من المعتقل اتجه إلى مدينة "سلانيك" التي كانت تسمى بتيار الاتحاد والترقي ، وهناك التقى بديع الزمان سعيد النورسي بقيادة حزب الاتحاد والترقي واتفق معهم على مفهوم الحرية . وكان بديع الزمان موجوداً في سلانيك عند قيام حركة الاتحاد والترقي ضد السلطان عبد الحميد عام ١٩٠٨م ، وقام بديع الزمان حينها بإلقاء خطاب في ميدان الحرية في "سلانيك" اشتهر باسم "خطاب إلى الحرية" وقد حفر فيه من شأن السلطان عبد الحميد واتهمه بالاستبداد ، ومدح حركة المشروطية التي قام بها الجيش .

ولما عاد سعيد النورسي إلى إستانبول استمر في علاقته بضباط الاتحاد والترقي ، كما كان من مؤسسي حركة فرقة الاتحاد المحمدي ، وكتب في جريدة "فولكان" ودافع في مقالاته في هذه الجريدة عن الحكم المشروطي الديمقراطي الجديد الذي أقامه الضباط الأحرار . وبعد حادثة ٣١ مارت المشهورة التي افتعلها الجيش للإطاحة بالإسلاميين والتخلص منهم^(٢) ، حوكم بديع الزمان على مقالاته التي كتبها فيما عرف باسم محكمة ديوان الحرب العرفي ، وقد أعدم العديد من الإسلاميين في هذه المحكمة ، وبالرغم من تشهير وتحقير المحكمة العسكرية لهم إلا أن محكمة ديوان الحرب العرفي برأت بديع الزمان سعيد النورسي وأطلقت سراحه^(٣) .

وبعد أن برأت المحكمة العسكرية ساحته ، سافر إلى مدينة "وان" في شرق الأناضول ومنها إلى دمشق حيث ألقى خطبة هناك باللغة العربية أسماها "الخطبة

(١) يقول الأستاذ الأكاديمي التركي المشهور نشأت جاغاتاي والذي يقف موقفا علمانيا واضحا في كل دراساته : "أخذ بديع الزمان سعيد النورسي لقب بديع الزمان وهو الاسم الذي أطلقه على نفسه ، وقد اتخذ من نسبته إلى قريته "نورس" لقباً رسمياً يعني "نورسي" انظر ، Neset Cagatay Turkiye'de gerici Eylemler, Ankara, 1972, s. 46.

(٢) انظر حادثة ٣١ مارت محمد حرب ، مذكرات السلطان عبد الحميد ، مرجع سابق ، ص ٥

(٣) Ismail Kara, Turkiye'de İslamcılık Dusuncesi. c. 2 , Istanbul, 1987, s. 313.

الشامية " (١٩١١م) وعقب هذا اشترك في الرحلة السلطانية التي قام بها السلطان محمد رشاد سلطان الدولة العثمانية وقتها والذي نصبه الاتحاد والترقي سلطانا عقب خلعهم السلطان عبد الحميد ، واشتغل بديع الزمان سعيد النورسي في " إدارة المخابرات " ، ثم حارب في الجبهة القوقازية في الحرب العالمية الأولى ووقع أسيراً لدى الروس ، لكنه استطاع الهرب وعاد إلى إستانبول .

وبناء على اقتراح مشروع قدمه الجيش تم تعيين النورسي عضواً بدار الحكمة الإسلامية واستمرت عضويته هذه من عام ١٩١٨م حتى عام ١٩٢٢م.

كان النورسي عضواً مؤسساً لجمعية المدرسين، وعضواً مؤسساً في جمعية نشر المعارف الكردية ١٩١٩م، وفي عام ١٩٢٠م انتقد الاحتلال البريطاني لمدينة إستانبول.

وكانت مشيخة الإسلام في الدولة العثمانية قد أصدرت فتوى ضد حركة القوى القومية التي رأسها مصطفى كمال ، حيث إنها كانت متوجسة من تحركات مصطفى كمال ، وكان النورسي ضد فتوى مشيخة الإسلام هذه التي أصدرتها ضد حركة مصطفى كمال عام ١٩٢٠م . لميله التعامل السلمي مع السلطة لذلك وتقديرًا لشخصه دعاه مصطفى كمال إلى أنقرة ، فتوجه النورسي إلى أنقرة لمقابلة الزعيم وأقام له مجلس الأمة برئاسة مصطفى كمال مراسم استقبال، واعتلى النورسي المنصة وهنا القائمين بالحركة الوطنية وعلى رأسهم المجموعة القيادية الكمالية ثم دعا لهم وكان ذلك عام ١٩٢٢م ، وبعد مدة قصيرة من هذا الاستقبال، أعد سعيد النورسي بياناً من عشر مواد قدمه لمجلس الأمة أكد فيه النورسي أمام المجلس على أهمية الحياة الدينية وقد لاحظ على النواب عدم تأديتهم الفريضة .

فما كان من مصطفى كمال إلا أن أرسل إلى سعيد النورسي يستدعيه قائلاً له : "لا ريب أننا بحاجة إلى أستاذ قدير مثلك ، لقد دعوناك إلى هنا للاستفادة من آرائك الهامة ، فأول عمل قمنا به لنا هو الحديث عن الصلاة ، لقد كان أول جهودكم هو بث الفرفة بين أهل المجلس " . فأجابه النورسي قائلاً : " إن أعظم حقيقة تتجلى بعد الإيمان هي الصلاة " ، وأضاف قائلاً : " إن الصلاة تمثل علامة مميزة للمسلمين ، وباستبعادها يكون التمرد على الله " وفي هذه اللحظة أراد أتاتورك إبعاد النورسي عن مدينة أنقرة حيث مقر الحكم لكنه رفض الخروج منها^(١) .

وأضاف مدافعاً عن نفسه " إنني لا أنوي الاستيلاء على زمام الحكم ، إن كل ما أسعى إليه هو أن أهدى قومي للصراط المستقيم " .

وكان رأى الشيخ سعيد حول الانتقادات التي توجه إلى مصطفى كمال وإجراءاته في الدولة تتضح في قوله : " أى ذنب وأى جريرة فى أن تنتقد أو تضرع عدم المحبة

(١) أحمد نوري النعيمي، مرجع سابق، ص ٧٦.

لرجل حول جامع آيا صوفيا - الذى هو مدار شرف الشعب وآية عظمى من آيات جهاده فى سبيل القرآن ، وهدية تذكارية من هدايا سيوف أجداده البواسل - إلى بيت للأصنام ، كما جعل من دائرة المشيخة العامة ثانوية للبنات^(١) .

لم يختار سعيد النورسى طريق المواجهة المباشرة مع السلطة، وقد كانت السلطة عنده تعنى الاحترام والطاعة وذلك من أجل الحفاظ على المسلمين وعلى مكاسبه فى نشر رسائله "رسائل النور" وقد حدد الطريق الواجب تطبيقه من أجل إنقاذ الوطن من الفوضى والانقسام فى خمسة مبادئ :

١- الاحترام المتبادل

٢- الشفقة والرحمة

٣- الحفاظ على الأمن

٤- نبذ الفوضى والغوغائية

٥- الدخول فى الطاعة^(٢)

ومن خلال دفاع الشيخ سعيد عن الإسلام ومعارضته الهادئة على الحكومة لقانون استبدال القبعة بالطربوش يقول : " إن البعض يأخذ باعتمادى طربوشاً على رأسى ويرى عدم خلعى له إهانة لمجلسكم الموقر ، تذكروا أنهم قلة أولئك الذين استبدلوا عن طوعية ورضا عمائمهم بغطاء الرأس الأوربى ، اذكروا أن الملايين من الأتراك أكرهوا على ذلك الاستبدال إكراهاً، ويجرى ذلك فى الوقت الذى يتاح فيه للماسونيين وأشياهم أن يسخروا بكل حرية وجراه ووقاحة بالإسلام ، وأن يمتدحوا ويمجدوا ملذات الخمر وأن يزينوا الزنى وأن يشوقوا الناس إلى القمر (أى القمار) فى حين يحرم على وعلى أتباعى أن نذيع وننشر رسالة القرآن المجيد وأن ندعو إلى الله. إنكم تتهمونى أنى رجعى وشرير وأنتم تعلمون أنى من أبطال الوطنية منذ نعومة أظافرى ، لقد قضيت حياتى فوق ساحات الوغى ، عانيت الاعتقال فى محشذات الأسرى وعشت طريداً فى المنافى والسجون^(٣) .

بعد ذلك توجه سعيد النورسى من أنقرة إلى مدينة "وان" حيث عاش حياة منعزلة مع بعض تلامذته فى جبل " أرك " ١٩٢٣ - ١٩٢٥ م .

ولما قامت حركة الشيخ سعيد الكردى اتهم فيها بديع الزمان فاستدعته السلطات من جبل " أرك " إلى إستانبول ، وبعد فترة وجيزة أجبر على الإقامة الجبرية فى

(١) سعيد النورسى، ص ٤٦، نقلا عن الطنوبى، مرجع سابق، ص ٣٠٢.

(٢) نفس المرجع، ص ٣٠٣.

(٣) أنور الجندى، مرجع سابق، ص ١٥٧.

مدينة "بارلا" (١٩٢٦م) وظل هناك ثلاث سنوات ونيف ، وهناك حدث تغيير فى حياته حيث عكف على تأليف رسائل النور، ونقل إلى "إسبرطة" عام ١٩٣٤م وسجن فى "أسكى شهر" عام (١٩٣٥م) ثم نقل إلى "أنقرة" عام ١٩٤٣م ثم حبس فى "دنيزلى" وبرأته المحكمة ونقل إلى "أمير داغ" عام ١٩٤٤م، وظلت حياته بين اعتقال ومحاكمة وبراءة^(١) .

وعلى الرغم من موقفه السلمى فى جهاده حيث إنه كان يقول : " إن مصيبة الحرب ضرر بالغ لخدمتنا القرآنية ، إن انخراط مئات من إخواننا العاملين بالخدمة ومزاولتهم الجهاد المادى خسارة فادحة لخدمتنا "^(٢) .

إلا أن موقفه هذا لم يمنع الحكومة من اعتقاله ونفيه وتحديد إقامته فى الفترة من ١٩٢٨م-١٩٥٠م ، وخلال هذه الفترة قام بتدوين "رسائل النور" التى قدمت الحقائق القرآنية ضمن لغة علمية حديثة للأنظار^(٣) "ورسائل النور هى : رد تشكيكات شياطين الإنس والجن وتقوية عقائد المسلمين فى طريق الحق والصواب"^(٤) .

ويقول عنها مؤلفها الشيخ سعيد النورسى: "إنها إشعاعات انبثقت من حقائق، وما مدحت القرآن بكلماتى، ولكن مدحت كلماتى بالقرآن" ويقول عنها: "إنها شريان شاف لجروح عصرنا الدامية، ومعجزة معنوية من معجزات القرآن الكريم، ولمعة من لمعانه، استطاعت أن تحارب أشد المعاندين تمرداً بسيف القرآن، وهذا هو سر دوامها أكثر من خمسة وعشرين عاماً لم تغلب بل دائماً هى الغالبة"^(٥) .

أمضى الشيخ سعيد ثمانى وعشرين عاماً من حياته فى السجن والمراقبة متجرعاً شتى صنوف العذاب، لكنه لم يواجه هذا العذاب بالعنف والشدة بل دافع عن وضعه فى المحاكم واستعمل المحاكم وسيلة لنشر دعوته وأفكاره^(٦) فقد كانت مؤلفات الشيخ سعيد شمولية فى طرح المسائل الشرعية وتوجيه الدعوة والنصح للمتقف والعامى والعالم، وكانت مؤلفاته تصب فى قالب واحد ألا وهو القرآن الكريم .

(١) Ismail Kara , a.g.c., s. 313.

(٢) محمد حرب، بديع الزمان سعيد النورسى، دعوته ، عالميته، ومشاكل الشرق الأوسط فى ضوء مفهومه للجهاد المؤتمر العالمى لبديع الزمان، استانبول ١٩٩٦م، ص ٦٤٧.

(٣) محمد حرب ، العثمانيون ، مرجع سابق ، ص ٢٥٦

(٤) أنيس أحمد، بديع الزمان والدعوة الإسلامية المعاصرة، المؤتمر العالمى لبديع الزمان ، مرجع سابق، ص ٦٤١.

(٥) أحمد نورى النعيمى ، مرجع سابق ، ص ٨٦

(٦) نفس المرجع ، ص ٦٤٢

ومن مميزات منهجه الرد على الضالين والمعادين بطريقة مبررة ومدللة ومقنعة تسكت الخصم وتدعوه إلى الاعتراف بالحق إن ظاهراً وإن باطناً^(١) .

وفى رسائل النور معلومات حول الخالق والمخلوق. وكان تلامذته وطلابه فى ذلك الوقت فى حاجة إلى الكتابة لإيقاظ أحاسيسهم، فجعلهم جماعة "تستند على متن" ولم يجعلها طريقة من الطرق ، فكان منهجه وسلوكه يعتمد اعتماداً كلياً وجزئياً على القرآن^(٢) .

وخلال مرحلة دسه فى السجون ومحاولة قتله بالسهم ومحاكمته بتأليف "جمعية سرية" ضد الحكومة كان مستمراً فى كتابة رسائل النور، وكان يكتبها على قصاصات يضعها داخل علب الكبريت ويلقيها من شبك السجن الانفرادى الذى كان موضوعاً فيه ، فيتلقاها تلامذته ويستسخونها وينشرونها^(٣) وقد وصل عدد هذه الرسائل إلى مائه وثلاثين كتاباً كانت تنتشر فى جميع أنحاء تركيا^(٤) سراً، وكان ذلك وقت منع تدريس الدين فى المدارس .

وبسبب تداول هذه الرسائل بين طلاب الشيخ سعيد النورسى تعرضوا لمطاردة الشرطه وتم إيداعهم فى السجون، وكان عدد تلاميذه فى ذلك الحين ثلاثة ملايين تلميذ وكان سجانو سعيد النورسى من تلاميذه أيضاً، وكان يقول لهم : " لقد أتاحت لى آلام المنفى والسجن والاعتقال فترة هدوء وصفاء نفسى أتاحت لى التأمل فى الحقيقة القرآنية الخالدة " . ثم اتهم أيضاً من قبل الحكومة بنشر رسالة " تستر النساء " (بمعنى حجاب المرأة) حيث كان يعارض قرار الحكومة بمنع حجاب المرأة وحكم عليه بالسجن ١١ شهراً بسبب هذه الرسالة . كانت رسائله تنقل سراً ثم تنسخ وتوزع على المدن والقرى ، وبهذه الطريقة تم استنساخ ٦٠٠ ألف نسخة من الرسائل وتم نشرها فى أنحاء تركيا^(٥) .

وقد شرح سعيد النورسى أهمية هذه الرسائل بقوله : " إن مهمة رسائل النور الأساسية هى خدمة القرآن الكريم والوقوف بحزم أمام الكفر ومهاجمة الإلحاد " . وقال أيضاً عن أسباب كتابته الرسائل : " لقد طاردتمونى من مكان لآخر وأبعدتمونى من مدينة إلى غيرها كأننى متشرد منبوذ من المجتمع حرمتونى من الاتصال بأهلى

(١) عبدالرازق عبدالرحمن السعودى ، عنوان بحثه : إعجاز القرآن اللغوى فى فكر النورسى ، المؤتمر العالمى لبدیع الزمان ، مرجع سابق، ص ٣٣٩

(٢) خاقان ياوز، الصحافة - الحرية وسعيد النورسى ، المؤتمر ، مرجع سابق ، ص ٦١٣

(٣) على الكتانى ، الجهاد فى فكر النورسى ، المؤتمر ، مرجع سابق ، ص ٢٠٩

(٤) مصطفى زكى العاشور ، مرجع سابق، ص ٤٨-٥١ .

(٥) نفس المرجع ، ص ٧٥-٧٦ .

وأقاربي وأصدقائي ، لكن هذه الحياة على غصصها وآلامها أتاحت لى أن أكتب "رسائل النور" التي بفضلها أتاحت السلامة من العذاب لما يزيد عن النصف مليون من الناس ، فأحمد الله أنه وفقني للتضحية من أجل شعبي . فحفظ الله له ما كتب ووصل إلى كل مكان وانتفعت به الملايين .

وحينما صدرت الأوامر عام ١٩٣٢م بمنع الأذان للصلاة بالعربية أصر الشيخ سعيد على ترتيل الأذان الشرعي في المسجد الذي كان يصلي فيه، ولم يعجب هذا المسؤولين فقامت السلطات بمهاجمة المسجد لمعاقبتهم ، وقبضوا على الشيخ وعلى ١٢٠ طالباً من طلبته وسبقوا إلى سجن مدينة اسكى شهر وتمت محاكمته بتهمة تكوين "جمعية سرية" (١) . وكانت التهم التي وجهت إليه هي: استخدام الدين لأجل السياسة: ومعارضة العلمانية : واتباع الطرق، ومعارضة النظام، والقيام بالنشر دون إذن (٢) .

وفي عام ١٩٥٠م بدأت الحياة النيابية بتعدد الأحزاب، وفاز فيها الحزب الديمقراطي ، وبهذا الفوز بدأت مرحلة جديدة من مراحل حياة سعيد النورسي ، وخلال ثلاثة انتخابات كان النورسي يصوت سرا في اثنين منها للحزب الديمقراطي، أما انتخابات عام ١٩٥٧م فقد صوت علناً لهذا الحزب وبمساعدة عدنان مندريس ، الذي يقال إنه أمر بتخصيص ورق طباعة لطبع رسائل النور تأليف النورسي؛ فقد تم طبع قطاع من كليات رسائل النور بالأحرف اللاتينية التركية عام ١٩٥٧ - ١٩٥٩م .

ومن توضيحاته لأسس الإسلام : "إن الأسس الإيمانية كانت رصينة متينة في العصور السابقة وكان الانقياد تاماً كاملاً ، أما في الوقت الحاضر فقد مدت الضلالة باسم العلم يدها إلى أسس الإيمان وأركانها" (٣) .

اختار سعيد النورسي مواجهة الإلحاد واللا دينية بسلاح إظهار حقائق الدين وشرح آيات القرآن وتربية أجيال المسلمين تربية دينية صحيحة، وبهذه المبادئ قاد سعيد النورسي الحركة الإسلامية ضد اللا دينية ، وبهذا استطاع مقاومة اللا دينية عن طريق تمسك الشعب التركي بفرائض الإسلام وتعاليمه .

طالب الشيخ سعيد النورسي بترسيخ مبادئ الإيمان في قوله :

"إن الشريعة الغراء باعتبارها أزلية قديمة فإنها ستبقى إلى الأبد، وإن النجاة والخلص من ظلم النفس وشرها لا يكون إلا بالاعتماد على الإسلام والتمسك بحبل الله المتين" (٤) .



(١) مصطفى زكي العاشور، مرجع سابق، ص ٧١-٧٣

(٢) داود دورسون ، المؤتمر ، مرجع سابق ، ص ٩٧

(٣) خاقان ياوز ، مرجع سابق ، ص ٦١٥ - General Organization Of the Aloxan-

(٤) سيرة إمام مجدد، بديع الزمان سعيد النورسي، بيروت، ١٩٧٤م، ص ٢٢، عن مجيد جريو، تراجم إسلامية في الفكر والحركة في تركيا المعاصرة ، مجلة المصباح الفكري، العدد ٤٩٩، تاريخ ٣٦ ذي القعدة ١٤٠٠هـ

كما قال أيضاً في هذه المناسبة : " لو أن لى ألف نفس لما ترددت بفدائها فى سبيل حقيقة واحدة وحكم واحد من أحكام هذه الشريعة ، إنها طريق السعادة والعدالة والفضيلة^(١) .

وقد ذكر أحد الغربيين : " إن القومية التركية رغم تحررها من الدين إلا أنه لم يخل لها الجو ؛ لأن معارضة الشعب الداخلية تمتعت بقوة لم يتوقعها أحد " ^(٢) .

كان القلق الأول الذى يراود الشيخ سعيد النورسى هو تعرض الشباب لداء الإلحاد وبلاء السفاهة الدنيوية ، كان يقول : " إننى فى جهاد دائم مع المجموعة الملحدة " . كما قدم سعيد النورسى تحليلات حول ظهور الإلحاد والتغريب فى الأمة الإسلامية والتوجه نحو الدنيا ومتاعها فى قوله : " إن العالم اليوم يضطرب من قلق معنوى عظيم ، فالمرض الذى دب فى جسم الغرب وزعزع الأسس المعنوية لمجتمعه ، ذلك الطاعون الوبيل يسرى بمرور الزمن إلى أنحاء العالم كله ، إننى أرى الرءوس الكبيرة سادرة فى الغفلة ، فقلعة الإيمان لا تسند بأعمدة الكفر النخرة " ^(٣) . ومن أقوال سعيد النورسى : " نظرت إلى دنيا السياسة مرتين أو ثلاثاً خلال ما يقرب من خمس عشرة يوماً ورأيت عجباً : إن تيار الزندقة الذى يحكم بالاستبداد المطلق والرشوة العامة قد سعى لتعذيبنا وافئاننا فى سبيل إرضاء الماسونية والشيوعية " ^(٤) .

ومن أقواله أيضاً : " إن أخطر شئ فى هذا الزمان هو الإلحاد والزندقة والفوضى والإرهاب ، وليس تجاه هذه المخاطر إلا الاعتصام بحقائق القرآن " ^(٥) . وقد سعى فى رسائل النور التى كتبها إلى معارضة السياسة ، ودافع عن الدين وأصبح ترجماناً لمشاعر الشعب ، وكان عدم تغييره للزى واستخدامه الأبجدية العربية تعبيراً عن سلوكه المعارض للاتجاهات الجديدة^(٦) . كان سعيد النورسى يبذل نشاطاً كبيراً فى إصلاح المدارس الدينية ، ويعمل على تجديدها بمفاهيم تتفق مع علوم العصر الأخرى ، وكان يدافع عن مبادئ ثلاثة : العدالة ، والشورى ، والقانون ؛ وهى أساس الإسلام^(٧) .

كان سعيد النورسى يطلق على نفسه فى مرحلة ما قبل ١٩٢٥م لقب "سعيد القديم" وبعد هذا التاريخ أطلق على نفسه "سعيد الجديد" أو سعيد الثانى ، فكانت شخصيته فى

(١) سيرة إمام مجدد ، المصدر نفسه ، ص ٢١

(٢) باول شمتز ، الإسلام قوة الغد العالمية ص ١١٦ ، ١١٧ ، نقلاً عن الطنوبى ، ص ٣٠٤

(٣) أنيس أحمد ، المؤتمر ، مرجع سابق ، ص ٦٣٩

(٤) أحمد داود أوغلو ، سياسة العالم الإسلامى فى القرن العشرين فى نظر النورسى ، المؤتمر العالمى ، مرجع سابق ص ٥٨٥

(٥) نفس المرجع ، نفس الصفحة

(٦) داود دورسون ، بديع الزمان ممثلاً عن المعارضة ، المؤتمر العالمى ، مرجع سابق ، ص ٥٩٧

(٧) أحمد نورى النعیمی ، مرجع سابق ، ص ٩٥

البداية نضالية ومعارضة منذ طفولته وكان يقوم بدور المصلح بين العشائر، ثم أصبح بعد ١٩٢٥م شخصية منزوية بعيداً عن السياسة حيث كان تحت المراقبة مدة سنيين طويلة^(١) لكنه قام بجهاده العظيم الهادئ من أجل الإسلام فأننتج رسائل النور فترة منفاه ، والتي اشتملت على جميع التعاليم الإسلامية التي أراد أن يبلغها للناس. وكان طلاب النور يعكفون على قراءة هذه الرسائل في حلقات داخل ما يسمى بـ "درس خانه " يتدارسون ويفهمون ما بها^(٢) . ثم أصبح لها قوة تأثير كبيرة في الحركة الإسلامية في تركيا وفي مجريات السياسة التركية أيضاً .

وبعد وفاة مصطفى كمال أتاتورك ظلت جماعة النور برئاسة شيخهم الشيخ سعيد النورسي يواصلون نشاطهم الإسلامي، وقد تم ضبط عدد ٧١ مدرسة من مدارسهم السرية ، كما ضبط خمسة وثمانون من الطلاب تتراوح أعمارهم بين ١٥ ، ٢٢ عاماً يرتدون اللباس الديني العثماني ويدرسون اللغة العربية ، فتم القبض عليهم وهم يدرسون اللغة العربية وتمت مصادرة مطبوعاتهم^(٣) . ولكن محاكماتهم كانت تنتهي دائماً بالبراءة .

أما إنتاج الشيخ النورسي فكان على النحو التالي :

١- رسائل النور :	وهي ١٣٠ رسالة مقسمة على النحو التالي :
سوزلر (الكلمات)	٣٣ رسالة
مكتوبات	٥٠ رسالة
لمعات	١٥ رسالة

لواحق المكتوبات وهي في ثلاثة أجزاء :

١- لاحقة قسطنطيني

٢- لاحقة أميرداغ

٣- لاحقة بارلا

المؤلفات الأخرى :

" إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز " (وهو تفسير للقرآن الكريم) - " المثنوى العربي " (وهو في العلوم المختلفة) - " الصيقل الإسلامي " وهو في حل شتى المشكلات الإسلامية - وصفة للعوام .

(١) داود دورسون ، المرجع سابق ، ص ٥٩٣

(٢) محمد حرب ، العثمانيون ، مرجع سابق ، ص ٢٥٦

(٣) إبراهيم الدسوقي شتا ، مرجع سابق ، ص ٩٥، ٩٤

حاول أتاتورك استدراج سعيد النورسي بالإغراء المادى عن أن يرجع عن موقفه لكنه فضل الانزواء والعزلة ونصب نفسه داعياً إلى الله ، وقد حكم عليه بالإعدام أكثر من مرة وعفى عنه ، وعندما قربت نهايته وقف أمام محاكميه وقال لهم :

" إننى مطمئن ومستعد كل الاستعداد الآن للرحيل إلى الدار الباقية، لألحق بإخوانى الذين أنقذهم قرار محكمتكم الجائر من حياة الطغيان والعلو فى الأرض بغير الحق" (١).

وتوفى الشيخ سعيد النورسي فى ٢٣ أبريل سنة ١٩٦٠م فى مدينة "أورفا" المزدحمة بالكثير من أحبائه ومريديه ، وحينما قامت ثورة ١١ يوليو ١٩٦٠م والتي أدت إلى إعدام مندريس ، قام الثوار بفتح قبر سعيد النورسي ثم نقلوه إلى إسبرطة ، ومع ذلك فقد تم نقل جثمانه عن طريق العسكريين إلى مكان مجهول لا يعرفه أحد خوفاً منهم أن يكتسب ضريحه أهمية سياسية لدى الناس (٢) .

لم يتزوج بديع الزمان سعيد النورسي بل نذر نفسه لخدمة ونشر " رسائل النور " التى ألفها، وعلى الرغم من أنه قد صرح بأن هذا الزمان ليس زمان التصوف، إلا أنه كان يتحدث عن رابطة بالشيخ " عبد القادر الجيلانى"، ويكن احتراماً كبيراً وتعظيماً واضحاً للشيخ محى الدين بن عربى المتصوف المعروف (٣) .

وظل "أهل النور" و"حزب النظام" والجماعات الإسلامية الكثيرة تتحدث عن "القومية الإسلامية" "إسلام مليتجلكى" على أساس أن الشعب التركى عاش طويلاً كجندى فى خدمة الإسلام، وكان الشارع التركى يضج بالمظاهرات عند تعرض الحكومة لأى نوع من التعدى على الشكل الدينى الذى يرغبونه (٤) .

ومن أنصار هؤلاء كان الشاعر نجيب فاضل، صاحب كتاب " الرجل الصنم "، وقد كتب الكثير من المسرحيات وسيرة للسلطان عبد الحميد، وكان نجيب فاضل يرأس جمعية ذات ملامح إسلامية شديدة تهاجم العلمانية والتغريب والماسون واليهود . وقد هاجمت الحكومة هذه الجمعية هجوماً عنيفاً حتى قاموا بحلها عام ١٩٥١م، لكنها عادت مرة أخرى تهاجم أتاتورك (٥) .

(١) الدسوقي شتا، مرجع سابق، ص ١٠٠.

(٢) الدسوقي شتا، مرجع سابق، ص ١٠١.

(٣) Ismail Kara, a.g.e., s. 314 - 315 والمعروف أن الأستاذ اسماعيل قره الذى استفدنا منه هنا هو أحد الكتاب اللامعين فى مجال الفكر الإسلامى التركى، وكتابه الذى نقلنا عنه هنا (الفكر الإسلامى فى تركيا لصوص وترجم) فى جزأين يعد حتى الآن أبرز كتاب فى موضوعه وموضوعيته التى اشتهر بها اسماعيل قره.

(٤) الدسوقي شتا، مرجع سابق، ص ١٠١.

(٥) يعتبر نجيب فاضل عميداً للأدب التركى حتى لقبوه بسلطان الشعراء، وقد اهتم بنقله إلى العربية الدكتور محمد حرب ، الذى قام ترجمة عربية كاملة لمسرحية خلق إنسان تأليف نجيب فاضل وصدرت عن دار الهلال بالقاهرة أبريل عام ١٩٨٨م

وظهرت العديد من المجلات مثل : "مجلة ثقافة الترك" "تورك كولتورو" التى صدرت عام ١٩٦٢م موجهة عداها لمحاولات هدم ما تبقى من ثقافة الشعب التركى، كما صدرت مجلة "اتحاد الترك" "تورك برلكى" وأعلنت نفسها كصوت للشعب فى الأناضول والقوقاز وأذربيجان^(١).

يقول الأستاذ / صالح طوغ - أحد الخبراء الأتراك - عن النورسيين :
الحركة النورسية ليست حزباً سياسياً ولا جمعية ثقافية ولا مدرسة منظمة ، إنما هى أستاذ وطلبة ، وقد وجه الشيخ سعيد النورسى همه للدفاع عن الإيمان والمحافظة على العقيدة ، ولم نجد فيها مفهوماً للدولة الإسلامية ، لذلك فهى تختلف عن كل الحركات الإسلامية الأخرى^(٢).

وفى نفس هذا المعنى يقول الأديب نجيب فاضل :
إن النورسية ليست مذهباً أو طريقة أو منظمة ، إنهم عشاق الإيمان الذين يلتفون حول الرسالة التى كتبها أحد الداعين إلى الإسلام مستنداً إلى الله ورسوله .

وقد قامت الحكومة بتكوين لجنة لكتابة تقرير عن معرفة نشاطهم ، فكان نتيجة التقرير هى " أنها دعوة شاملة لعموم المسلمين تدعو الناس إلى تفهم القرآن الكريم وأن يتخلقوا بأخلاق الإسلام " .

وجاء فى التقرير أيضاً : " إن أفكار رسائل النور تعكس مؤلفات سعيد النورسى ، فهم يعملون من أجل السعادة الأبدية فى الآخرة " .

ولم تتوقف حركة طلاب سعيد النورسى بعد وفاته، بل واصلوا جهودهم من أجل محاربة الإلحاد الذى يتفشى وخاصة فى الشباب، وذلك عن طريق نشر وتوزيع رسائل النور فى كل مكان ، وتأكيد منهج شيخهم الذى واجه محاولات مصطفى كمال أتاتورك لاقتلاع العقيدة من الصدور المطالبة بتطبيق أصول الشريعة ومبادئ الإسلام، والتمسك بآركان العقيدة مواجهة سلمية^(٣).

والجدير بالذكر أن جماعة بديع الزمان سعيد النورسى قد تفتتت وانقسمت إلى خمس جماعات لكل جماعة رائد وهى :

١ - طائفة الكتاب : Yazıcılar وهم الذين يقولون أن نشر " رسائل النور " لا تكون إلا بالحروف العثمانية.

٢ - طائفة جريدة آسيا الجديدة : ويرأسها الكاتب والمفكر التركى الإسلامى "محمد قوطلولار" وهو رئيس تحرير جريدة Yeni Asya آسيا الجديدة . وآسيا كان بديع

(١) النظر ، إبراهيم الدسوقي شتاء، مرجع سابق، ص ٩٦ - ١٠١.

(٢) النظر ، أحمد نورى النعيمى، مرجع سابق ، ص ١٠٦.

(٣) نفس المرجع ، ص ١٢٤.

الزمان سعيد النورسى يتخذها اصطلاحا على العالم الإسلامى ، وهذه الطائفة تهتم بالإصدارات العلمية تمثلا لإشارة بديع الزمان الاهتمام بالعلوم الجديدة ، ويقولون إن بديع الزمان رجل حياة سياسية ولم يكن بعيدا عن السياسة .

٣ - طائفة (مَذْزَهرا) : واسمها مُتَّخَذ من إشارة بديع الزمان سعيد النورسى انشاء جامعة دينية فى تركيا لخدمة آسيا على غرار الأزهر فى أفريقيا وتهتم بالعلوم العصرية وتسمى زهرا (جامعة الزهراء) .

٤ - طائفة فتح الله خوجه : والذى تعتمد طائفته على الانتشار بواسطة الإعلام والنفوذ السياسى فى أواسط الحكومات المختلفة والسيطرة المالية ، وقد أنشأوا بنك تمويل باسم Asya Finas "آسيا فينانس" ، ويعارضون الحزب الإسلامى فى تركيا بقيادة أربكان ، وطائفة فتح الله خوجه هى الوحيدة بين طوائف النورسية الموالية للجيش والحكومة الرسمية (عام ١٩٩٧م) .

٥ - جماعة فارس قايا : وهو أستاذ جامعى نابه يعتمد فى نشر رسالة النورسى والنورسية على العلم والدراسات العلمية الأكاديمية ، بعيدا عن السياسة وبعيدا عن الدعاية .

والآن ننقل إلى دعوه أخرى من الدعوات التى كان لها رد فعل كبير ضد الإجراءات الكمالية فى الدولة العثمانية، ألا وهى دعوة الإمام سليمان حلمى أفندى طوناخان لإحياء الإسلام .

* * *

٣- ردود فعل تلامذة الإمام سليمان حلمى

كان الإمام سليمان حلمى هو صاحب اليد الطولى فى علوم الظاهر والباطن ، عمل فى خدمة الإسلام طوال حياته التى بلغت إحدى وسبعين عاماً (١٨٨٨م-١٩٥٩م). حارب من يريد هدم الإسلام على الأرض وتصدى لتربية النشء فشغل منصب الإرشاد^(١) .

وكان حكم الكماليين فى تركيا لمبدأ تغريب الدولة من أخطر الإجراءات والخطوات التى اتخذها مصطفى كمال، فكان إلغاء الحروف العربية وإلغاء وزارة الأوقاف والشرعية وإلغاء المدارس الدينية وإلغاء تكايا وزوايا الزهاد والمتصوفة ، وكان التطبيق الكمالى لهذه الإجراءات عنيفاً وشديداً مما أدى إلى انتشار كثير من التيارات الدينية

(١) أحمد نورى النعیمی، مرجع سابق، ص ١٠٤.

من أجل إحياء الإسلام، كان أهمها وأكثرها تأثيراً حركة الإمام المجدد سليمان حلمى طوناخان^(١) فهو من طبقة العلماء الممتازين، وهو سليل أسرة السلطان محمد الفاتح، عمل بالتدريس والاشتغال بالعلوم الدينية فى أواخر العهد العثمانى وهو لا يزال طالباً فى المدرسة ، كان من معارضى الانقلاب ومن مؤيدى الخلافة، يتجنب كل شئ له علاقة بالتغريب ، وعندما أغلقت الحكومة المدارس قامت بتعيينه واعطا لكنها منعت من التطرق إلى الأمور العقيدية والإيمانية، ومن ناحية أخرى فقد رفض الإمام سليمان ثورة الحروف ، وأكد على المتاعب والمشاكل التى سوف تسفر عنها ، وأعتبر أن تغيير حروف الكتابة العربية بحروف لاتينية إنما هو قطع صلة الإنسان بماضيه وثقافته وفقدان الهوية الأصلية .

كان الإمام سليمان يحذر أصحابه المدرسين من ضياع علوم الدين والقرآن . وكان منهجه يظهر فى توجهه نحو إخوانه المدرسين قائلا: إخوانى المدرسين ، إنكم اليوم ضمانا الدين ، فعدنا خمسمائة شخص ، لو علم كل واحد منا أمور الدين لثلاثة أشخاص فى البيوت لأمكننا أن نربى ألفاً وخمسمائة شخص ، فيمد الله بهم من عمر الإسلام خمسين عاماً على الأقل، وهو عمر جيل أو جيلين . وقد أثر كلام الإمام سليمان فى نفوس أصحابه حتى إنهم بعثوا برقية شديدة اللهجة إلى الحكومة قالوا فيها : "نعلم أن دولتنا خرجت من الحرب قبل وقت قصير وخزينة الدولة لا تتحمل المصاريف ، إننا نحن المدرسون مستعدون لتعليم أبنائنا العلوم الدينية دون مقابل" .

وجاء الرد من حكومة أنقرة : لقد تم قبول قانون توحيد التدريس، وكل من يخالف هذا القانون يستحق العقوبة الشديدة ، فرجع المدرسين عن قرارهم خوفاً من الحكومة ، فقرر الإمام سليمان أفندى الجهاد بمفرده لنشر دين الله رغم العقوبات والمخاطر . وقد اعتمد الإمام سليمان حلمى فى برنامجه الإصلاحى لإنقاذ دين الأمة من الضياع وإحياء الإسلام على الأتى :

١- إحياء القرآن الكريم : وذلك بتحفيظ القرآن الكريم للأتراك رغم الضغوط الحكومية الشديدة ، ولذلك أقام فكرة إنشاء كتاتيب تحفيظ القرآن الكريم ومدارس تعليم الإسلام ، خاصة فى القرى والقصبات فى الخفاء .

٢- نشر اللغة العربية بين الأتراك : وسوف يؤدى تعليم اللغة العربية بالضرورة بالاتصال بالقرآن الكريم .

٣- إحياء العلوم الإسلامية : وذلك من أجل حفظ التراث العقيدى الإسلامى وسهولة رجوع الأمة إليه. وكانت برامج المدارس التى أقامها الإمام سليمان حلمى تعتنى بدراسة أمهات كتب اللغة والفقه والحديث والتفسير والعلوم الإسلامية .

(١) محمد حرب، حركة الإحياء الإسلامى فى تركيا مقال فى مجلة لواء الإسلام ، ص ٤٣.

أول ما قام به الإمام سليمان هو تعليم الطلبة خفية بالرغم من مراقبته الشديدة من قبل الحكومة ، فكان ينتقل بهم من مكان إلى مكان ويقول : "نقلتكم من مكان إلى مكان كالقطة التي تنقل صغارها" . كان يخشى على ضياع الإسلام منهم ويقول : كان التدريس شبه مستحيل ، كنت أخاف من ضياع العلوم ، فقامت بتعليم بناتي على أن يقمن بتعليم أزواجهن وأبنائهن وأحفادهن ، فيتكون جيل يحافظ على تراثه ودينه ، وبهذه الطريقة يضمن مد عمر الإسلام خمسين عاماً قادمة .

وقد واجه الإمام سليمان صعوبات جمة في سبيل جمع الطلبة الذين كانوا يخشون الحكومة ، فلم يأخذ منهم أجراً على تعليمه إياهم ، بل كان يصرف لهم راتباً حتى يصبحوا مواطنين صالحين يخدمون دينهم وبلادهم . وكان يطمئنهم فيقول لهم : "لا داع للقلق ، هنا دار الأمان ، لا تحزنوا إن الله معنا" . فترفع معنوياتهم ويطمئنون . كان يبذل أماكن تعليمه ويستأجر المزارع ويخبئ طلابه عن عيون الرقابة ورجال الأمن ، ويظهرهم في شكل عمال يزرعون الأرض ، وفي الليل يعلمهم القرآن وأمور دينهم في الخفاء . وقد اعتقل وسجن ولم يأبه بهذا .

كانت دعوة الإمام سليمان قوية ، ولم يمنعه شئ من المضى فيها رغم الشدائد التي واجهته ، فقد تعرض مرات كثيرة لغارات رجال الشرطة السرية على منزله وتفتيشه وتقليب الكتب في بيته . كما أنه تعرض لغارة ثلاثين من عناصر الشرطة المدنية والسرية على مدرسة القرآن ، واقتادوه إلى مركز الشرطة مع طلابه وكتبه ، وتم القبض عليه وسجن عام ١٩٣٦م ثم تعرض للاعتقال عام ١٩٣٩م والتعذيب في زنازته ، كما سجن عام ١٩٤٤م . وكانت الحكومة تواجه هذه الأعمال بالشدّة والقسوة والاستفزاز ، حتى إنها قامت بحرق المصاحف والكتب الدينية ، وقاموا بجمعها وحملوها على إبل قام أعرابي بشدها متجهاً نحو الجزيرة العربية ومكتوباً عليها عبارات تقول : "جاءت من الصحراء وتعود إليها" وتقول : "جاءت من العرب فلتذهب إلى العرب" . وكان الإمام سليمان يواجه هذه المواقف بإصرار أكثر للمضى في طريق دعوته . وكان يشجع تلامذته للذهاب إلى المدن والقرى ليقوموا بفتح مدارس لتحفيظ القرآن ، وكان يشعرهم أن هذا فرض عليهم ، وكان يقول : "المهم أن تتجح دعوتنا ولا نهتم بالمناصب ، ونقبل أن نكون عند أحذية المسجد .

لقد حمل الإمام تلامذته مسئولية تعليم أمور الإسلام على عاتقهم ، فكانت روح الإمام ومبادئه متمثلة أمامهم ، فقاموا بنشر المدارس القرآنية في كل مكان على الرغم من تصدى الحكومة لهم ، حتى وصل عدد دور الطلبة أكثر من ثلاثة آلاف مدرسة اندرجت تحت اسم "اتحاد مدارس القرآن" كما أطلق عليهم "اتحاد رابطة مساعدة طلاب مدارس القرآن ودور التعليم" وهي تنتشر في كافة أنحاء العالم .

وقد حاولت رئاسة الشئون الدينية إبعادهم عن تكوين هذه المدارس وتوجيه الرأي العام ضدهم ، إلا أنهم واجهوا هذا التحدى واستمروا في نشاطهم الإسلامي . ونختم

قولنا هنا عن الإمام سليمان وتلامذته في أن دعوتهم للإسلام كانت موجهة للحفاظ عليه من الإجراءات الكمالية، التي قلبت موازين الدولة العثمانية من دولة كانت تعيش بتراث إسلامي منتشر في العالم كله إلى دولة تركية بحروف لاتينية بعيدة عن كل ما هو إسلامي أو عربي .

وكان منهج الإمام سليمان وتلامذته هو الحفاظ على هذا التراث عن طريق فتح مدارس لتحفيظ القرآن وتدرّس العلوم الإسلامية للناشئين باللغة العربية، فيتكون جيل بعد جيل يحافظ على الإسلام وعلى تراث بلاده، سواء كان هذا التعليم سرّياً أو علنياً، والتصدي لكل الظروف التي تقف حائلاً نحو استمراريتهم. وما يزال طلاب وتلامذة الإمام سليمان حلمي والذين يطلق عليهم السليمانيون - وهو لفظ يرفضه أبناء الإمام - يقيمون المدارس يؤدون واجب تحفيظ القرآن للأطفال وتربية النشء تربية إسلامية صحيحة ، ويتحدون كل وسائل الضغط التي تواجههم حتى يومنا هذا .

* * *

ولا يفوتنا هنا أن نذكر أن معارضة العلمانية وتغريب البلاد ظلت قائمة ومستمرة، فقد شهدت أواخر الستينيات أحداثاً لنشاط إسلامي واسع، ففي عام ١٩٦٨م عقد في بورصة اجتماع سمي "حماة المقدسات " "مقدساتجبلر" أعلن فيه أن السلطة للإسلام لا للقوميات، وأن الشريعة الإسلامية ينبغي أن تعود إلى مكانها الطبيعي بدلا من القانون المستورد. كما أعلن المسلمون أن الإسلام دين ودولة ولا يمكن للدولة أن تقام بلا دين . ونتيجة لذلك شهدت استانبول أحداثاً جسيمة ولقاءات إسلامية، حيث كانوا يتجمعون في ميدان تقسيم ويصبون لعناتهم على تمثال أتاتورك ويهاجمون العلمانية. كما ظهرت في نفس الوقت الكثير من الجماعات السرية التي كانت تهدف إلى تنقية الإسلام مما شابه في سنوات الاضطهاد والضغط، وواصلوا حركتهم خلال الستينيات، وكانوا يدعون إلى الجهاد المقدس، وكانت تقوم بعض المظاهرات الطلابية التي كانت تدعو علانية إلى "تركيا إسلامية" وكان من أهم شعاراتهم: "الإسلام قادم" وكانت الصحف الغربية تنقل هذه الأخبار، فكانوا يقدمون للمحاكمة العسكرية بتهمة تشكيل تنظيمات للقضاء على النظام السائد في تركيا ، وإقامة نظام يستند على الشريعة . وكانت هذه الجماعات تضم فئات مختلفة من الشعب من وعاط وتجار ومحامين وصحفيين ومهندسين وفلاحين وعمال^(١) . بالإضافة إلى حملات الاعتقال الواسعة التي قامت بها الحكومة لضبطها العديد من المنشورات المضادة للدولة .

وظلت محاولات معارضة تغريب الدولة مستمرة حتى ظهر "حزب النظام" الذي أسسه نجم الدين أربكان ثم حل محله "حزب السلامة الوطني" الذي قام بتأسيسه " يونس

(١) الدسوقي شتاً ، مرجع سابق، ص ٩٤ - ٩٥.

عارف أمره " عام ١٩٧٠م ثم تولى أركان رئاسته، وكان من أقوى الأحزاب التركية في ذلك الوقت على الرغم من الرقابة العسكرية الصارمة ، فقد كان أول حزب يشترك في حكومة ائتلافية مع "حزب الشعب الجمهوري" برئاسة بولند أجاويد في السبعينيات، وقد نجح الوزراء الإسلاميون في الائتلاف الأول، فأعطوا دفعة للتعليم الديني وتهيئت الفرصة لفتح مدارس الأئمة والخطباء وقد بلغ تعدادها ثلاثمائة مدرسة . ولكن هذا الائتلاف أدى إلى إحداث صدع داخل الحزب بين جماعة من المتشددين الذين كانوا يريدون تغيير كل شيء أو لا شيء، وبين جماعة من المعتدلين الذين كان على رأسهم "نجم الدين أربكان" ^(١) فأصبحت توجه الانتقادات لأربكان داخل الحزب نفسه وانتقدوا تصرفاته المعتدلة .

وجدير بالذكر هنا أن نعرض ما جاء في تقرير المخابرات الأمريكية عن أهم وأكثر التيارات الإسلامية تأثيراً في الشعب التركي وهي على التوالي :

أولاً : حركة الطريقة النقشبندية بكل فروعها، وهي التي أوجدت التيار السياسي الإسلامي وعلى رأسه نجم الدين أربكان ، وهي التي ابتدعت الاهتمام بالإعلام الإسلامي عن طريق إنشاء القنوات التلفزيونية الإسلامية الخاصة بدلاً عن قنوات التلفزيون الحكومية العلمانية والقنوات اليسارية .

ثانياً : تلامذة الإمام سليمان حلمي، وهؤلاء يبتعدون عن السياسة ويتعدون عن الدعاية والإعلان والإعلام بشتي مظاهره لكنهم ينتشرون ، إذ جعل أتباع الإمام سليمان حلمي الأساس في نشر الدعوة الإسلامية في القرى أولاً ثم المراكز ثم المدن ، عن طريق نشر العناية بتحفيظ القرآن الكريم ونشر اللغة العربية لكي يسهل على الأتراك الوصول مباشرة إلى المنبع، ثم نشر العلوم الإسلامية بالتالي .

لذلك تأتي أهميتهم في أن المواطن التركي في الأناضول يؤمن برسالة جماعة الإمام سليمان حلمي ويؤيدهم للأسباب المذكورة ^(٢) .

ولا تزال تركيا حتى يومنا هذا في صراع دائم بين معارضي الدين ومعارضتي العلمانية .

* * *

(١) أحمد نوري النعمي ، مرجع سابق ، ص ١٥٣-١٥٧ .

(٢) انظر تقرير المخابرات الأمريكية عن القوة الأساسية في تركيا : Amerikan Gizli Belgelerinde

Türkiye’de İslamci Akımlar, Tercüme Yılmaz Polat, Takdim Fehmi Kuru, İstanbul,

1990, s. 74.

الباب الثالث

نموذج الإمام سليمان حلمى

الفصل الأول : الظروف التاريخية التى صاحبت ظهور الإمام
سليمان حلمى .

الفصل الثانى : الإمام سليمان حلمى - حياته - أعماله .

الفصل الثالث : مناهج اللغة العربية والعلوم الإسلامية فى
مدارس الإمام سليمان حلمى .

الفصل الأول

الظروف التاريخية التي صاحبت ظهور الإمام سليمان حلمى

- ١- السلطان محمد الفاتح والكنيسة الأرثوذكسية .
- ٢- معركة نوارين البحرية نتيجة الغدر الأوروبى بالدولة العثمانية .
- ٣- ثورة البطريركية ضد الدولة العثمانية .
- ٤- الاتجاه الرسمى للتغريب .
- ٥- سياسة السلطان عبدالحميد تجاه الدول الغربية .
- ٦- موقف يهود الدونمة من الدولة العثمانية .
- ٧- آليات السلطان عبدالحميد فى سياسة التعليم العثمانية .
- ٨- دعاة الجامعة الإسلامية فى عهد السلطان عبدالحميد .
- ٩- السلطان عبدالحميد والإمام سليمان حلمى .

١ - السلطان محمد الفاتح والكنيسة الأرثوذكسية

عاشت الدولة العثمانية فترة ستة قرون من الزمان تمتلك أكبر قوة فى العالم ، تحرك العالم أجمع طبقا لسياستها وتؤثر على مجريات حياة البلاد شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً ، حيث كانت تحظى بحضارة ومدينة إسلامية لم يسبق لها مثيل، امتدت فتوحاتها إلى أوروبا الغربية مروراً بشمال أفريقيا .

وابتداء من القرن السابع عشر الميلادى بدأ توقف الفتوح العثمانية الإسلامية نتيجة لهزيمة العثمانيين أمام الغرب ، فظهر العديد من التمردات فى الأقاليم والفوضى فى البلاد ، حتى ظهرت الحاجة الملحة إلى إصلاح الدولة بعد فقدت الكثير من أراضيها ، وتأثرت الحالة الاقتصادية فى البلاد وتفشى الفساد فى الجيش وبدأ يسيطر على مجريات الحياة الاجتماعية .

وانتشر فى القصر السلطانى رجال تكره للدولة الاستمرار ، وكان كثير منهم نصارى يتسترون وراء أسماء إسلامية يكرهون تقدم الدولة ويتجهون نحو الغرب. ويجدر بنا الآن أن نتوقف لنذكر العلاقة التى كانت تربط بين الدولة العثمانية وال نصارى ، فقد كانت علاقة قديمة ، حيث تعود صلة العثمانية بالكنيسة منذ أيام الفتح العثمانى للقسطنطينية (استانبول حالياً) على أيدي السلطان الفاتح محمد الثانى ، وكان السلطان الفاتح قد أمر عقب الفتح مباشرة بإجراء انتخابات بين آل نصارى فى القسطنطينية بغرض اختيار بطريرك جديد لمنصب البطريركية، وقد كان هذا المنصب شاغراً فى ذلك الوقت فاجتمع رؤساء الكنيسة والرهبان وأتباع الكنيسة فى المدينة ، وتم اختيار " جورجوس سكولا رياوس " بطريركاً بإجماع الأصوات. وقام السلطان الفاتح بمنحة الحق فى إدارة شئون النصارى روحياً ومذهبياً بل منحه لقب "رأس الملة"، وهذا اللقب يعنى أن لصاحبه الرياسة المدنية أو إدارة الشئون الحياتية للنصارى.

وقد نصت الفرامانات الخاصة بشئون الكنيسة على عبارة محددة ومكررة هى: أنه لابد من النظر فى كل الأمور والمسائل الخاصة بنصارى القسطنطينية بمعرفة البطريرك المذكور .

وكان البطريرك يقسم أمام السلطان بقوله: " أقسم أن أظل مخلصاً للسلطان وأن أنفذ قوانين الدولة العثمانية واحترامها" .

لكن الواقع يحدثنا أن البطريركية قد تناسبت هذه المسئولية وتناسبت القسم الذى يقسمه كل بطريرك أمام السلطان عند استلامه سلطاته ؛ فقام هؤلاء النصارى بالعمل على فصل اليونان عن الدولة العثمانية وتكوين ما يعرف باليونان الكبرى ، عن

طريق إيجاد نظريات ومبادئ والعمل على إحياء ما يعرف بالامبراطورية الرومانية الشرقية وهى الدولة البيزنطية ، وإقامة دولة اليونان الكبرى فى الشرق بحيث تكون إستانبول عاصمة لها . ونتيجة لذلك قام ما يعرف بتمرد المورة ضد الدولة وكان ذلك فى ١٢ فبراير عام ١٨٢١م ، ونجح الأرثوذكس فى ١٥ يناير ١٨٨٢م بإعلان استقلال اليونان .

٢ - معركة نوارين البحرية نتيجة الغدر الأوروبى بالدولة العثمانية :

كان قد حدث تحالف بين نصارى الدولة وبين روسيا وانجلترا وفرنسا وذلك لمساعدتهم ضد الدولة ، وذلك عندما رفض إبراهيم باشا ابن محمد على إنداز الدول الغربية بشأن سحب أسطوله وجنوده ، فدخلت قوات هذه الدول البحرية نوارين فى ٢٠ يناير ١٨٢٧م وأغرقت السفن الحربية العثمانية .

وتعد "نوارين" وصمة فى جبين الحضارة الأوربية" وذلك لأن الأساطيل الغربية دخلت مرفأ نوارين دون أن ترفع أعلام الحرب فباغتت الأسطول العثمانى المصرى وغدرت به^(١) .

٣ - ثورة البطريركية ضد الدولة العثمانية :

قامت البطريركية بالتعاون مع الحكومة اليونانية بإثارة الكثير من الفتن والتمردات داخل الدولة العثمانية، حتى انتهى الأمر بقيام الموالين للبطريركية بالاتفاق مع البطريركية والقائد اليونانى فينزيلوس بوضع بذور الثورة ضد الدولة، فقاموا بعمليات تخريب أدت إلى قيام الحكومة بإحاطة البطريركية بالجنود العثمانيين وكان ذلك فى سبتمبر عام ١٩١٠م^(٢) . وقد وصل الأمر بالبطريركية أن قامت فى يوليو ١٩١٩م برفع علم بيزنطة فى إستانبول واعتبرت نفسها الممثل السياسى لليونان هناك، وبالتالى اعتبرت نفسها الممثل السياسى التى احتلت إستانبول عقب هزيمة الدولة فى الحرب العالمية الأولى^(٣) .

(١) ثريا شاهين «دور الكنيسة فى هدم الدولة العثمانية ، ترجمة محمد حرب، جدة، ١٩٩٧م ص ٢٥، ٣٢، ٧٢، ٧٦، ٧٧

(٢) ثريا شاهين ، المرجع السابق ، ص ٨٨ .

(٣) نفس المرجع ، ص ٩١ .

٤ - الاتجاه الرسمي للتغريب :

جاء تقهقر الدولة العثمانية يقابله فى الجانب الآخر تقدم أوربا فى النواحي المدنية ووسط هذه الظروف ظهرت الحركات الإصلاحية فى الدولة العثمانية ، وكان أول حركة إصلاحية فى الدولة العثمانية فى عهد السلطان أحمد الثالث بالاتجاه نحو الغرب والأخذ بالأساليب الغربية سياسياً وثقافياً واجتماعياً . وظهرت الحاجة إلى الميل لتقليد الغرب فأخذ السلاطين يشيدون القصور الفخمة على النمط الأوربى ، وبدأت حياة الترف تظهر فى البلاد من اتجاه تقليد الملابس الأوربية واستخدم أدوات الزينة فى القصور . ومع الروح الجديدة التى بدأت تدب فى الدولة ظهر العديد من التمردات من أجل المحافظة على تراث الدولة ، فقام المحافظون بالتحالف مع الإنكشارية ضد كل إصلاح غربى فى البلاد ، فظهر التعصب والفتن الطائفية ، فقام رجال الدولة بمحاولة إصلاح ما تهدم ، فاتجهوا إلى فكرة إقامة جيش جديد فى الدولة وكان ذلك فترة تولى السلطان سليم الثالث الحكم فركز جهوده فى إقامة الجيش الجديد على نمط أوربى^(١) ، لكن الجيش العثمانى تمرد على السلطان بسبب إنشائه جيشاً جديداً على النظام الأوربى . بعد ذلك دخلت الدولة العثمانية فى طور آخر خطير فى سياستها الخارجية حيث بدأت تتداول قضية "المسألة الشرقية" فى المؤتمرات الأوربية التى كانت تعقد ، والمسألة الشرقية لديهم كانت تعنى إزالة الدولة العثمانية من أوربا ، ثم دخلت الدولة فى حرب مع روسيا ١٨٢٧م انتصرت فيها روسيا وذلك بسبب ضعف الجيش وانتشار الفتن والفساد فى الدولة ، وبذلك فقدت الدولة العثمانية كثيراً من أراضيها وتدهورت حالة الدولة مالياً واقتصادياً نتيجة لدخولها الحرب . ووسط هذه الأحداث اشتدت الحاجة نحو الأخذ بالطرق الأوربية والتكنيك الأوربى وكان على رأس هذا الاتجاه "مصطفى رشيد باشا" حيث كان وزيراً للخارجية العثمانية وزار العديد من الدول الأوربية وعاد منها ليكون لجاناً تهدف إلى تطوير الزراعة والصناعة والتجارة على النمط الأوربى وإلغاء نظام الالتزام ، كما أمر بالعمل على المساواة بين المسلمين والنصارى واليهود فى الحقوق والواجبات والإدارة والجيش - وقد كان الجيش العثمانى قبل ذلك يقتصر على المسلمين فقط - ومن أجل تنفيذ هذه الأهداف أصدر "فرمان التنظيمات"^(٢) وكان ذلك عام ١٨٣٩م وأطلق السلطان يد رشيد باشا فى مباشرة تلك الإصلاحات وإصدار القوانين ، بل لقد أعاد تولية رشيد باشا مركز الصدارة العظمى خمس مرات ، فكان له نفوذه فى البلاد وشهرته خارج البلاد ، وكان متأثراً بالأفكار الماسونية وهو أول ماسونى عثمانى ظهر فى الدولة العثمانية . قام رشيد بتكوين زمرة من المتقنين تنادى

(١) محمد فريد ، مرجع سابق ، ص ١٧٤ .

(٢) أنور ضياء قارال، انظر محمد حرب ، السلطان ، مرجع سابق ، ص ٢٦

بالأخذ بالأساليب الغربية فى البلاد ، وقام رشيد باشا بتولية هؤلاء الزمرة وظائف الدولة الهامة مثل ولاية الولايات والوزراء وكتاب القصر السلطانى ووزارة الخارجية ووزارة الحربية ومديرى المدارس ، وأطلق على هؤلاء " العثمانيين الجدد " كان هؤلاء نشاطهم فى عهد السلطان عبدالعزيز وكان رشيد باشا وزيراً له ، وقد حاولوا الحد من سلطته ، وعندما تضايق منهم السلطان عبدالعزيز قتلوه ، وتولى بعده السلطان مراد الخامس وقد كان متأثراً بالماسونية لكنه جن ، فتولى بعده الحكم السلطان عبدالحميد الثانى الذى قام بتغيير مجريات الحياة العثمانية وأحدث فيها تطوراً خطيراً ، وظهرت فى الدولة العثمانية حركة الإصلاح الإسلامى ، حيث رفض الفكر العربى من حضارة وتراث ، لكنه وافق الغرب فيما وصل إليه من اختراعات وصناعات حديثة وأشكال مدنية نافعة .

٥- سياسة السلطان عبدالحميد تجاه الدول الغربية :

حينما تولى السلطان عبدالحميد الثانى السلطة فى ٣١ أغسطس ١٨٧٦م . كانت المشاكل تحيط به من كل جانب ، ومن ناحية أخرى كان مدحت باشا قد احتل مكان رشيد باشا فى رئاسة الوزارة . قام مدحت باشا بالضغط على السلطان عبدالحميد فى الدخول فى حرب مع روسيا وكان السلطان عبدالحميد يرفض هذه الحرب وذلك لعدم قدرة الدولة دخول حرب فى ذلك الوقت ، لكن محاولات مدحت باشا أدت إلى دخول الدولة حرباً مع روسيا انتصر فيها الجيش الروسى ، وكان نتيجتها قتل آلاف المسلمين وهجرة آلاف آخرين ، هذا إلى جانب فقدان كثير من الأراضى العثمانية ، فكانت خسارة مادية ومالية واجتماعية . وبعد ذلك قام الأوروبيون باحتلال معظم دول الدولة العثمانية ؛ فاحتلت فرنسا تونس عام ١٨٨١م واحتلت إنجلترا مصر ١٨٨٢م^(١) .

ونتيجة لهذا الوجود الأوروبى قام طلاب المدارس الذين تأثروا بالفكر القومى والفلسفات الأوربية بتكوين تنظيم سرى أطلقوا عليه اسم "الاتحاد والترقى" ، وكان الهدف من تكوين هذا التنظيم هو إسقاط السلطان عبدالحميد سلطان الدولة العثمانية وخليفة المسلمين . وقد نادى هؤلاء الاتحاديون بعودة الدستور وفتح مجلس "المبعوثان" وأجبر السلطان عبدالحميد على قبوله . وتولى الاتحاديون الحكم ثم دبروا حيلة لعزل السلطان عبدالحميد عرفت باسم حادثة ٣١ مارت (يعنى ١٣ مارس ١٩٠٩م) انتهت هذه الحادثة بقرار عزل السلطان عبدالحميد^(٢) .

(١) أورخان محمد على ، السلطان عبدالحميد ، مرجع سابق ، ص ١٣٦ ، ١٧١ ، ١٧٢ .

(٢) على حسون ، الدولة العثمانية ، مرجع سابق ، ص ١٩٧-٢٠٠ .

كان السلطان عبدالحميد حاكماً مسلماً تربي على الثقافة الإسلامية ولم يكن ضد التقدم وإنما كان معتدلاً في تطبيق العلوم التقنية والصناعات الأوروبية والعلوم الحديثة، وهو يرى أن عدم الأخذ بالجديد في العلوم من أسباب تأخر الدولة العثمانية، وقد بتحديث الدولة العثمانية في النواحي المدنية، وذلك عن طريق تطوير المدارس والجامعات وإرسال البعثات العلمية والاهتمام بالنواحي العسكرية وبناء أسطول حديث وتجهيز الجيش بأسلحة حديثة ومتطورة. وقد استدعى السلطان عبدالحميد ضابطاً ألمانيا كبيراً لأجل تنفيذ هذا الغرض مع المحافظة على الطابع الإسلامي للدولة.

كان السلطان عبدالحميد يعادى الماسونية فكانت الماسونية الدولية له بالمرصاد، وقد كان رؤس الاتحاد والترقي أعضاء في المحافل الماسونية وهم في نفس الوقت أعداء للسلطان عبدالحميد منهم "طلعت باشا" و"مدحت شكرى" و"كاظم باشا" و"منياس زاد" و"جمال باشا" و"إسماعيل جانبولا".

رأى السلطان عبدالحميد أن إنجلترا تثير الفتنة عن طريق الماسونية، كما رأى أيضاً أن فكر الماسونية علماني الوجهة مخالف لتكوين الدولة الإسلامية والفكر الإسلامي^(١)، فحينما طلب اليهود إقامة مستوطنات يهودية في فلسطين وكانت فلسطين جزءاً من الدولة العثمانية لم يقبل السلطان عبد الحميد طلبهم، وعلل السلطان عبد الحميد رفضه طلب اليهود وهو إقامة وطن لهم في فلسطين فأعلن أن فلسطين بها مقامات مباركة وسوف يؤدي وجود اليهود فيها إلى مشاكل كبيرة حول المقدسات التي بها.

٦- موقف يهود الدونمة من الدولة العثمانية :

الدونمة كلمة تركية من المصدر التركي "Donmek" أى العودة، ودونمة "Donme" مصدر مخفف بنفس المعنى، وتأتى أيضاً صفة وتعنى عودتى. أما اصطلاحاً فهى تعنى هؤلاء اليهود الذين اتخذوا أسماء إسلامية وتمسكوا بيهوديتهم، لكنهم في الظاهر يؤدون حسب الضرورة بعض العبادات الإسلامية من دخول المساجد والصلاة والصيام والحج.

وبيهود الدولة العثمانية هم من اليهود الذين هاجروا من أسبانيا إلى تركيا بعد اضطهادهم هناك وطردتهم على أيدي محاكم التفتيش الأسبانية، وبعد طردهم بعد انتهاء

(١) لمزيد من المعلومات عن الماسونية باللغة العربية راجع، أحمد غلوش، الجمعية الماسونية حقائرها وخفاياها، القاهرة، ١٩٦٦ م.

الوجود الإسلامى فى أسبانيا فتحت الدولة العثمانية أبوابها أمام طلائع هؤلاء اليهود التى أخذت تفد إلى مدينة سالونيك ومدينة الأستانة (استانبول) . ومؤسس طائفة يهود الدونمة هو شبتاى زفى (إزمير ١٦٢٦-البانيا ١٦٧٥) والذى وضع وثيقة مهمة مكونة من (١٨) مادة تنص المادة رقم (١٦) منها على أنه : يجب على يهود الدونمة تطبيق عادات الأتراك المسلمين بدقة لصرف أنظارهم عنهم ويجب ألا يظهر أحد من أتباعه تضايقه من صيام رمضان ومن الأضحية وعليهم أن ينفذوا ذلك بكل دقة أمام مسلمى تركيا ، لكن المادة (١٧) تنص على تحريم الزواج بين يهود الدونمة وبين المسلمين تحريماً باتاً^(١) .

وكان يهود الدونمة قد انتظموا فى المحافل الماسونية ، وكانت هناك المؤامرات الداخلية التى حاكتها الجماعات اليهودية خاصة الدونمة داخل النظام الحاكم نفسه ، وتحالفها مع القوة الخارجية لإثارة القوميات والذعرات الطائفية داخل الدولة وتقوية محاولات تغريب النظام الاجتماعى للمجتمع العثمانى .

كان لليهود الدونمة تأثيرهم القوى فى العمل ضد الدولة العثمانية من خلال قوتين خارجيتين لهما ثقلهما السياسى فى مجال العلاقات الدولية ، وهما الحركة الصهيونية ، والاستعمار . وكان يهود الدونمة فى الاتحاد والترقى لهم تأثيرهم فى الدولة العثمانية لأن العقول المفكرة من رجال الاتحاد والترقى كانوا من اليهود ، وقد كان لهم نشاطهم البالغ فى ميلاد مجموعة تركيا الفتاة ، وكان اليهود يشجعون الاتجاهات القومية التركية ومن أصدق ما قيل عن الاتحاد والترقى : "إن لجنة الاتحاد والترقى تبدو فى تشكيلها الداخلى تحالفاً يهودياً - تركيا مزدوجاً ، فالأتراك يمدونها بالمادة العسكرية الفاخرة ويمدها اليهود بالعقل المدبر والتدبير وبالمال وبالنفوذ الصحفى القوى فى أوروبا ويعمل اليهود وهم فى موقف الملهم والمسيطر على الجهاز الداخلى للدولة العثمانية يعملون على السيطرة الاقتصادية والصناعية على تركيا الفتاة"^(٢) .

كما قامت طائفة يهود الدونمة عن طريق محالفها الماسونية بنشر الجاسوسية واستغلالها ذوى النفوس الضعيفة ، وفى ظل يهود الدونمة وحمايتهم لأعضاء حزب الاتحاد والترقى هيموا على مقدرات تركيا بمجرد نجاح الجناح العسكرى للاتحاد والترقى فى إسقاط السلطان عبد الحميد من العرش ، وتولية السلطان محمد رشاد محله فى ظل نفوذ كامل للاتحاديين^(٣) .

(١) محمد محمد إبراهيم زعزوت ، دور يهود الدونمة فى إسقاط الخلافة العثمانية، القاهرة، ١٩٩١م، ص ٢٠-٢٤

(٢) محمد محمد إبراهيم زعزوت ، مرجع سابق، ص ١٨-٢٤ .

(٣) نفس المرجع ، ص ٢٤

وقد كان تغلغل النفوذ الأجنبي في الدولة قد بلغ ذروته في عهد عبدالحميد الثاني وكان يقول عنهم : "لقد أخذ هؤلاء الأجانب قبل عبدالحميد وأثناء حكمه يشتركون صدورى العظام ووزرائى ويستخدمونهم ضد بلادى". وكان السلطان عبدالحميد ضد "المشروطة" أى الاشتراط على الحاكم بتحديد سلطاته ، وكان ضد المنادين بالحكم الدستورى أمثال "مدحت باشا". وكان السلطان عبدالحميد ضد سفور المرأة ويرى ضرورة ارتداء الحجاب الشرعى لها ، ويرى عدم المساواة بين الرجل والمرأة كما أنه كان يدافع عن تعدد الزوجات ويؤكد أن مبدأ تعدد الزوجات مباح فى الإسلام ، فماذا يعنى الاعتراض عليه؟^(١) ومن ناحية أخرى كان السلطان عبدالحميد يبدى إحترامه للزهاد من الطرق الصوفية^(٢).

أما من ناحية التعليم فكان قد أصابه الخمول فترة ما قبل السلطان عبدالحميد ، فأولى عبدالحميد عناية خاصة بإصلاح التعليم ؛ فقام بتطوير المدرسة الملكية الشاهانية أى مدرسة العلوم السياسية ، كما أسس المدرسة التجارية الحميدية أى أكاديمية العلوم الاقتصادية والتجارية عام ١٨٨٣م بهدف تخريج متخصصين فى الاقتصاد والتجارة كما أنشأ مدرسة الفنون النفسية العالية أى أكاديمية الفنون ، وطور أيضاً المدرسة الحربية أى الكلية الحربية وتضم مدرسة القوات البرية ومدرسة القوات البحرية ومدرسة المهندسين ومدرسة الطب ، وافتتح مدارس للمالية والجمارك والشرطة وسمح بدخول الكتب والمجلات والصحف .

٧- آليات السلطان عبدالحميد فى سياسة التعليم العثمانية :

دعا السلطان عبدالحميد إلى خطوة كبيرة وهامة فى الدولة وهى تحقيق الجامعة الإسلامية بكل الوسائل ، فاتخذ دعاة من مختلف جنسيات العالم الإسلامى ونشر العلوم الإسلامية ومراكز الدراسات الإسلامية ، وطبع الكتب الإسلامية ، كما نادى باتخاذ اللغة العربية لغة رسمية للدولة والعناية بالمساجد والجوامع والقيام بحملات تبرع لإحياء المساجد ، والاهتمام بالمواصلات لربط أجزاء الدولة العثمانية واستمالة شيوخ الطرق الصوفية والاستفادة من الصحافة الإسلامية فى الدعاية للجامعة الإسلامية، كما أنشأ "معهد تدريب الوعاظ والمرشدين" إعداد الدعاة للجامعة الإسلامية . كما أنشأ "معهد تدريب الوعاظ والمرشدين" لإعداد الدعاة للجامعة الإسلامية.

Enver Ziya Karal, Osmanli Tarihi, c. 8, Ankara, 1983, s. 252

(١)

(٢) على سعيد ، سراى خاطره لئلاى ، سلطان عبدالحميد خاتك حياى ، استانبول ، ١٣٢٨م ، ص ٩١

ومن ناحية أخرى كان للسلطان عبدالحميد اهتماماته ونشاطه الإسلامى الواسع فى الصين حيث كان بها أكثرية مسلمة، فاهتم بمؤسساتهم التعليمية ومدارسهم . وكان للسلطان عبدالحميد شعبية خاصة لدى مسلمى الصين فكانوا يدعون له فى مساجدهم كما كان للسلطان عبدالحميد دوره الهام فى خدمة الحرمين الشريفين من بناء المساجد وتعمير القديم منها وترميم الأسواق التجارية فيها ، كما أمر بإنشاء الآبار الكبيرة ليصب فيها زمزم ، كما قام بعمل العديد من الترميمات داخل الحرم نفسه ، ومن أهم المشروعات التى قام بها السلطان عبدالحميد هو مشروع " إنشاء سكة حديد الحجاز " يربط دمشق بالمدينة المنورة .

٨- دعاة الجامعة الإسلامية فى عهد السلطان عبدالحميد :

فى عهد السلطان عبدالحميد الثانى عاش الكثير من الدعاة الإسلاميين الذين نشأوا وتربوا تحت كنفه باعتباره سلطان الدولة وخليفتهم وقوتهم ، أصبحوا دعاة للإسلام ومستشارين لدى السلطان ومن أهم الدعاة والمصلحين :^(١)

١- الشيخ أبو الهدى الصيادى : كان من أشهر علماء الدين فى عصره ، وكان بمثابة المستشار الأول للسلطان عبدالحميد فى تنظيم أمور حركة الجامعة الإسلامية .

٢- مصطفى كامل باشا : كان داعية للجامعة الإسلامية فى مصر حيث استأجر قلمه وقدرته الخطابية فى الدعاية للجامعة الإسلامية .

٣- عبدالرشيد إبراهيم : من سبيريا كاتب وقاضى ورحالة كان يهتم بتبليغ الدعوة الإسلامية لليابانيين، فكان يدعو علماء المسلمين لنشر الإسلام وربط اليابانيين باستانبول عاصمة الخلافة ومقر الجامعة الإسلامية . وقد خدم عبدالرشيد إبراهيم فكرة الجامعة الإسلامية بتجواله الكثير فى البلاد الإسلامية وغير الإسلامية .

٤- جمال الدين الأفغانى : كان داعية للجامعة الإسلامية وينادى بوحدة المسلمين ، اعتبره بعض المفكرين فى العالم الإسلامى والغرب داعية إسلامياً لكن الرأى فى الأفغانى مختلف فيه لأن بعض دعاة الجامعة الإسلامية من الأتراك لا يعتبرون الأفغانى من دعاة الجامعة الإسلامية ، بل يرونه داعية للسياسة البريطانية لما كانت فكرة الجامعة الإسلامية منتشرة فى أنحاء العالم الإسلامى ، وكانت شغل العثمانيين الأول فقد استدعى السلطان عبدالحميد ، الأفغانى إلى استانبول كى يعاونه فى تحقيق فكرة

(١) انظر محمد حرب ، السلطان عبدالحميد الثانى ، مرجع سابق ، ص ١٧٢-١٩٤

الجامعة الإسلامية . لكن اكتشف السلطان عبدالحميد بعد فترة كما يقول في مذكراته أن الأفغانى يتعامل مع بريطانيا عدوة السلطان وعدوة الدولة العثمانية^(١) كما وجده يتعامل مع الشباب الإيراني المناهض لنظام الحكم فى إيران والذى اتخذ من استانبول مركزاً لنشاطه .

فقام السلطان عبدالحميد بالتحفظ على الأفغانى فى استانبول حتى مات الأفغانى ودفن بها .

أما مشايخ الطرق فى الدولة العثمانية فكانوا يعملون مستشارين للسلطان فى شئون الجامعة الإسلامية ، وقد برز من هؤلاء المستشارين الشيخ (أحمد أسعد) وكيل الفراشة الشريفة فى الحجاز ، والشيخ أبو الهدى الصيادى شيخ الطريقة الرفاعية، والشيخ ظافر الطرابلسى شيخ الطريقة المدنية ، والشيخ رحمة الله أحد علماء الحرم المكى^(٢) .

وقد تأثر بالسلطان عبدالحميد كثير من هؤلاء العلماء والقادة المسلمين أمثال الإمام سليمان حلمى (١٨٨٨-١٩٥٩) الذى تأثر به كثيراً وخاصة اهتمامه بالمدارس الإسلامية ونشر العلوم الإسلامية واهتمامه باللغة العربية واعتبارها لغة رسمية للدولة، ونتيجة لقرب هؤلاء الدعاة ورجال الدين من السلطان عبدالحميد وتأيدهم أعماله وأهدافه قامت إدارة المخابرات الفرنسية بشمال أفريقيا بوصف السلطان عبدالحميد بقولها : "يمكن للسلطان عبدالحميد - بصفته رئيساً للجامعة الإسلامية - أن يجمع من خلال ارتباطاته الوثيقة بالجماعات الدينية فى شمال أفريقيا - جيشاً محلياً منظماً يمكن أن يقاوم أى قوة أجنبية " .

وقد واجه السلطان عبدالحميد معارضات كثيرة لأعماله الإصلاحية فى الدولة ، وكان من هؤلاء المعارضين ، المعارضة اليهودية والمعارضة النصرانية ، كما واجهه معارضة أصحاب المذاهب الفكرية الوافدة من الغرب من قوميين وماسونيين وعلمانيين كما عارضه دعاة الإنسانية الأوروبية والعقلانيون الذين ينكرون الغيب .

٩- السلطان عبدالحميد والإمام سليمان حلمى :

من أهم معارضى سياسة السلطان عبدالحميد كانت جمعية "العثمانيين الجدد" ، و"جمعية الاتحاد والترقى" حيث كانت خلية سرية تكونت من مجموعة من طلاب المدرسة الحربية فى استانبول هدفها مقاومة حكم السلطان عبدالحميد ، وكان أغلب

(١) من الكتب التى دافعت عن جمال الدين الأفغانى ، انظر محسن عبدالحميد، جمال الدين الأفغانى المصلح المفترى عليه ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥ م .

(٢) محمد حرب، السلطان عبدالحميد، مرجع سابق، ص ١٧١-٢٢٧ .

أعضاؤها أعضاء فى المحافل الماسونية متأثرين بالفكر الماسونى ، وقد تبنت هذه الجمعية الأفكار الغربية المضادة للإسلام والفكر الإسلامى ، واستخدم هؤلاء الثوار الاتحاديون الدين لمحاربة السلطان⁽¹⁾ وإنتهى هؤلاء الاتحاديون إلى خلع السلطان عبدالحميد وأصبحت السلطة فى أيديهم ، وأصبح الخليفة بعد ذلك شكل بلا سلطة وتمثل هذا الأمر فيمن جاء من بعد السلطان عبدالحميد وهما محمد رشاد ثم محمد وحيد الدين ، إلى أن قامت الحركة الاستقلالية التى تزعمها مصطفى كما أتاتورك وقامت الجمهورية وتوالت إجراءات الحركة الكمالية من فصل للدين عن الدولة .

ومن محبى السلطان عبدالحميد والمدافعين عنه ومعاصره حكمه ، كان الإمام العالم والداعية الشيخ سليمان حلمى طوناخان ، الذى أحب السلطان عبدالحميد الثانى كثيراً ، وكان يوقره ويحترمه ويحز فى نفسه أن ينال منه الناس فى أقوالهم أو كتاباتهم. وكان الإمام سليمان يعتقد أن الحكم المشروطى سوف تعقبه كارثة فى حياة الدولة العثمانية وقد حدث هذا بالفعل .

فلم يمض أكثر من خمسة عشر عاماً على خلع السلطان عبدالحميد حتى أصبحت الدولة العلية العثمانية فى ذمة التاريخ . بعد ذلك بدأ العهد الجمهورى للدولة ومعها بدأ ما يعرف بفصل الدين عن الدولة ، على يد مصطفى كمال أتاتورك رئيس الجمهورية ورئيس وزرائه عصمت اينونو وإجراءاتهما التى اتخذتها الدولة منهاجاً ودستوراً لها .

وفى الصفحات القادمة نعرض دعوة الشيخ سليمان حلمى وجهاده الإسلامى ، ومعاصرته لكل من السلطان عبدالحميد الثانى وإصلاحاته الإسلامية ومصطفى كمال أتاتورك ونظامه العلمانى .

M. Sukru Hanioglu, Bir Orgut Olarak Osmanlı Ittihad ve Terakki Cemiyeti ve 1908
Türkler, 1889-1902, İstanbul, s. 437, 448, 465,

الفصل الثانى

الإمام سليمان حلمى طوناخان : حياته - أعماله

* مقدمة

- ١- حياته .
- ٢- المراحل الأولى من حياة الإمام .
- ٣- صفات الإمام سليمان حلمى .
- ٤- نشاط الإمام سليمان حلمى .
- ٥- الوسائل التى لجأ إليها الإمام لجمع الطلبة .
- ٦- موقف الإمام سليمان تجاه الحكومة .
- ٧- موقف الحكومة من الإمام سليمان حلمى .
- ٨- مدارس الإمام سليمان حلمى .
- ٩- تربية الإمام الإسلامية .
- ١٠- شخصية الإمام التصوفية .
- ١١- تلامذة الإمام سليمان حلمى .
- ١٢- آراء الإمام ونصائحه لتلامذته .
- ١٣- أعمال الإمام سليمان حلمى .
- ١٤- وفاة الإمام سليمان حلمى .

مقدمة :

الإمام سليمان حلمي من الشخصيات النادرة في عالمنا الإسلامي، فهو شخص متميز في إسلامه ، متميز في إرشاده ، متميز في شجاعته، وهو ذو الجناحين وصاحب اليد الطولى في علوم الظاهر والباطن . عمل في خدمة الإسلام طوال حياته التي بلغت إحدى وسبعين عاماً. ومن المؤسف أن هذا العالم والمرشد لم يعرفه الناس حق المعرفة وقد اشتهر كثيرون غيره كانوا أقل منه بكثير، سواء من وجهته الإسلامية الصحيحة أو الاشتغال بمنصب الإرشاد أو من ناحية الأثر الإسلامي الذي تركه في قلوب تلامذته ومحبيه . ولهذا السبب فإنه من الشرف أن أقدم للعالم الإسلامي ما تيسر لي عن التعريف به، ولن يكون حق المعرفة به ولكنه بعض الاجتهاد لفتح المجال بعد ذلك لكتابات أخرى أكثر تعريفاً وأكثر عمقا لشخصه وحياته وأعماله التي لا تزال تعيش بين أبنائه حتى يومنا هذا .

١- حياته : (١٨٨٨م-١٩٥٩م)

سليمان حلمي من طبقة العلماء الممتازين، جده هو "الحافظ قيقاق"، أسرته تنتسب إلى الجد الأكبر "إدريس بك" الذي ينتسب لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) وكان السلطان الفاتح في ذلك الوقت يبحث عن يرجع نسبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يزال على قيد الحياة، وحينما وجد "إدريس بك" زوجه أخته ونصبه خاناً أي أميراً لمنطقة "طونا" (الدانوب) ولذلك نجد أن لقبه طوناخان، وكلفه بجباية الضرائب. وبقي إدريس بك في منصبه هذا وخلفه من بعده أحفاده حتى جاء "عثمان بك" والد سليمان أفندي، وقد كانوا جميعاً من أهل العلم وأرباب القلب^(١) ومن هنا يرجع وجه الشبه الكبير الذي كان بين سليمان حلمي وبين جده السلطان محمد الفاتح .

أبو سليمان أفندي هو عثمان أفندي الذي درس في استانبول وعين مدرساً في مدرسة "ساطرلي" . رأى "عثمان أفندي" (والد سليمان حلمي) في منامه وكان قطعة من جسده تخرج منه وتصعد إلى السماء وتثير ما حولها. عندما استيقظ عثمان أفندي من نومه سأل عن تفسير هذه الرؤية ففيل له إنها تعبر عن أنه "سيأتي له ولد صالح ينشر الإسلام في العالم" .

(١) مصطفى أريقان، ماذا قالوا عن المجدد الكبير ، جريدة أفق ، رقم ٤٧٧

ثم تزوج "عثمان أفندي" وأنجب أربعة من الذكور هم فهمي ، وسليمان حلمي ، وإبراهيم ، و خليل . وأخذ يراقبهم من منهم سوف تتحقق رؤيته عليه .

٢- المراحل الأولى من حياة سليمان حلمي :

ولد سليمان بقرية "فرحاتلر" التابعة "لسليسترة" عام ١٨٨٨م. دخل سليمان حلمي مدرسة "ساطرلي" بسليسترة مع باقي إخوته ، وقد كان والده عثمان أفندي مدرساً فيها .

لاحظ عثمان أن سليمان ولده يتميز عن باقي إخوته بالذكاء والفهم وقابليته للتعليم والزهو ، فتوجه عثمان إليه يخصصه بالحب والرعاية والنصح ، وكان يعامله باحترام وهو لا يزال صبياً صغيراً في سنواته الأولى ، وكان يقول له : " تفضل يا بني يا سليمان أفندي" وكان سليمان أفندي يشعر بالخلج الشديد بمعاملة والده له بهذا الاحترام حيث كان صبياً صغيراً ، لكن والده كان يجد فيه اللور الذي رآه في المنام^(١) .

أتم سليمان حلمي دراسته الابتدائية في مدرسة "ساطرلي"^(٢) ، والإعدادية في مدرسة "سليسترة" وحتى يتمكن من تحصيل علوم عصره أرسله والده إلى استانبول مركز العلم والحضارة ، وقد زوده والده بثلاثة نصائح هي :

١- أن يكون مقتصدًا ولا يبذر ماله

٢- أن يبذل جهده ليتمكن من علم الأصول

٣- أن يدرس علم المنطق جيداً حتى يقوى في علمه

وعمل سليمان حلمي بنصائح والده فاهتم بدراسة علم الأصول والمنطق وتخصص فيهما . وحينما وصل سليمان حلمي إلى استانبول زار قبر السلطان محمد الفاتح قريبه بالمصاهرة من جهة جده الأكبر إدريس بك. وهناك التحق سليمان حلمي بمدرسة "الفتح" باستانبول ، وقد ارتضى أن يسكن الدور أسفل الأرض حيث لا ضوء ولا نافذة ، وقد رضى بهذا المكان حبا في الدراسة والعلم، وكان يدرس على يد الشيخ "أحمد أفندي البفراوي" الذي أحبه كثيراً وقربه إليه. وقد شد سليمان حلمي انتباه الجميع لفرط ذكائه وحبه للدراسة . ولشدة إعجاب الإمام بسليمان حلمي أراد أن يزوجه ابنته لكن "القدر الإلهي كان غير ذلك حيث إنها توفيت إثر وقوعها في بئر .

تزوج سليمان أفندي في استانبول من امرأه صالحة كان تدعى "خديجة" وبعد تخرج سليمان حلمي من مدرسة الفاتح التحق بمدرسة "دار الخلافة العالية" سنة ١٩١٣ وتخرج منها وكان من الأوائل ونجح في "امتحان مدرسة القضاء" وكان ترتيبه الأول،

(١) Nacip Fazil kısa Kurek. son Devrin Din Mazlumlari, Istanbul, s.264.

(٢) ufuk. Haftabk Siyasi. gazetc . ozel say.15 eylul. 1976. say. 371.s.8 (٢) مجموعة مقالات من صحف ومجلات مختلفة، وصورها موجودة بمكتبة مركز بحوث العالم التركي بالقاهرة .

وحينما علم والده نبأ تخرجه من الحقوق بالدرجة الأولى أرسل له برقية يقول له فيها : " يا سليمان ، اعلم أنني لم أرسلك إلى استانبول لتكون في النار " وكان والده هنا يذكره بحديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) "قاضيان في النار ، وقاض في الجنة"^(١) فلم يكن يريد لابنه أن يتولى منصب القضاء ، وقد كان رد سليمان حلمي في هذا الأمر أنه لم يكن يطلب منصب القضاء بل هدفه هو بلوغ مرحلة الكمال بالعلوم الدينية والدنيوية ، وقد أسعد والده جوابه هذا .

كان سليمان حلمي يبذل جهداً كبيراً من أجل تحصيل العلوم والبلوغ لهدفه الذي يتوق إليه ، كان يقاوم النوم في عينيه حتى نزلت ، وكان يحتسى المزيد من القهوة ليقرأ المزيد من الكتب ولا يغلب عليه النعاس . وفي ليالي الشتاء الباردة كان يتناول كمية من الثلج ويلقيها بين قميصه وظهره حتى يظل مستيقظاً ولا يضيع لحظة من عمره دون دراسة .

واصل سليمان حلمي دراسته حتى نال مرتبة كبير المدرسين في فروع التفسير والحديث والفقه . ثم تخرج من "مدرسة السلیمانیة" باستانبول فرع التفسير والحديث عام ١٩١٩م كما حصل على شهادة "مدرسة القضاء" فأصبح مدرساً عاماً^(٢) وكان صاحب اليد الطولى في علم الحقوق لكنه لم يقبل منصب القضاة ، درس سليمان أفندي القانون الروماني ، والقانون البحري والتجاري والقانون الدولي المقارن مع الشريعة الإسلامية في كلية السلیمانیة . قام بالتدريس عام ١٩٢١م لكن حياته التدريسية لم تستمر طويلاً حيث انتهت بإغلاق المدارس الدينية .

٣- صفات الإمام سليمان حلمي :

كان سيداً بلباسه النظيف البسيط ، وقور ، يدعو من يراه لأول مره إن يحترمه ويعظمه ، كان يقابل من يضايقه بابتسامه ومحبه وطيبة قلب ، كان يطعم رجال الشرطة الذين كانوا يأتون لتفتيش منزله ويأمر أهل بيته بحسن ضيافتهم . كان يفطر مع رجال الشرطة الذين يأتون للقبض عليه إذا كان يوم صيام فكانوا ينضمون لصفوفه

(١) ونص الحديث :

عن بریده رضی الله عنه عن النبی صلی الله عليه وسلم قال : " القضاة ثلاثة واحد في الجنة واثنان في النار ، فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق ف قضى به ، ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار ، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار " رواه أبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه (الترغيب والترهيب ج ٣ ، كتاب القضاء ، ص ٣١٣) .

(٢) المدرس العام يوازي مرتبة الاستاذ في الجامعة ، وكان لهالحق بمنح اجازة علمية (اجازتنامه) لتلامذته بعد اجتيازهم لامتحانات التي يعقدها لهم والتي تعطيهم حقالتدريس بعد الحصول عليها .

ويصبحون من تلامذته . كان شديد العطف والشفقة خاصة على أبناء الطلبة حتى انه إذا مرض أحدهم كان يذهب به إلى الطبيب بنفسه .

كان يحب النكته ويلقيها على طلابه وأهل بيته . كان يواجه الشدائد بوقار وصبر ويقين ، لم يعرف اليأس يوماً ، لم يهدف يوماً إلى تحقيق غاية أو منصب دنيوى ويقول : " نخدم الدين والإسلام ونقبل أن نكون عند أحذية المسجد كان ينفق كل ما يتقاضاه من راتبه على تلامذته . كان عابداً مؤمناً ، يتهجّد الليل ، ولا يفوته صلاة الضحى وصلاة الأوابين ، كان يقرأ قبل وبعد صلاة الفجر أوراده وأذكاره .

كان مرشداً كاملاً ، وعالماً عاملاً ، ومجدداً وإماماً إلى جانب كونه إنساناً محترماً وعظيماً .

كان عذب الحديث لا يتكلم فيما لا حاجة له ، يتحاشى الإكثار من تناول الطعام . يقول الكاتب والاديب نجيب فاضل عن سليمان أفندى " تعرفت على سليمان أفندى عام ١٩٤٦م ومن النظرة الأولى أدركت إنني أمام مثقف حقيقى طاف كثير من البلاد ومفكر مسلم^(١) .

أما رؤية المراقب السابق لدار إفتاء استانبول "مناسترلى سليمان " فهي إن سليمان أفندى حينما يتناول تفسير مسألة فهو يستند فى أحاديثه على القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة" ، دائما يقرأ اللغة العربية كان مدرسا عثمانيا بكل ما تحمله الكلمة من معان"^(٢) .

أما "محمد امره" مفتى سابق يحكى عن أستاذه قائلاً : لقد تصدى أستاذي للظلم الذى وقع عليه فى حياته بالعلم والحلم ، وكان يدعوا بالخير لمن ظلمه^(٣) .

٤ - نشاط سليمان حلمى بعد حياته الدراسية والظروف التى أحاطت به :

لم يمهل القدر سليمان حلمى أفندى من مواصلة خدماته الدينية بصورة علنية ورسمية عن طريق المدارس . وقد كان يعمل ويخدم فى وقت تسود الدولة الفوضى والاضطرابات . وقد وقع الانقلاب العثمانى عام ١٩٠٩م وهو ما يزال طالباً فى المدرسة . فكان من معارضى الانقلاب ومن مؤيدى الخلافة وكان يرفض كل ماله علاقة بالتغريب .

Onser Yegin, Suleyman Hilmi Tunahan ve Tasavvufi Sahsiyeti, Dokuz Eylul Universitesi (١)
Ilahiyat Fakultesi, p. 12.

Onser Yegin, a.g.e., p. 12. (٢)

Onser Yegin, a.g.e., p 14. (٣)

ومن الغريب ان فى ظرف خمس سنوات من حصول سليمان حلمى على اجازة التدريس حدثت فى حياة التركية احداث فيصلية هى : تكوين مجلس الامة الكبير ، والغاء السلطنة وانتهاء الدولة العثمانية من الوجود ونفى السلطان محمد وحيد الدين ، واعلان الجمهورية وتنفيذ قانون توحيد التدريس او توحيد المدارس وجعلها كلها تحت سلطة واحدة .

وحينما قدم واصف بك عضو مجلس الامة التركى عن " صاروخان " ومجموعة من زملائه قانونا إلى مجلس الامة يقضى بالغاء المدارس الدينية على كل مستوياتها وكذلك كل مؤسسات التعليم الدينى فى البلاد وجعل التدريس والمدارس كلها تابعة للدولة ولسياستها " العلمانية " عام ١٩٢٤ م .

كانت جمعية المدرسين الدينيين فى البلاد تضم ٥٢٠ مدرسا . وكان يعنى هذا القانون فصل كل هؤلاء المدرسين وارادت الدولة ان تعينهم فى اماكن ووظائف اخرى هم اكبر علميا من مستواها مثل ائمة فى المساجد او وعاظا وارادت احالة بعضهم إلى التعاقد . واستجاب اعضاء هذه الجمعية إلى الامر الواقع الا سليمان حلمى فقد احس ان هذا معناه ان يفقد الاتراك العلوم الدينية والعلوم القرآنية^(١) .

واصل سليمان حلمى خدماته الإسلامية والتعليمية فعمل واعظاً فى مساجد السلطان أحمد والسليمانية والجامع الجديد وشهرزاده باشى وقاسم باشا وكثير من المساجد الأخرى ولم يخل مسجد فى استانبول من خطب الإمام سليمان حلمى ومواعظه .

فى هذه الأثناء حذر سليمان حلمى زملاءه المدرسين من خوفهم من الحكومة واستسلامهم للأمر الواقع فدعاهم وخطب فيهم قائلا: "إخواني المدرسين إنكم هذا اليوم ضمانة الدين فى هذا البلد فعددنا خمسمائة تقريبا . فلو قام كل واحد منا بتعليم أمور الدين لثلاثة أشخاص فى البيوت لامكننا ان نربى الفا وخمسمائة شخص تربية دينية إسلامية . فيمد الله بهم من عمر الإسلام خمسين عام على الأقل وهو عمل جيل أو جيلين " . وكان يحثهم على الا يخشوا فى الله لومة لائم^(٢) .

فاقتنع البعض وبعثوا برقية إلى الحكومة قالوا فيها :

"نعلم ان دولتنا خرجت من الحرب قبل وقت قصير وشعبنا فقير والدولة لا تتحمل المصاريف " إننا مستعدون لتعليم أبناءنا العلوم الدينية بلا مقابل " فأجابتهم حكومة

(١) Ali Ural, Genel Yayın Yönetmeni, Sahabeden Gunumuze Allah Dostlari, C. 10, Istanbul, 1996 s.69, Yazarlar Osman Bulent Manar ve Seyfettin Kurt.

(٢) مجلة كينج اقامى ، العدد الخاص عن سليمان حلمى طوناخان، عدد رقم ٢٧، استانبول، ١٩٩٥م، ص ١٧. و Ali Ural, a.g.c., s. 70.

انقره قائلة " ، " لقد تم قبول قانون توحيد المدارس وكل عمل يخالف هذا القانون يستوجب العقوبة الشديدة " .

فقرر المدرسون عند ذلك إن التدريس غير ممكن في ذلك الوقت^(١) . وفي هذه اللحظة قرر سليمان حلمي العمل بمفرده رغم المخاطر والعقبات فأول ما قام به هو تدريس الطلبة خفية، حيث اعتبر نفسه مسئولاً أمام الله في تعليم دين الإسلام للطلابين له وكان يقول انه يخشى يوماً يسأله الله فيه ويقول له: يا سليمان ماذا فعلت بالعلم الذي أعطيتك من الخدمات ، هل أعطيتك العلم لتدفعه في الأرض ؟ فماذا أجيب ؟ وكان ينتقد العلماء في عصره ويقول: كيف يدعون هؤلاء بأنهم ورثة الأنبياء وهم عاجزين عن تعليم أولادهم^(٢) . وكان سليمان حلمي يبحث عن أحد يعلمه فلا يجده ، لأنه كان يخشى الحكومة فبدأ بتعليم ابنتيه في البيت على أن تقوموا بتعليم زوجيهما وأولادهما ففتنعا نفسيهما وأسرتهما .

٥ - الوسائل التي لجأ إليها سليمان حلمي لجمع الطلبة :

ولقد واجه الإمام سليمان حلمي صعوبات كبيرة في جمع الطلبة وتعليمهم لكن ما لبثوا أن انجذبوا إليه وارتبطوا به ارتباطاً وثيقاً حيث كان يشعل في قلوبهم حب الدراسة .

كان إذا مرض أحد تلامذته يذهب به إلى الطبيب بنفسه . وكان يدفع الإمام سليمان حلمي أجراً لطلبته على تعليمهم وذلك من أجل تشجيعهم لخدمة الإسلام . وقد استحدث هذه الطريقة (صرف اجر للطالب) وظل ملتزماً بها^(٣) .

كان حتى مماته يحل مشاكل تلامذته ويعددهم (إعداداً نفسياً ومعنوياً). كان آبار رحيمًا وأستاذًا مربيًا . وكان يشجع تلامذته على تعلم دين الله ويقول لهم إن دين الله شرف لا يعلوه شرف في الدنيا والآخرة. وكان الطلبة يأتون إليه من قرى الأناضول للدراسة وهم في زى الفقراء فيعودون إلى أهليهم وكانهم من أغنياء استانبول^(٤) .

أما الوسائل التي اتخذها الإمام سليمان حلمي لتعليم أبنائه :

١ - تبديل المكان باستمرار :

كان الإمام سليمان حلمي يعطي الدرس لطلبته فكان يدرس يوماً في غرفة المؤذن في جامع شهرزاده باشي ويوماً آخر في بيت أحد أتباعه في أحد أحياء

M. Fatih Sarac, Milli Gazete, Eylul 1992.

(١)

Erd Ali, Hatiralarim, Ankara,s. 726.

(٢)

Erol Ali, a.g.c., s. 6.

(٣)

Ahmed Akgunduz, Tabularr Yikiliyor , c. 2, s. 69.

(٤)

استانبول . كما كان يجمعهم في أقبية العماير . وقد لجأ الإمام إلى تعليم الطلاب في الأدوار السفلية من المباني ويقول لهم : " المهم إن تتجح دعوتنا ولا نهتم بالمناصب ونقبل إن يصبح مكاننا مكان الأحذية في المساجد " وكان يدرس لهم كل يوم في مكان مختلف عن سابقة ويقول لهم " علمتكم ونقلتكم من مكان إلى مكان كالقطة التي تنقل صغارها ، ولم يكن الإمام يتقاضى شيئاً نظير عمله وكان يعيش على الكفاف^(١) .

استئجار المزارع :

كان الإمام سليمان حلمي يستأجر مزرعة "قاباقجا" ويخبئ طلابه في زى العمال يزرعون الأرض في الصباح ويبدعون درسه في المساء وحينما كانت تكتشف الشرطة مكانهم كانوا يحملون كتبهم ويذهبون إلى مكان آخر .

إرسال طلابه خارج البلاد وإعدادهم كدعاة :

كان ينصح تلامذته بالذهاب إلى مختلف أنحاء البلاد وخارجها فيفتحون دور القرآن ويعلموا أولاد البلد التي يذهبون إليها وكان يوصيهم بقوله : " اذهبوا إلى مناطقكم وافتحوا دور القرآن والمساجد للطلاب هناك وعلموا أولاد أمة محمد صلى الله عليه وسلم كتاب الله ودينه . فإذا قمتم بما أقول فأنا داع لكم وإلا : فإني ممسك بخناقكم "^(٢) .

٦- موقف الإمام سليمان حلمي تجاه الحكومة :

شهدت تركيا في العهد الجمهوري عدة إجراءات اتخذها مصطفى كمال أتاتورك لإزالة كل اثر إسلامي أو تراث قديم للدولة العثمانية وتترك كل ما هو عثماني أو عربي وذلك لإزالة الصلة التي تربط بين الإسلام والدولة والوصول إلى الهدف المطلوب ألا وهو فصل الدين عن الدولة .

كان الإمام سليمان حلمي من بين علماء الدولة المسلمين الذين رفضوا إجراءات الحكومة وكل عالم كان له أسلوبه وطريقته إلا أن الإمام سليمان حلمي اتجه بكليته نحو دراسة القرآن الكريم وتحفيظه واتخذ الوسيلة الوحيدة لإنقاذ المسلمين من ضياع إسلامهم وثقافتهم التي تربوا عليها قبل ذلك . وقد كان الإمام سليمان حلمي أهلاً لتدريس العلوم الدينية واختار التدريس للطلبة على الرغم من الضغوط التي كانت تمارسها الحكومة آنذاك في وقت كان الناس يخشون نطق كلمة التوحيد فقد كان الجو الإرهابي سائداً حتى ان الناس منعت من أداء أركان الإسلام أو ختم القرآن أو الصلاة وكان المسلمون يخفون إسلامهم .

(١) هدى درويش ، جريدة الأحرار ، الشيخ سليمان حلمي وإحياء الإسلام في تركيا ، عدد ٢٠٠٣، ٧/١٩٩٧م

(٢) Ibrahim Suymeli Er, Suleyman Hilmi Tunahan Tasavvufi Sahsiyeti, Diploma Calismasi, Atatürk Universitesi, Ilahiyat Fakultesi, Arzum, 1996, s. 19.

وقد تحدث وزير الداخلية فى إحدى جلسات مجلس الأمة الكبير قائلاً:

"إن الأديان مؤسسات انتهت مهامها ولم تستطيع أن تجد لها عضوية أو حياة".

وقد حدث أن طالب أحد النواب البرلمانيون تطبيق الدروس الدينية كعمل مضاد لخطر الشيوعية . فما كان من " رجب بكار" رئيس الوزراء فى ذلك الوقت أن قال له: إن هذا الأمر يعنى التداوى بسم آخر قاتل مثل سم الشيوعية". وقد اعتبر رئيس الوزراء أن تطبيق الدروس الدينية الإسلامية هى سم قاتل .

وفى ٣ مارس ١٩٢٤ صدر قانون يقضى بإحالة كافة المؤسسات التعليمية التابعة للوزارات المختلفة إلى وزارة التعليم القومى وهو قانون توحيد المدارس الذى يهدف إلى تركيز السيطرة العلمية فى سلطة واحدة .

وكان الإمام سليمان حلمى ضد إلحاق مدارس الأئمة والخطباء بوزارة التعليم الوطنى وعارض ربطها برئاسة الشئون الدينية .

وقد اغلق مجلس الأمة الكبير عدد ٤٦٥ مدرسة علمية ، و ٢٩ مدرسة من مدارس الأئمة والخطباء .

وكانت الحكومة تنزل أقصى العقوبة على من يتولى مهمة تدريس الدين بصفة غير رسمية .

وقد أدت هذه الإجراءات إلى بطالة نحو ٥٢٠ مدرس اجبروا على التقاعد وقد استسلم أكثرهم للأمر الواقع على الرغم من تنبيه الإمام سليمان لهم بأن يعلموا أبناء المسلمين لو تركوا هذا الأمر فسوف يسألوا أمام الله عليه، ولكن للأسف لم يجد صدى فقام بالجهاد فى هذا الأمر بمفرده . وكان ذلك العهد هو عهد الحزب الواحد وكان التدريس يقابل بأقصى عقوبة^(١) .

وقد أعلن المدرسين وقتذاك أن التدريس لم يعد وسيلة للكسب قائلين "فلنودع هذه المهنة" إلا أن سليمان حلمى أجابهم غاضباً أن التدريس ليس سلة خبز فهى تبليغ كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم للناس . وهكذا بدأ كفاح سليمان حلمى فى خدمة الدين^(٢) .

وقد تحدث الإمام سليمان حلمى عن هذه الفترة قائلاً: "لم أجد من ادرس له. وقد جاء يوم تمنيت أن أدفع للطالب راتب نائب كى أدرسه ، لكن لم أجد ذلك الطالب ، كانوا

(١) Onser Yegin, Suleyman Hilmi Tunahan ve Tasavvufi Sahsiyeti, Diploma Calismasi, Dokuz Eylul Universitesi, Ilahiyat Fakultesi, s. 17,18,19.

Ibrahim Suymeli Er, a.g.e., s. 9.

(٢)

يخافون ، وصرت أخاف من زوال هذه العلوم من على وجه الأرض . فبدأت بتدريس بناتي على يعلمن أحفادي ثم بعد ذلك خلق الله الأسباب ، وبدأت أدرس للكحول وبعد ذلك جاء الشباب " .

وكانت تعقد الجلسات لتداول المسائل الدينية وكانت تجمع المحامي والتاجر والشيخ والخياط وتتشكل حلقات الدرس وكانت الشرطة تتعقبهم فتقوم باعتقالهم واستجوابهم وتعذيبهم واضطهادهم فكانت كل ما تكتشف الشرطة وجودهم في مكان ينتقلون إلى مكان آخر وكان الإمام سليمان حلمي يقول : " ليس التعب يضئنا ولا الإزعاج يثئنا ، سنسارع إلى نداء التعلم والتعليم والخدمة حتى وإن أدى بنا إلى الموت " .

أما بخصوص ثورة الحروف وتغييرها من العربية إلى التركية فلم يؤيدها سليمان أفندي بل انزعج منها كثيراً فقد عبر عنها بقوله :

" إن أضر ما يكون بالإسلام والإيمان والعادات والتراث والصناعة والتجارة والزراعة إن تلغى الحروف الإسلامية على هذا النحو الذي شاهدناه" وتغيير الحروف كان يعنى قطع صلة الإنسان بماضيه وثقافته وترك الكتب العلمية والفكرية التي لا تقدر بثمن على الرفوف نهبا للغبار أو التلف والأسوأ من هذا هو فقدان الهوية الأصلية^(١) .

وفي هذه الفترة قامت أحداث كثيرة أثارت حفيظة المسلمين حيث كانت الشرطة تقوم بتعليق العلماء على أعواد المشانق كما أحرقت المصاحف والكتب الدينية ودفنت بعضها في الأرض. وفي ذكرى تأسيس الجمهورية العاشرة قامت الشرطة بجمع المصاحف والكتب الدينية ووضعها على الإبل ليشدها رجل يرتدي زي أعرابي يقوم يجرها نحو الجزيرة العربية وقد علقت على رقاب الجمال لافتة تحمل عبارات تقول: "جاءت من الصحراء ولتعد إلى الصحراء" وجاءت من العرب فلتذهب إلى العرب" وغيرها من العبارات الاستفزازية. وحولوا الأذان إلى اللغة التركية. ولم يجد الناس من يصلي بهم الجنازة أو صلاة العيدين . فاختلف عوام المسلمين من الناس خوفاً أو جهلاً^(٢) .

Ibrahim Suymeli Et, a.g.c., s. 12.
Ibrahim Suymeli Er, a.g.c., s. 14.

(١)
(٢)

٧- موقف الحكومة من الإمام سليمان حلمى والمصاعب التى واجهها فى سبيل دعوته :

كان الإمام سليمان حلمى يخاطب رئيس الوزراء عدنان مندريس فى مواظمه ويقول له : "يا مندريس افتح آيا صوفيا ، وليكن هذا الشرف من نصيبك، لكن مندريس لا يسمع هذا الخطاب أو يسمع فلا يفعل شيئاً. وقد سيق الإمام سليمان حلمى إلى سجن كوتاهية فى مؤامرة دبّرت له فى "بروسة" عرفت باسم "المهدية" وكان مضطهداً من قبل الحكومة أيما اضطهاد حتى بعد موته، فعند دفنه قال "تامق كديك" وزير داخلية حكومة الحزب الديمقراطى التى يرأسها مندريس : "لن نسمح بنقله إلى الجهة المقابلة، سيدفن فى حفرة حفرها رجال الشرطة بمقبرة قراجة أحمد " وكانت الحكومة قد رفضت طلبه بدفنه بجوار جده السلطان محمد الفاتح على الرغم من حصوله على كافة الأذونات لأجل هذا الغرض .

وعلى الرغم من معارضة الإمام سليمان حلمى للحكومة ورئيس وزرائها عدنان مندريس إلا أنه لم يفكر فى تكوين أى تنظيم سياسى، وكان طلابه يصوتون فى الانتخابات ومنهم من ترشح للنيابة ورئاسة البلدية ، ويعبر عن هذا قول الإمام سليمان : " ظاهراً مع الخلق ، باطننا مع الحق " .

لكن فى الوقت نفسه كانت له مواقفه تجاه قضايا المسلمين فى العالم ، وفى الجزائر كان لسليمان حلمى موقفه الحاسم مع مسلمى الجزائر الذين كانوا يكافحون لنيل استقلالهم من الاحتلال الفرنسى ، فقد نادى تركيا بمؤازرة مسلمى الجزائر ضد الفرنسيين ، ومن خلال خطبة له فى المسجد قال فيها :

"يجب علينا أن ندعو لإخواننا الجزائريين ، فنكون بذلك عوناً لهم" إن مسلمى الجزائر ساعدونا فى حرب الاستقلال وتبرعت النساء والجزائريات بحليهن وأساورهن وخواتمهن" وقد لقي خطابه هذا صدى واسعاً لدى مسلمى الجزائر " وبسبب مقولته هذه فى حق الجزائريين لنيل استقلالهم فقد تعرض لمساءلة الشرطة والتحقيق معه. وقد جاء فى دفاعه عن نفسه فى هذا التحقيق ما يلى على حد قول سليمان حلمى : " من خلال تعرضى فى الحديث عن حروب الجزائر ذكرت أن إخواننا الجزائريين قدموا لنا مساعدات خلال الأيام العصيبة من حرب الاستقلال التى خضناها فى الأناضول، وإننا مدينون لهم بمساعدتهم بالدعاء " . لقد رفعت أيدى بالضراعة قائلاً : اللهم انصر إخواننا فى الدين على الفرنسيين الظالمين" لكنى لم أتطرق إلى موضوع قيام الصحافة بالدعوة إلى تقديم مساعدات سواء مالية أو غيرها ، ولم أتحدث إلى الصحفيين فى هذا الأمر" وهكذا نرى أن دعاء سليمان حلمى للمسلمين كان يؤدى به إلى سلسلة من التحقيقات واستدعاءات الشرطة له .

وقد تعرض الإمام سليمان حلمي للاعتقال أول مرة عام ١٩٣٩م حيث أخذته الشرطة من منزله واعتقلته ثلاثة أيام ، تعرض خلالها للتعذيب داخل زنزانه ، ثم اقتيد إلى محكمة الجنايات التي أمرت بإطلاق سراحه^(١) .

ثم أقيل من عمله في الوعظ لأنه تكلم كلاماً يتعارض مع مبادئ العلمانية التي اتخذتها الدولة ، وكان ذلك في الفترة من ١٩٣٩م - ١٩٤٠م ثم أعيد إلى عمله مرة أخرى عام ١٩٥٠م وذلك بعد سلسلة من التحقيقات .

وفي عهد "عصمت اينونو" اعتقل مرة أخرى وألقي في زنزانه لمدة ثمانية أيام تعرض خلالها لأنواع من العذاب ، حيث كانت زنزانه تضاء بمصابيح شديدة القوة تمنعه من النوم أو مجرد النظر ، وكانت الأرض ترش بصفائح المياه التي لا تعد ولا تحصى ، وذلك كي يصاب بأمراض الرطوبة وبالفعل فقد أصيب بالروماتيزم . وبعد معاناة حكمت المحكمة ببراءته من التهم الموجهة إليه .

وفي عام ١٩٣٦م علمت الشرطة باستجواره مزرعة "خالد باشا" ليقوم بالتدريس فيها لطلابه ، فاضطر لتغيير المكان حتى إنه أخذ طلابه وصعد بهم إلى قمة جبل يسمى "قوش قايا" بجبال سترانجه ، ولكن الشرطة لحقت به مرة أخرى هناك فقبضت عليه واقتادته إلى المركز لاستجوابه. كان الإمام سليمان مراقباً مراقبة مستمرة من قبل رجال الشرطة ، وقد حدث في يوم من أيام رمضان أن أخذ الإمام سليمان الشرطي المكلف بمراقبته إلى منزله وقال له: يا ولدي إنني أعلم أنك صائم فلنظف معاً ثم تعود إلى عملك مرة أخرى ، وحينما اعترضت زوجته على ذلك قال لها: إنه موظف يقوم بما تمليه عليه وظيفته ، وقد أثر هذا الموقف في نفس الشرطي تأثيراً قوياً حتى إنه التحق بطلاب الإمام وأصبح من أتباعه .

وفي عهد الحزب الديمقراطي دبرت مؤامرة للنيل من سليمان حلمي ، وقد دبرت من قبل "جلال بايار" رئيس الحزب الديمقراطي مع "عصمت اينونو" واشترك في التخطيط لها كل من "نامق كديك" وزير الداخلية "وأحمد إحسان غورصوي" نائب كوتاهية وصهر "جلال بايار" كما اشترك في تنفيذها عدد من السوالة والبيروقراطيين ورجال الشرطة السرية. وعرفت هذه المؤامرة "بأحداث منمن". وكانت أحداث هذه المؤامرة هي أنه في يوم الجمعة توجه بعض الرجال إلى المسجد الكبير وأخذ أحدهم السيف من يد الخطيب وصرخ : "أنا المهدي" وصار آخرون يهتفون: "جاء مهدينا" فعمت الفوضى وأخذ شرطي يطلق النار في الهواء ففرقت الجموع وانفضت صلاة الجمعة في ذلك الوقت ، وصدرت الصحف في اليوم التالي معلنة : "ظهور الرجعية"،

وتم القبض على أتباع الإمام سليمان واعتقلوا الإمام سليمان حلمى وزوج ابنته "كمال قاجار"، وسبقوا إلى سجن كوتاهية حيث بقى الإمام سليمان هناك مدة تسعة وخمسين يوماً ثم حكمت المحكمة ببراءته من هذه التهمة. وبعد الحكم قال سليمان حلمى لهيئة المحكمة : أشكركم لأنكم أنجيتموني من الإعدام التدريجي^(١). وقد أثرت هذه الأحداث على الإمام سليمان تأثيراً قوياً ، حتى إنه عبر عن هذه الفترة التى قضاها فى سجن كوتاهية بقوله: " لم أر الشمس فى النهار ولا النجوم فى الليل طوال فترة شهرين ، لكنى أحمد الله ولا أشتكى لأن كل هذا فى سبيله". وقد طلب منه أبناؤه أن يستريح بعد هذه الفترة التى عانى فيها العذاب خلال شهرين، لكنه رفض طلبهم قائلاً لهم : "يا أبنائى ، سنعوض - إن شاء الله - ما فاتنا خلال هذين الشهرين"، وقد ضحى الإمام سليمان بصحته وحياته من أجل خدمة الإسلام والمسلمين^(٢).

٨- مدارس الإمام سليمان حلمى :

قامت الحكومة عام ١٩٤٩م بفتح المدارس الدينية وذلك نتيجة لضغط المسلمين، وبعد وصول الحزب الديمقراطي الحكم عام ١٩٥٠م بدأت النشاطات الإسلامية تتطور ، وتحقق حلم الإمام سليمان حلمى وصار التعليم يدرس فى مدارس رسمية بعد أن كان التعليم يقتصر على غرف المؤذنين ، وفى المزارع ، وعلى رؤوس الجبال، وفى الأدوار السفلية من العمائر . كان يعلم الناس وقت لم يكن هناك إمام المسجد وكان الموتى ينتظرون من يدفنهم ، وكانت نشاطات سليمان حلمى تحت المراقبة والتفتيش المستمر . ويرجع تاريخ افتتاح أول مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم التابعة لجامعة الإمام سليمان حلمى إلى عام ١٩٥١م وكان هذا بشكل غير رسمى ، أما أول مدرسة لتحفيظ القرآن على منهج الإمام سليمان فقد كان رسمياً عام ١٩٥٢م . وبافتتاح هذه المدرسة صار يرسل طلابه المتفوقين إلى الأناضول ، ويطلب منهم أن يفتحوا مدارس هناك ويقوموا بمهمة التدريس فيها ، وكان يتابع نشاط طلابه فى فتح المدارس على خريطة تبين له كافة الأماكن التى فتحت فيها هذه المدارس^(٣).

وقد وجه تعليمه إلى الناشئين لتدريس القرآن وحفظه، فتتكون النواة وتتوارث الأجيال تعليمه فيضمن استمرار الإسلام ودوامه فى القلوب .

وقد كان الإمام سليمان حلمى شديد الحرص على افتتاح مدارس القرآن فى الأناضول ، وإذا سمع خبر افتتاح مدرسة من المدارس فى أى مكان كان يقوم ويسجد

Ibrahim Suymeli Er, a.g.e., s. 35.

(١)

(٢) جريدة مللى ، ذكريات مع سليمان ألدنى، استانبول ، ١٩٩٢م ، ص ٣ .

Sahin Merlut, Genc, Akademi Dergisi, Istanbul, Akim, 1995, s. 11 .

(٣)

شكراً لله . وكانت رئاسة الشؤون الدينية تقيم مسابقات للوعظ والإفتاء ، فكان الإمام سليمان يرسل طلابه للاشتراك في هذه المسابقات ، فكان طلابه هم الذين يتفوقون على باقي الشباب على الرغم من صعوبة الأسئلة في الفقه وعلم الكلام والمنطق والتفسير والنحو والصرف والمواريث والحديث. وحينما كانت اللجنة الفاحصة تسأل أحد المتفوقين وتقول له : من الذى علمك ؟ فكان الجواب : سليمان أفندى ! عندئذ أراد رئيس الشؤون الدينية فى ذلك الوقت وكان "أيوب صبرى خيرى أوغلو" ، "وحسن حسنى أردم" الذى خلفه فيما بعد وباقي أعضاء اللجنة "حسن فهمى أوغلو" ومحمد شهيد أوران " وإسماعيل حقى أزهرلى " ومحمد عاصم كوكسال وغيرهم ، أرادوا زيارة الإمام سليمان حلمى ورؤية ذلك المعلم الفذ الذى خرج على يديه هؤلاء المتفوقون^(١) .

وقد تخرج طلاب من أبناء الإمام سليمان شغلوا مناصب هامة فى الإفتاء والوعظ لدى رئاسة الشؤون الدينية ، ومنهم " حسنى يلماز " والذى كان مفتياً لمدينة "باليكسیر" وعمره ثمانية عشر عاماً .

وقد جاء على عناوين الصحف خبر يقول " تعيين أصغر مفتٍ لباليكسیر " وهو أحد أبناء الإمام سليمان حلمى .

وجاء وصف هذه المدارس على حد قول الأستاذ نجيب فاضل الكاتب والشاعر والمفكر الإسلامى الشهير : "عرفنى سليمان أفندي على هؤلاء الطلبة فدهشت لأمرهم كمن يدهش من العثور على كنز فى حديقة بيته ، كنت أظن أن عمل هذه المدارس هو التكرار والحفظ ، لكنى رأيت أن هذه المدارس بأيدي مسئولين أطهار ، هم مهرة فى تعيين هدفهم وتشخيص مشاكل مجتمعهم ، ويمكن أن أقول إنه لا توجد فى تركيا مؤسسة مثلها فى الوحدة والحجم. والرباط الذى يربط هؤلاء الأشخاص هو الشريعة، والمدارس القرآنية هذه تستمد قوتها من هذه الرابطة ، وإننى إذ أعتبرها أنقى وأصفى العروق فى الجيل الإيمانى الجديد فمرجه هو هذا الرباط"^(٢) .

وكان نجيب فاضل يقول أيضا : "من المؤسف أن بعض العناصر التابعة لرئاسة الشؤون الدينية كانوا يشعرون بالضيق من هؤلاء الشباب، فعملوا على إبعادهم عن المؤسسات التابعة للشؤون الدينية فاضطر بعضهم إلى الاستقالة " .

وقد عارضهم نجيب فاضل بقوله: "إن الذين يتناولون على المجموعة المعروفة فى مجال التعليم الدينى بالسليمانيين ويعرقلون نشاطاتهم ما هم إلا ردود أفعال ناتجة من البعد عن الحقيقة والحسد وعدم الثقة بالنفس" .

Suymeli Er, a.g.e.,s.22 .

(١)

Necib Fazil, Onlar ve Ben, Ufuk Dergisi, Sayi, I,Istanbul,1969, s. 1-5.

(٢)

كانت هذه المدارس منتشرة في كل مدينة وكل قرية وكل حي، وهي على قدر كبير من النظام والانتظام والرابطة الأخوية بين الطلبة .

ومن الأمور التي أدهشت الجميع في هذه المدارس هي طريقة تعليم العلوم القرآنية في فترة قصيرة وعلى أكمل وجه . وكان منهج الإمام سليمان حلمي في التدريس يختلف عن مناهج المدارس الأخرى ، وكانت تتلخص في التطبيق الذي يساعد على تنشيط الطالب وتنشيطاً مستمراً ، وكانت طريقة الإمام سليمان في التدريس أن يجعل الطالب يقرأ الدرس بنفسه ، وتكون مهمة المدرس هي إكمال نواقص الطالب، فيكتسب الطالب ثقة بنفسه، وتكون المادة أكثر رسوخاً في الذهن^(١) .

كان سليمان أفندي يقوم بالتدريس لطلابه من أمهات الكتب العربية مثل تدريس المدارس العثمانية ، وكان يقوم بتعليم الإسلام باللغة العربية التي هي المصدر الأصلي للعلوم الإسلامية ، ولم يصرف وقته في تأليف الكتب حتى يتمكن من قضاء كل وقته في تعليم طلابه الإسلام وخدمة الإسلام .

وقد سئل عن الأسباب التي جعلته يتحاشى تأليف الكتب فأجاب :

"نحن نعلم ما نعلمه للأجيال فتقوم هذه الأجيال بتأليف الكتب ، نحن نعد الآثار التي تؤلف الكتب ، وقد رأيت بعض الكتب التي لا تقدر بثمن دفنت في التراب وتلفت ، فخير لنا أن نربي طلاباً يفهمون الكتب العلمية ويفهمونها لغيرهم ، فينقلون العلوم من السطور إلى الصدور " .

وهناك سبب آخر لعدم تأليفه الكتب هو أنه خشى على طلابه من أن ينصرفوا إلى قراءة كتبه ويفضلونها على قراءة القرآن ، فيهجرون القرآن ولهذا صرف النظر عن الكتابة^(٢) . ويقول سويلي ار في هذه النقطة : (كان بمقدور سليمان أفندي أن يعكف على تأليف الكتب التي تملأ المجلدات ، وهو أهلاً لذلك لكن هناك أسباب جعلته يتحاشى تأليف الكتب وذات مرة سأله عن عدم تأليفه الكتب ، فأجاب نحن لا نريد أن نؤلف الكتب ونجعل مؤلفاتنا معرضة للتلف على الرفوف . بل نعلم ما نعلمه للأجيال فتقوم هذه الأجيال بتأليف الكتب فوجدت أنه خير لنا من أن نؤلف كتباً في زمان أغلقت فيه المدارس الدينية وتغيرت حروف الكتابة ، وتعرض الدين والعلم والثقافة للزوال ، أن نربي طلاباً يفهمون الكتب العلمية المكتوبة ويفهمونها لغيرهم ، وينقلون العلوم من السطور إلى الصدور ، ويطبقونها في حياتهم .

وسبب آخر نذكره لعدم تأليفه الكتب هو أن الأستاذ كان يدرس طلابه العقائد فبدأ يملئ كتاباً سيكون مهماً جداً ، وبعد كتابة أربعين صفحة حدث توقف في الإملاء ، فلما

Suymeli Er, a.g.c., s. 33

(١)

Suymeli Er, a.g.c, s. 38

(٢)

سألاه عن عدم الإستمرار أجاب الإمام سليمان قائلا : سمعت أن البعض (وقصد بعضاً من أتباع الشيخ سعيد النورسي) يقولون أن كتاب أستاذهم يكفيهم ولا يحتاجون غيره وأنهم في بعض الأحيان يفضلون كتاب أستاذهم على القرآن الكريم وهذا خطأ كبير قد يقع فيه بالمستقبل بعضاً من طلابي ، لذلك فقد صرفت النظر عن الإستمرار في الكتابة) ، (سويلى ار، حوار مع مصطفى أريقان ، ١٩٩٥م) .

أحيا الإمام سليمان حلمي الإيمان والعقيدة والعبادة ، وأضاف إلى منهج التدريس كتب المتن مثل الأمالي والنسفي . واعتمد في شرح العقائد على "القسطلى" في علم التقليد الذى هو أصل في فروع الدين .

نجح الإمام سليمان حلمي في تدريس الكتب التى تحتاج إلى خمسة عشر عاماً واختصرها إلى خمس سنوات . وسبب هذا النجاح هو صفاته المعنوية وإخلاصه في خدمة الدين .

وقص أحد محبيه ويدعى "الحاج على شكر" كيفية تدريس الإمام سليمان حلمي الدروس لطلابه وطريقة شرحه قائلا :

"ذهبنا في أحد الأيام مع الحاج مصطفى أفندي القونسوى إلى مدرسة القرآن "بقصيقلى" وأثناء الحديث مع فضيلة الإمام سليمان نادى أحد تلامذته قائلا له: هيا اقرأ يا ولدى ،فبدأ الطالب يقرأ نصاً من الكتاب وصار يشرح ما يقرأ بقدر فهمه بينما كان الإمام يكمل نقص الطالب، وبعد إجابة الطالب صار الإمام يشرح الدرس بطريقة أسهل وأسرع ثم يشجع الطالب للقراءة مرة أخرى، وبينما الطالب يقرأ يقول له الإمام :

اقرأ يا بنى ، انتبه للضمير .. ستقرأ من الباب .. لا تنس نائب الفاعل .. فأعجبنا بطريقة تدريسه حتى وددت أن أقرأ الدروس بين يديه على الرغم من كبر سنى"^(١) .

كان الطالب يشترك في الدرس والأستاذ يكمل النواقص فيتخلص الطالب من الخجل والخوف ، كما أن تنبيهات الإمام وتذكيره له ببعض النقاط كان حافزاً له لتثبيت معلوماته .

وكان كتابه المطبوع الوحيد هو "ترتيب جديد وطريقة حديثة في تعليم قراءة حروف وحركات القرآن الكريم" وقد اختصر هذا الكتاب تعليم قراءة القرآن من شهر إلى أيام ، فكان يقول : "الآن وقت السرعة وليس وقت إطالة التدريس" ويستعيض عن الحفظ بفهم خلاصة الدرس، وكان طلابه يقرءون الدرس قبل أن يدرسه أمام شيخهم .

وكان يعتمد في تدريسه على "الحب" فكان يحب طلابه ويحبونه ويحبون تعليمه ويقبلون عليه بالحب والشوق لأحاديثه ، فالحب جعل الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين

Ufuk Dergisi, Sayi, 464, Istanbul, 1978, S. 7

(١)

١٠-١٢ عاما يعتلون المنابر والمنصات ، وبالحب ضمن استمرارهم رغم الشدائد والعقبات ، كان يحرص على ألا يدخل الملل القلوب ، فكانت دروسه تتخللها الحديث عن ذكرياته وأحاديثه العذبة ، فلا يتعب طلابه ويشعرون بالراحة والاستمتاع بالدرس .

كان يعلم طلابه طريقة الحديث واللباس، فكان مربياً يقول في حق طلابه: "إن أبنائي يأتون أرجلهم تجر نعالهم ، ويعودون وهم أسياذ من أسياذ استانبول" كان طلابه يحبونه أكثر مما يحبون آباءهم وأمهاتهم، وقد سئل يوماً عن سر هذا الحب الذي بينه وبين طلابه فأجاب قائلاً: "الأب والأم هما السبب الظاهري في مجيئهم إلى الدنيا، بينما نحن نجتاز بهم عالم البرزخ والحشر والصراط لنوصلهم إلى الجنة والجمال الإلهي" ، وكان هذا جانب من جانبه الروحي مع طلابه . كان طلابه يصعدون منابر المساجد يلقون الخطب ويلقون دروس الوعظ فكانوا يشعرون بالثقة في النفس، فكانوا طلاباً ومعلمين في آن واحد^(١) .

وفي شهر رمضان كان الإمام سليمان يرسلهم إلى مختلف البلاد يقومون بدور الوعظ والإرشاد ، وكان يأمرهم بزيارة مفتي كل بلد يذهبون إليها يطلبون منه الإذن بالوعظ ، فينشرون العلم الذي تعلموه وينشرون العلوم الإسلامية .

والكتب التي كان يدرسها الإمام سليمان أفندي في مدارسها هي : الأمثلة ، والبناء ، والعوامل ، والمقصود ، والإظهار ، والمراح ، والكافية ، وغيرها من علوم الأدوات بالإضافة إلى مجموعة من المتون : الأمالي ، وعقائد النسخي ، والمنار ، وإيساغوجي شمسية ، وشرح عقائد القسطلي ، والسيرة النبوية ، وأصول الحديث ، وكتب الأحاديث والتفسير والفرائض^(٢) .

وجميع هذه الكتب كانت تدرس في المدارس الدينية قديماً، وكان جميع الطلبة ينجحون ويتفوقون ، وقد استحدث الإمام سليمان أفندي طريقة إحياء المدارس التي كانت تمثل التعليم الديني العثماني، ولا يزال طلابه يسировون على منهاجه حتى الآن. ولم تتوقف طريقة تدريسه بوفاته بل بثها في أتباعه ، فحافظوا عليها واستمروا فيها متذكرين تعاليمه ووصاياه ويسیرون على طريقه وأسلوبه . حتى إن عدد دور الطلبة في مدارس القرآن يزيد الآن عن ثلاثة آلاف مدرسة .

وعندما قرب موعد رحيله وشعر بدنو أجله تحدث في آخر خطبة له إمام مائتين من طلابه قال فيها : "يا أبنائي، لا يلهمكم القلق على معيشتكم فالمعيشة مال الدنيا. والمعيشة مضطرة للحاق بمن ارتبطوا بالله . يا أبنائي ، إن لنا في هذه الدنيا هدف

Suymeli Er, a.g.e., s. 32 v

(١)

Ibrahim Suymeli, a.g.e., s.33 - 34 .

(٢)

واحد هو شحن قلوب أبناء الأمة المحمدية بالفيوض المحمدية ، هذه هى مهمتكم :
التعليم والتعليم . يا أبنائى إنكم محظوظون لأنكم تتلقون العلم حيا عن حى ،
وستستمرون فى القيام بهذه المهمات ، فإذا بقيتم مواظبين عليها فستجدوننى من الداعين
لكم ، فإذا لم تعملوا العلم الذى تلقيتموه منا لغيركم ولم تشحنوهم بها فاعلموا بأن
أصابعى العشرة ستأخذ بخناقكم يوم القيامة ، وإذا لم تقوموا بهذه الخدمات فبأى وجه
ستقابلون الله وتقبلون رسول الله وتقبلوننى . يا أبنائى إياكم والفرقة والخلاف ، أنتم
مأمورون بنشر نور الله . وودعهم وكأنه يراهم للمرة الأخيرة قائلاً لهم : "سكون معا
فى عالم البرزخ" (١) .

ولا يفوتنا هنا فى الحديث عن هذه المدارس أن نذكر تقييم المفكر والكاتب نجيب
فاضل لهذه المدارس ، وقد جاء على النحو التالى :

- المدارس القرآنية هى الوعاء التى يصنع بداخله الجيل الإيمانى الجديد وهدفها
علمى وروحى بحت .

- فى هذه المدارس يدرس كتاب الله ويعلم للناس ويشحن الضمير بالحق ، وليس
فى هذه المدارس سياسة بل علم وتشوق .

- فى هذه المدارس يتم تعلم أحكام الشريعة مع اليقين بأنها أوامر من الله .

- حرارة الشعور بالوجد تجاه الإسلام وحب الله ورسوله فى هذه المدارس مثل
حرارة أفران الصهر التى يحرص أصحابها على عدم انطفاء نارها .

- المدارس القرآنية باعتبارها مادة أنارتها روح معينة هى مؤسسات أنجزها
سليمان أفندى وأتباعه .

- إننا نعتبر طلاب مدارس القرآن الذين بلغ عددهم مائة ألف (والعدد الآن أكثر
من هذا) أرض غراس بكر تنتج الجيل المنتظر .

- نحن مصممون على أن نحول أمر الذين ينطقون بكلمة سوء واحدة ضد الهوية
العلوية الواضحة لمدارس القرآن إلى سيفنا الذى يعرف الكفر أوصافه جيداً (٢) .

وهذه المدارس منتشرة الآن فى كل مدينة وكل قرية وكل حى وهى على مستوى
عال من النظافة والانتظام والرابطة الأخوية بين الطلبة .

Arikan, M. Ufuk Dergisi, Sayi 371, Isyanbul, 1976, S. 4 .

(١)

Necib Fazil, A.g.e, Sayi, 9, Istanbul, 3/10/1969, S.1.

(٢)

٩- تربية الإمام سليمان حلمى الإسلامية :

كان سليمان حلمى وارثا للنبي صلى الله عليه وسلم، كانت حياته بسيطة بغير تكلف ، يعمل على إحياء سنن الرسول صلى الله عليه وسلم ، يطبق أسلوب الدعوة كما أمرنا الله بالحكمة والموعظة الحسنة، كان منشغلا بعلم الشريعة ممثلاً بنشوة التصوف ، كان شديداً على العدو، متواضعا للصديق ، نال الإمام سليمان حلمى الدرجات العلى فى العالم المعنوى ، ثبتت حيازته للشروط اللازمة للوراثة النبوية والتي اكتملت فيه وهى العلم بالشريعة ، يقتدى بالرسول صلى الله عليه وسلم فى أعماله، إلى جانب تصريحه المعنوى حيث إنه يمتلك شروط اليقينية التى وهبها الله له، وهى علم اليقين^(١) .

١٠- شخصية الإمام سليمان حلمى الصوفية :

ينتسب الإمام سليمان حلمى إلى الطريقة النقشبندية، وسميت الطريقة النقشبندية نسبة إلى الشاه "نقشبند محمد بهاء الدين" وكانت الطريقة النقشبندية منتشرة فى الهند ودخلت استانبول فى عهد الفاتح، وكانت لها مكانة لدى الطبقة المتوسطة فى تركيا، وكان لها أتباع من كبار رجال الدولة، ويقال إن السلطان وحيد الدين كان نقشبندياً. وتعرف الطريقة النقشبندية بأنها تدفق الفيوضات الإلهية فى القلوب عن طريق سلسلة السادات المرتبطين بها^(٢) .

تلقى الإمام سليمان حلمى تربيته الصوفية الأولى من أبيه ، فقد كان أبوه عثمان نقشبندياً . أما شيخه ومرشده الذى بشر به فى منامه فكان "صلاح ابن مولانا سراج الدين" هو مرشده والقائم على تنشئته، فكان "سليمان حلمى، نعم المرید المطيع لأوامر شيخه ومرشده .

كان مولانا سراج الدين على صلة بالسلطان عبد الحميد الثانى، وكان مولانا سراج الدين يحكى للسلطان عن مريده وتلميذه سليمان حلمى بقوله : " يا حميد إن لك أخ - ثم أشار إلى قلبه وقال - لا يسعه هذا المكان (ويقصد قلبه) وأخبره أنه لازال طالباً فى المدرسة، وكان السلطان عبد الحميد يرغب فى رؤيته، وقد شاهده أثناء صلاة الجمعة ولكن لم يتحدث معه. وقد أعد مولانا سراج الدين الإمام سليمان حلمى إعداداً صوفياً وذلك حتى يستطيع القيام بالمهمة التى قدرها له الله، كان مولانا سراج الدين يأخذ

(١) من أقوال شكرى طاشقيران ، أحد طلاب الشيخ سليمان حلمى .

(٢) Hasan Kucuk, Tarkatlar, Istanbul, 1976, s. 251.

(٢)

سليمان أفندي معه إلى "بورصة" كلما ذهب إليها. وكان مولانا سراج يحذره من الانشغال بالكرامات التي يمكن أن تبعده عن مهمته الأساسية . فقطع سليمان أفندي مرحلة كبيرة حتى تخطى شيخه ، وحينئذ أعلن مولانا سراج أنه يقدمه إلى الإمام الرباني لتلقي الفيض الإلهي مباشرة، فتجلت فيه الشريعة مع الحقيقة والظاهر مع الباطن حتى إنه كان يخفي نفسه ويغلفها بالتواضع الجم، وينصح أبناءه بعدم الجري وراء الكرامات قائلا: "إن كل ما نطلبه من كرامات هو شحن الأمة المحمدية بالفیوضات المحمدية ونشر الإسلام وتعليمه"^(١) .

وينتسب الإمام سليمان حلمي إلى الإمام الرباني انتساباً روحياً، ونذكر سلسلة فرع المجددية النقشبندية التي ينتسب إليها الإمام سليمان حلمي ، وتسمى سلسلة الطريقة العلية النقشبندية الخالدية^(٢) وهي تبدأ من :

- ١- سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- ٢- سيدنا أبو بكر الصديق (رضى الله عنه) .
- ٣- سلمان الفارسي (رضى الله عنه) صاحب فكرة حفر الخندق .
- ٤- قاسم بن محمد (رضى الله عنه) أحد الفقهاء السبعة بعد صحابة الرسول (صلى الله عليه وسلم) .
- ٥- جعفر الصادق (رضى الله عنه) أحد الأئمة الاثني عشر .
- ٦- أبو يزيد الطيفوري البسطامي (رضى الله عنه) أحد كبار أولياء الله الصالحين ، له كثير من الكرامات العظمى .
- ٧- أبو الحسن الحركاني (رضى الله عنه) قطب زمانه .
- ٨- أبو علي الفارمیدی (رضى الله عنه) قطب الأقطاب ، شيخ شيوخ خراسان .
- ٩- يوسف الهمداني (رضى الله) البسه أبو علي الفارمیدی بردة الطريقة .
- ١٠- عبد القادر الغجدواني (رضى الله عنه) أكبر خلفاء الإمام الهمداني- كان الخضر عليه السلام يأتي إليه يعلمه الذكر الجهرى والخفى .
- ١١- الإمام عارف ريوكيرى (رضى الله عنه) أفضل أصحاب الإمام عبد الخالق الغجدواني .

Suyumi Er, a.g.e., s. 44.

(١)

(٢) مجلة كينج أكاديمي العدد الخاص بسليمان حلمي ، ص ٣٩ - ٤٢ . ومجلة أفق، ديسمبر ١٩٩٥، ص ١٠ .

١٢- محمود أنجير فغنوى (رضى الله عنه) أفضل أصحاب الإمام عارف ريوكيرى وأقرب مقربيه .

١٣- الإمام على الراميتينى (رضى الله عنه) أكبر خلفاء الإمام محمود ، له الكثير من الكرامات .

١٤- محمد بابا سماسى (رضى الله عنه) أكبر خلفاء الإمام على الراميتينى .

١٥- سيد أمير كلال (رضى الله عنه) أكبر خلفاء محمد بابا سماسى .

١٦- محمد بهاء الدين النقشبند (رضى الله عنه) أكبر خلفاء سيد أمير كلال .

١٧- الإمام علاء الدين عطار (رضى الله عنه) أكبر خلفاء شاه نقشبند .

١٨- يعقوب جرخى (رضى الله عنه) من كبار أصحاب شاه النقشبند .

١٩- الإمام عبيد الله أحرار (رضى الله عنه) أكبر خلفاء يعقوب جرخى .

٢٠- الإمام محمد زاهد (رضى الله عنه) اشتهر بالتصوف .

٢١- درويش محمد (رضى الله عنه) أكبر خلفاء الإمام محمد زاهد ، عنده علوم الظاهر والباطن ، مطلع على الرموز والإشارات الصورية والمعنوية .

٢٢- محمد خاجكى امكنفى (رضى الله عنه) من كبار المشايخ .

٢٣- الإمام محمد باقى بالله (رضى الله عنه) كان يحيا على القوة الروحية .

٢٤- الإمام الربانى أحمد الفاروقى السرهندى (رضى الله عنه) هو الإمام الربانى مجدد الألف الثانى ، كان سيد العلماء ورئيس الواصلين ، مظهر الكرامات ، وجامع الدرجات اللامتناهية ورائد أهل الحقيقة، وهو الحفيد الثامن والعشرون للخليفة عمر رضى الله . وقد بشر من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن كل من صلى عليه من الأموات سيغفر له ويكون من أهل الجنة .

٢٥- الإمام محمد معصوم (رضى الله عنه) الابن الأوسط للإمام الربانى، كان قطب ومرشد زمانه .

٢٦- الإمام سيف الدين عارف (رضى الله عنه) جامع العلوم الظاهرية والباطنية ، كان يتحاشى مصاحبة أهل الدنيا وينفر منهم، كان يظهر كثيراً من الكرامات رغماً عنه.

٢٧- محمد نور البدوانى (رضى الله عنه) فريد عصره فى العلوم ، ووحيد زمانه فى الحقيقة والمعرفة ، نال إجازة الإرشاد ، كان صاحب أحوال .

٢٨- شمس الدين حبيب الله بن ميرزاجان : أفضل طلاب الإمام محمد نور البدوانى ، عالم ومرشد كامل، وموئل الأولياء .

٢٩- الإمام عبد الله الدهلوى (رضى الله عنه): أكبر خلفاء الإمام شمس الدين حبيب الله ، يصل نسبة بالإمام على رضى الله عنه ، لبس بردة الإرشاد وكان يبرئ المرضى .

٣٠- الحافظ أبو سعيد صائب (رضى الله عنه): ألف كتاباً سماه "هداية الطالبين" .

٣١- حبيب الله جان جانان (رضى الله عنه): أكبر خلفاء الحافظ أبو سعيد .

٣٢- محمد مظهر شان جان جانان (رضى الله عنه) : أكبر خلفاء الإمام حبيب الله ، من أكبر أولياء الهند من سلالة سيدنا عمر رضى الله عنه .

٣٣- سعد الدين بن مولانا سراج الدين (رضى الله عنه) كان دائم الاستغراق، وقطب زمانه.

٣٤- أبو الفاروق سليمان حلمى السيلستروى (رضى الله عنه) وهو الإمام المجدد سليمان حلمى موضوع دراستنا .

عبادات وأذكار الإمام سليمان حلمى :

اتباع الطريقة النقشبندية يلتزمون بالسنة ويؤدونها على أكمل وجه، يجتنبون البدع والأساس عندهم هو محبة القلب وكان الإمام سليمان يقرأ الأوراد واحداً وعشرين مرة فى اليوم ، ويواظب على صلاة التهجد والضحي والأوابي.ن وكان طلابه يولون اهتماماً بصلاة التسابيح فقد أوصى بأدائها الرسول (صلى الله عليه وسلم) ولو مرة واحدة فى العمر. وكانوا يؤدونها جماعة فى الليالى المباركة وهى صلاة كثيرة الأسرار والفوائد. كان الإمام سليمان يقوم بأوراد الطريقة النقشبندية مساء كل يوم أربعاء ، ويقول عنها إنها هدية من سيدنا "الخضر" عليه السلام إلى الطريقة النقشبندية، كما كان له ارتباط بالطريقة القادرية، فكان يقرأ أورادها يوم الخميس ويوصى طلابه بأن يقوموا بقراءة الأوراد حتى ولو كانوا ثلاثة أشخاص. كان يوصى بعدم ترك الاعتكاف فى المساجد فى العشر الأواخر من شهر رمضان. وكان يسجد سليمان أفندى سجدة شكر لله لدى سماعه خبر افتتاح مدرسة من المدارس. والذكر القلبى له أهمية بالغة لدى الطريقة النقشبندية، ويرى الإمام أنه أقصر الطرق للوصول إلى الله. وكان الإمام سليمان يتحدث عن النور الإلهى ويقول: إن كل شئ فى الوجود قائم على: الرابطة، فالأرض والقمر والكواكب الأخرى على رابطة بالشمس، والشمس

على رابطة بالعرش الأعلى ، والعرش الأعلى على رابطة بنور الصفات الإلهية ،
ونور الصفات الإلهية على رابطة بنور الذات الإلهية^(١) .

١١ - تلامذة الإمام سليمان حلمي أفندي

ركز الإمام سليمان حلمي الإمام المجدد اهتمامه نحو تعليم القرآن الكريم والعلوم الدينية الإسلامية ، واعتبر قضية حياته خدمة الدين الإسلامي ، ولاقى شتى أنواع الشدائد والصعاب لتحقيق هذا الغرض، وقد واجه في بداية الأمر صعوبات جمّة في جمع الطلبة ، وكان التدريس شبه مستحيل حتى إنه لم يجد من يطلب العلم لدرجة أنه كان يطلب الطالب يعلمه ويعطيه راتب نائب لكن الطلبة كانوا يخشون الحكومة، فبدأ بتعليم بناته حتى يعلمن أولادهن فينشأ جيل يعرف دينه فيبقى الدين قائماً على الأرض. ثم بدأ يعلم الشيوخ وبالتدريج بدأ الشباب يذهب للتعليم، فكان يشجعهم بالصرف عليهم ولا يأخذ منهم أجراً، وكان يحل مشاكلهم ويعدهم نفسياً ويلجأ أحياناً إلى الدعاية معهم، فكان الأب الروحي لهؤلاء الطلاب والمربي الرحيم . وكان يطمئنهم دائماً ألا يخشوا من الحكومة ويقول لهم : "هنا دار الأمان" ويقول لهم أيضاً : "من تعلم لله يسر الله له أمور الدنيا" ويقول: "من عمل للأخرة دانت له الدنيا". كان يشفق عليهم وإذا مرض أحدهم أو اشتكى يذهب به إلى الطبيب. وكان الطلاب يأتون إليه من قرى الأناضول فقراء ويعودون إلى أهليهم وكأنهم من أغنياء استانبول. حتى إنه ملك قلوبهم ووجدوا عنده العالم والمرشد والمربي والقدوة فأحبوه ووقروه ، ومالبثوا أن ارتبطوا به ارتباطاً وثيقاً . كان يعلمهم فضائل الدراسة ويشعل في قلوبهم حب العلم والتعليم ، ويقول لهم : "يا أبنائي! إنكم ترون ما نحن فيه هذه الأيام والدين أصبح غريباً، وقد علمتكم في ظروف شديدة الصعوبة ولم أطلب منكم أجراً إن أجرى إلا على الله . فاذهبوا إلى مناطقكم وافتحوا دور القرآن ، وعلموا أولاد أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) كتاب الله ودينه ، فإذا قمتم بما أقول فأنا داع لكم وإلا فإنني ممسك بخناقكم" . وكان يعلمهم أسفل المباني ويستأجر لهم المزارع فيزرعون الأرض في الصباح وكأنهم عمال في الأرض ، وفي المساء يجلسون في حلقات يتلقون تعليم أستاذهم، وكان سليمان أفندي يخبئ طلابه عن عيون الحكومة . ويقول للناس: "أنا وأبنائي نسعى بالعلم والجهاد لإنقاذ ما يمكننا إنقاذه من هؤلاء الناس السائرين إلى جهنم" .

كان يدرس لطلابه من أمهات الكتب العربية التي كانت تدرس في المدارس العثمانية بدءاً من كتاب الأمثلة لسيدنا علي (رضي الله عنه) وعلمهم الإسلام باللغة العربية التي هي مصدر العلوم الإسلامية، وكان يعطيهم النفحة الروحية فيتزودوا من العلوم ويزدادوا إيماناً و يقيناً وعقيدة ، ولهذا فلا نجد طالباً من طلابه منحرفاً سواء في عقيدته أو إيمانه .

كان تصرف الإمام سليمان المعنوى يسرى بين طلابه مجرى الدم، وكان الإمام يقول بهذه المناسبة: "لقد منحت لنا تصرفات أسماء الله تعالى المائة، فنحن نستفيد من اسم واحد من تلك الأسماء ألا وهو إعداد طلابنا إعداداً وتهيئة سريعة": فكانت الجهود التى بذلها معهم تفوق طاقة البشر، لم يميز بين فقير بينهم أو غنى ولا ذكى أو بطئ الفهم. كان يعلمهم طريقة الحديث واللباس، فكان الطلاب يصعدون المنابر ويقومون بالوعظ منذ نعومة أظافرهم فكانوا طلاباً ومشايخ فى آن واحد .

وفى إحدى المرات زار السيد "سامى صويلد" وهو نائب فى مجلس الأمة فى قولية الإمام سليمان ، وكان سبب زيارته هى رغبته فى شكر الإمام سليمان على تعليمه لطلابه ، فقد رأى أحد طلابه يذهب إلى بلده فكان يجمع الناس فى المسجد، كما فتح هناك مدرسة للقرآن لتعليم أبناء البلد، وسرى هناك فى هذه البلدة جو روحانى ودبت الحياة فى المدينة .

ولم تتوقف خدمات أولاد الإمام سليمان بعد وفاته، فهم مستمرين فى أداء مهمة خدمة الإسلام ونشره عن طريق هذه المدارس المنتشرة فى كل مكان الآن فى كل أنحاء العالم. وواصلوا نشاط هذه المدارس بصورة رسمية تحت اسم "اتحاد مدارس القرآن" ثم تطور وأصبح اسمه "اتحاد رابطة مساعدة طلاب مدارس القرآن ودور التعليم" والهدف من هذا الاتحاد هو تقديم المساعدات المادية والنفسية للجمعيات التى تأسست لمساعدة طلاب مدارس القرآن ودور التعليم^(١) .

كما يهدف هذا الاتحاد أيضاً إلى تحقيق التعاون بين هذه الجمعيات وحل المشكلات التى تعترضها. وكان تكوين هذا الاتحاد استمراراً للمبدأ الذى سار عليه الإمام سليمان أفندى ألا وهو "إن الطالب يعطى المال ولا يؤخذ منه" فكانت الإنجازات التى نشاهدها اليوم من قبل هؤلاء الطلاب ، والتى هى حصيلة جهود ومعاونة الإمام سليمان وجهوده المتواصلة من أجل خدمة الدين والإسلام .

وطلاب سليمان أفندى ملتزمون بالدين الإسلامى التزاماً كاملاً، ومذهبهم هو مذهب أهل السنة فى العقيدة والعمل ، وأكثرهم يتبعون المذهب الحنفى ، وهم يتبعون عقائد الطريقة النقشبندية وترى أن مصدر كل الحقائق هو القرآن، وهم يحرصون على أداء الفرائض بكل دقائقتها ، ولا يتركون سنة الاعتكاف فى المساجد فى العشر الأواخر من رمضان، وينشغلون بالأوراد والأذكار أثناء الاعتكاف .

وأبناء الإمام سليمان يُطلق عليهم لفظة "السليمانيون" لكن أبناء الإمام يرفضون إطلاق هذه اللفظة عليهم فلم يكن أحد يعرف هذه التسمية أيام الإمام ، ولم تطلق إلا بعد

وفاته عشر سنوات، وأول من ابتدع هذه التسمية هو "صفوت أوماي" برئاسة الشئون الدينية ، فقد جاء في تصريح رسمي له قوله: إن السليمانية طريقة تأسست من قبل سليمان حلمي في الثلاثينيات، ويديرها حالياً صهره "كمال قاجار" واتهمها أنها تقوم بتنظيمات لها أهداف سياسية واقتصادية بهدف الانتشار والتوسع، كما اتهمها بأنها تهدف إلى تغيير النظام الأساسي للدولة^(١).

وهذا الكلام مخالف للواقع فهم أبعد ما يكونوا عن طلب الشهرة أو الدعاية لأنفسهم أو استعمال أى وسيلة للإعلان عنهم، حتى إننى حينما شرعت فى الكتابة عن شخصية هذا الإمام العالم وعن أولاده ومحبيه قمت باستئذان شيخهم الأكبر الآن وهو كمال قاجار ليأذن لى بالكتابة عن الإمام سليمان وأولاده، وإذا كانوا يهتمون بالإعلان والدعاية لما كان هناك داع لطلب الإذن بالكتابة، فهم يؤدون واجبهم فى سبيل الله فى صمت وهدوء، يخدمون الطلبة ويعلمونهم المنهج من ناحية وعلوم الدين من ناحية أخرى ، ويبينون لهم السلوك الخلقى الذى يجب أتباعه وخاصة لصغار السن الذين يتلقون دروسهم بحب وشغف، وعند الالتقاء بأحدهم تحدث حالة من الارتياح والصفاء الروحى لرؤية هؤلاء الصغار وهم على مستوى عال من النظافة والخلق الرفيع والأدب الجم الذى يملكهم، حتى أصبحت مدارسهم سفن نجاة للأمة الإسلامية .

وينتشر الآن حوالى ٣٠٠٠ (ثلاثة آلاف) مركز ثقافى لهم فى تركيا، كما لهم انتشار فى "أوروبا الغربية" وخاصة "ألمانيا"، ولهم مراكز فى "إتاليا" و"مرسي" و"اسبارطه" و"بور دور" و"مانيسا" و"كوتاهية" و"افيون" و"آدابازارى"، ويقدر عددهم بمئات الآلاف، ولهم دار نشر تسمى "فضيلت".

وقد حاولت رئاسة الشئون الدينية إبعادهم عن تكوين هذه المدارس وتوجيه الرأى العام ضدهم ، إلا انهم واجهوا هذا التحدى وواصلوا نشاطهم حتى اندرجت مدارسهم تحت اسم "اتحاد مدارس القرآن" وأصبح يطلق عليه بعد ذلك "اتحاد رابطة مساعدة طلاب مدارس القرآن ودور التعليم" .

ويحقق هذا الاتحاد الأهداف التالية: (٢)

- ١- حماية حقوق ومصالح الأعضاء .
- ٢- عقد محاضرات ومؤتمرات فى المجالات الاجتماعية والأخلاقية والمعنوية والاقتصادية .
- ٣- تقديم المساعدات النقدية والعينية التى يحتاجها الأعضاء .

Ali AK, Suleymancilik, Istanbul, 1987, s. 29.

Suymeli Er, a.g.e., s. 25.

(١)

(٢)

- ٤- إنشاء المباني واستئجارها وافتتاح مرافقها للخدمة .
- ٥- القيام بأعمال الصيانة والإصلاح اللازمة لهذه المباني .
- ٦- تأسيس الأوقاف .

ويرى تلامذة الإمام سليمان أن الإمام هو الوارث الحقيقي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يملك التصرف في كل كوكب فيه ، وهذا التصرف مستمر حتى بعد مماته .

ويعتقد تلامذته أيضاً أن الإمام سليمان لم يفارقهم، ويشعرون أن روحه وتصرفه المعنوي باقيان معهم .

ولم تتوقف الخدمات أو طريقة التدريس بوفاته، والطلاب مستمرين في تلقي العلوم المستحدثة من جهة والعلوم الدينية من جهة أخرى .

ويتحدث عنهم الكاتب التركي نجيب فاضل بقوله :

"إن النظرة السيئة التي ينظر بها الشباب المتخرجون من مدارس الأئمة والخطباء وهم من ثمرات أقطابنا تجاه طلاب مدارس القرآن، بتحريض من بعض الجهات المغرضة هي قتل الأخ لأخيه ، فهم مثلهم ويزيدون عليهم أنهم نشأوا في ظروف أصعب من تلك الظروف التي نشأوا فيها، وواجبهم أن يضمموهم إلى صدورهم" .

وفي هذا المجال يقول الإمام سعيد النورسي عن مدارس القرآن هذه :

"إن مدارس تحفيظ القرآن التي أسسها الإمام سليمان حلمي لا تقتصر على تركيا وحدها بل تنتشر في كافة أنحاء العالم، والعلوم الإسلامية التي كانت تدرس في السابق في مدة تتراوح بين ١٥ و ٢٠ عاماً صارت تدرس خلال عام أو عامين ، إنهم ينشئون علماء وينشئون فقهاء وينشئون مفسرين، وهذه الحالة معجزة قرآنية، وأساس الإسلام هو إقراء القرآن وتعليمه" (١) .

فمدارس تحفيظ القرآن التابعة للشيخ سليمان تتجج في نشر القرآن ونشر الإسلام خلال وقت قصير جداً يحير العالم كله" . وقال أيضاً : " لقد جاءني هاتف من الله يقول لي : يا سعيد سيأتي زمان يصير الإسلام في ضيق ، ولن تكون هناك السفن الطويلة لنشر القرآن والإسلام ، وستظهر الحاجة إلى تعليمه خلال عام أو عامين ، والمشار إليه في هذا هو أخي سليمان أفندي" (٢) .

لقد كان الإمام سليمان مرشداً كاملاً وعالماً عاملاً .

* * *

Yeni Asya, gazetesi, Abdurrahman Seref Lac, Ile Reportag, Istanbul, 31/5/1976.

a. g. c. .

(١)

(٢) نفس المرجع السابق

١٢ - آراء الإمام سليمان ونصائحه لتلامذته : (١)

رأيه فى الجهاد :

يرى الإمام سليمان أن الجهاد هو جهاد النفس، فكان يخصص وقته الأكبر لجهاد النفس عن طريق تعليم طلابه اللطائف الخمس ألا وهى :

القلب ، والروح ، والسر ، والخفى ، والأخفى ، فيبين لهم مكان هذه اللطائف فى الصدر ووظيفة كل منها وكيفية مقاومة أخطارها .

وكان يرى أيضاً أن الجهاد بالمال مثل جهاد النفس ، وجهاد المال عنده هو الإكثار من المؤسسات الخيرية وإنشاء العمارات والمؤسسات الخيرية لخدمة الصالح العام ، ومبدؤه هو " أن الطالب يعطى المال لا يؤخذ منه " .

رأيه فى التعليم :

كان الإمام سليمان يولى اهتماما كبيرا بالتعليم ؛ فكان يرى أن أنسب أسلوب للتعليم هو التلخيص ، وهو نظام يختصر مدة التعليم لأقصر مدة ممكنة . واتباع أسلوب اعتماد الطالب على نفسه وثقته بها حتى يستطيع القيام بدور المرشد والمعلم فى أقصر وقت ممكن .

رأيه فى الحياة :

يرى الإمام سليمان أن الدنيا سفلية ذليلة ، والدنيا والسياسة أداتين لانتشار الدين ، ولا يصح أن يصبح الدين وسيلة للمصالح الدنيوية والسياسة .

ويقول : " لا يلهكم القلق على معيشتكم ، فالمعيشة مضطرة للحاق بمن ارتبطوا بالله " .

ويقول : " إن هدفنا فى هذه الدنيا هو شحن القلوب بالفيوضات الإلهية " . ويحذر تلامذته بقوله : " إياكم والفرقة والخلاف فى الحياة الدنيا ، واستمروا فى القيام بأى خدمات تطلب منكم " .

رأيه فى الأحداث السياسية :

كان الإمام سليمان يقول " ظاهرينا مع الخلق ، باطننا مع الحق " فقد جعل طلابه يتابعون الحياة والأحداث السياسية ويصوتون فى الانتخابات ومنهم من رشح للنيابة ومنهم من رشح لرئاسة البلدية .

(١) آراء الإمام سليمان حلمى هنا منقولة عن أقوال تلامذته ومن عاصره .

رفض ثورة تغيير الحروف من العربية إلى اللاتينية ، وكان يعتبر هذا العمل بمثابة قطع صلة الإنسان بماضيه وثقافته وترك تراثه وكتبه وفقدان هويته الأصلية وضياح دينه^(١) .

نصائح الإمام سليمان أفندي لطلابه :^(٢)

وجه الإمام سليمان حلمي أفندي خمس نصائح إلى طلابه وإلى الشباب بوجه عام ، يتمسكون بها فيصبحون مواطنين صالحين يحملون أمانة حفظ كتاب الله ، وهذه النصائح هي :

- ١- كن في سبيل الله واستقم والتزم بما وعدته .
- ٢- أحب الناس ولا تنتظر إلى أحد نظرة دونيه .
- ٣- كن نشيطاً ومنتجاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم "العمل عبادة" .
- ٤- علم غيرك ما تعلمته، وكن نظيفاً ومثلاً، وامقت الدعاية لنفسك ومديح النفس .
- ٥- الطهارة عبادة وشطر الإيمان .
- ٦- أفش السلام على أول شخص تلقاه حين خروجك من بيتك وحين عودتك .
- ٧- اليد العليا خير من اليد السفلى والمعطى أكرم من الآخذ .

ومن نصائحه العامة لطلابه قوله :

لا يلهكم القلق على معيشتكم ، فالمعيشة مال الدنيا ، ومال الدنيا مضطر لأن يلحق بالذين ارتبطوا بالله .

ومن أواخر وصاياه لهم أيضاً : " أنتم مأمورون لله ، مأمورون لرسوله ، مأمورون لدينه ، مأمورون لكتابه ومأمورون بنشر نور الله" .

وشعر تلامذته أنهم مسئولون أمام الله في تعليم أمور الإسلام، فحتى بعد وفاة الإمام سليمان لم يفرط عقد هذه الجماعة، بل هم مستمرين في تأدية خدماتهم للدين والإسلام بنفس القوة التي بدءوا بها سواء داخل تركيا أو خارجها .

١٣- أعمال الإمام سليمان حلمي أفندي :

لم يهتم الإمام سليمان بتأليف الكتب لأنه كان يهيمه تعليم أبنائه، فلا يشغل نفسه بعمل آخر حتى لا يضيع لحظة دون أن يعلم فيها طلابه، فكانت أعماله قليلة منها :

Suymeli Er, a.g.e., s. 12.

(١)

Sulyman Hilmi Tunahan, Mektubat Risalesi, s. 102 - 108.

(٢)

١- حروف القرآن وتشكيله :^(١) وهو أسلوب جديد وطريقة حديثة لتعلم قراءة القرآن الكريم، ويتكون من ست صفحات، وقد سهل على الطلاب تعلم القرآن وحفظه، وكان يختصر مدة تعلم القرآن من أيام إلى ساعات بعد أن كان يستغرق وقتاً طويلاً جداً. وقد أدهش هذا الأسلوب في التعليم الكثير من الناس .

٢- رسالة كبريت أحمر : وهي رسالة تتضمن السلوك الذي يجب اتباعه في الطريقة .

٣- رسالة الرسائل : (بعض المسائل المهمة) وهو كتاب يتحدث عن أحوال أهل الحقيقة ، ويتناول الصحبة وآدابها ، وهو كتاب هام يبين أسرار الطريق إلى الله .

ونختم حديثنا هنا بكلمات الإمام سليمان حلمي التي وجهها إلى تلامذته بقوله :
"عليكم الاستمرار في حمل هذه المهمة ، فلا خيار لكم في ذلك، فإن لم تفعلوا فستجدون أصابع العشرة هذه في تلابيكم ، عليكم الاستمرار في تدريس الطلبة حتى في أصعب الظروف ، حتى إذا كنتم على رأس جبل ووجدتم رجلاً واحداً ، فاعلموه القرآن والدين " .

١٤- وفاة الإمام سليمان حلمي ١٦ سبتمبر عام ١٩٥٩م :

لم يقف مرض السكر الذي كان يعاني منه الإمام سليمان حلمي حائلاً دون تأدية خدماته لطلابه ، وقد كان يسافر يومياً متنقلاً عبر أربع وسائل للمواصلات للذهاب لطلابه والتدريس لهم . وظل على هذا الحال مضحياً بالنفس والصحة والمال في سبيل أولاده والوصول بهم إلى مقصده . وفي ١٦ سبتمبر عام ١٩٥٩م رحل الإمام سليمان حلمي إلى دار البقاء وقت صلاة المغرب .

طلب رئيس مجلس الأمة في ذلك الوقت "إبراهيم كيراز أوغلو" بدفنه قرب ضريح السلطان "محمد الفاتح" جده نسباً ، فوافق رئيس الوزراء بالسماح بدفنه قرب السلطان ، وفي اليوم التالي توجهت الجموع من كل مكان لحضور مراسم الجنازة واجتمعت جموع أخرى في جامع الفاتح انتظاراً لنعشه ، وحينما حمل الآلاف من محبيه نعشه للذهاب إلى مسجد جده الفاتح منعت الشرطة السماح بدفنه في هذا المكان وقطع الطريق على الموكب ، وتم دفنه في مقبرة غير معروفة حفرها له رجال الشرطة في "قراجا أحمد " .

وكان السبب في منع دفنه بجانب قبر الفاتح هو "تامق كديك" وزير الداخلية في ذلك الوقت حيث قال وقتها : لن نسمح بنقله إلى الجهة المقابلة ، سيدفن في حفرة حفرها رجال الشرطة بمقبرة "قراجة أحمد" وقد قال الإمام سليمان يوماً : "سيخافون من موتنا كما يخافون من حياتنا " وقد رأى أحد أتباعه في منامه الإمام يقول له : "حاولتم كثيراً أن تدفنوني بجانب الفاتح لكنني لم أرض فهناك حكم كثيرة لا ندركها بعقلنا"^(١) .

وظل الآلاف يترددون على قبره الشريف بمقبرة "قراجة أحمد" حتى يومنا هذا، ويعتبرونه قدوتهم في الدنيا والآخرة حياً بروحه بينهم .

تلك هي دعوة الإمام سليمان حلمي طوناخان إلى الأمة الإسلامية من أجل الحفاظ على روح الإسلام في ظل الحفاظ على القرآن الكريم من خلال لغته وكلماته .

ويقطف المسلمون الآن في تركيا ثمرة جهاده وكفاحه في سبيل إحياء الإسلام وفي سبيل الأمة الإسلامية ، بعد انتشار القرآن الكريم في بلاد كان مقدرها فيها - حسب إرادة البشر - أن يقضى على كتاب الله وعلى اللغة العربية والعلوم الإسلامية فيها .

* * *

الفصل الثالث

مناهج اللغة العربية والعلوم الإسلامية في مدارس الإمام سليمان حلمي

- ١- مدارس الإمام سليمان - المراحل التعليمية .
- ٢- مقررات مدارس الإمام .
 - أ - كتب اللغة العربية .
 - ب - كتب العلوم الإسلامية .

١- المراحل التعليمية فى مدارس الإمام سليمان حلمى

استعرضنا فى الفصل السابق الدور الذى قامت به مدارس الإمام سليمان حلمى فى إحياء الإسلام والمحافظة عليه من الضياع فى تركيا فى ظل ظروف وإجراءات الدولة التى عملت جاهدة لمحو الإسلام من الدولة .

ونعرض فى هذا الفصل المراحل التى تشكل المرحلة العلمية لتدريس اللغة العربية والعلوم الإسلامية فى مدارس تلامذة الإمام سليمان حلمى . ويجب ملاحظة أن مواد العلوم الإسلامية واللغة العربية متداخلة ومن الصعب التفرقة بينهما على أساس علوم إسلامية ولغة عربية .

ونعرض الآن مراحل التعليم فى مدارس الإمام سليمان حلمى .

أولاً : المرحلة الأولى - الابتدائية :

ويدرس الطالب فيها :

القرآن الكريم

التجويد

علم الحال

حفظ بعض سور من القرآن الكريم

حفظ الجزء الثلاثين

حفظ سورة الملك

حفظ سورة الجن

حفظ سورة الرحمن

حفظ سورة الواقعة

حفظ سورة الفتح

حفظ سورة يس

ثانياً: المرحلة الثانية :

وتعد هذه المرحلة الثانية فى العلوم الإسلامية والمرحلة الأولى لتعليم اللغة العربية ، ويدرس فيها الطالب تعليم الصرف والنحو .

الكتب الصرفية :

- ١- الأمثلة : وتحدث عن تصريف الأفعال .
- ٢- البناء : وتحدث عن الأبواب ثلاثياً أو رباعياً أو مزيداً إلى غير ذلك
- ٣- المقصود : ويتحدث عن الأبواب التي تتعلق بالبناء، ومن الأفعال المعتل، وكيفية تطبيق قواعد الإعلال .
- ٤- العزى والمراح: ويدرس هذا الكتاب في هذه المرحلة وينقسم إلى . الكتب النحوية التالية :

- أ - العوامل للبرجوى .
- ب- الإظهار للبرجوى .
- ج - الكافية لابن الحاجب .

ثالثاً : المرحلة الثالثة :

وتعتبر هذه المرحلة مرحلة تحضيرية بالنسبة للمرحلة الرابعة، تدرس الكتب السابقة مرة أخرى بالتفصيل بالإضافة إلى الآتى :

- ١- الأمالى ويتحدث عن العقائد الماتريدية .
- ٢- العقائد للنسفى وهو أيضاً يتحدث عن العقائد .
- ٣- المنار ويتحدث عن أصول الفقه بشكل مجمل .
- ٤- الايسا غوجى وهو فى المنطق بشكل مجمل .
- ٥- العلاقة ويتحدث عن البيان بشكل مجمل .
- ٦- نور الإيضاح ويتحدث عن الفقه الحنفى للمبتدئين .

رابعاً: المرحلة الرابعة :

وتعتبر مرحلة تحضيرية لمرحلة التكامل التالية لها وتسمى أحيانا تحت التكامل . وتدرس فيها المتون التى سبق ذكرها فى المرحلة الثالثة بالإضافة إلى :

- ١- الفوائد الضيائية فى النحو ، وهذا الكتاب عبارة عن شرح للكافية لابن الحاجب .
- ٢- التلخيص، ويتحدث عن المعانى والبيان والفصاحة والبلاغة .

٣- القدورى ويتحدث عن الفقه الحنفى .

خامساً : المرحلة الخامسة :

وتسمى أيضاً بالتكامل أو المرحلة التكاملية، والدراسة فى هذه المرحلة مكثفة ومرهقة ، فكانت تتم فى شهرين فقط نظراً لحاجة البلاد الملحة إلى أئمة وخطباء بعد الانفراج الديمقراطى ، وذلك عندما نجح الحزب الديمقراطى عام ١٩٥٠م برئاسة عدنان مندريس فى تولى السلطة بدلاً من حزب الشعب الجمهورى ويدرس فيها :

١- كتاب القيم للملاخسرو وهو فى فقه الحنفية .

٢- شرح العقائد للعلامة التفتازانى ، ويتحدث عن العقائد الماتريدية ، وهى من عقائد أهل السنة ويعتبر هذا الكتاب فى العقيدة ويعتبر أيضاً فى علم الكلام .

ملاحظات على برنامج تلامذة سليمان حلمى أفندى :

١- يدرس الطالب الحديث والتفسير فى كل مرحلة ابتداء من المرحلة الثالثة ويستمر فى الرابعة والتكاملية على حسب مستوى الطلاب .

٢- كل مرحلة عبارة عن عام كامل .

٣- يعقد اختبار فى نهاية كل عام لكى ينتقل الطالب من مرحلة إلى مرحلة أو من عام إلى عام آخر فإذا نجح ينتقل إلى المرحلة الأعلى وإذا رسب يعيد الدراسة كاملة .

٤- يستمر التعليم فى مدارس الإمام سليمان حلمى طوال العام ، بمعنى أن العام الدراسى عندهم أحد عشر شهراً والشهر الباقي هو شهر رمضان حيث تعطل الدراسة فيه .

٥- يقوم الطلبة فى شهر رمضان بنوع من الدراسة العملية فيتم توزيعهم على المساجد فى القرى والمدن دعاة وأئمة ووعاظاً حتى يتعودوا على مهام الدعوة الإسلامية بعد تخرجهم .

٦- يشمل البرنامج بعض المواد الأخرى مثل علم الميراث وعلم الفرائض وبعض الأمور العلمية الأخرى .

٧- يطبق هذا البرنامج على البنات فى مدارس البنات التابعة لتلامذة الإمام سليمان حلمى .

* * *

٢- مقررات مدارس الإمام سليمان حلمى :

وفيما يلى نقدم عرضاً للكتب التى تدرس فى المراحل المختلفة بمدارس الإمام سليمان حلمى أفندى وموضوعات كل منها :

أولاً : كتب اللغة العربية :

كتاب مجموعة النحو :

ويدرس فى العام الأول لغة عربية ويعاد تدريسه فى العام الثانى .

يتناول هذا الكتاب شرح متن الكافية لابن الحاجب ، كما يتناول بعض التوضيحات الإعرابية فيما بين سطورها وشرحها فى هوامش الكتاب . وبدأ بتعريف الكلمة وأقسامها : الاسم وتعريفه والفعل وتعريفه والحرف وتعريفه وخواص كل منها . ثم بين المرفوعات ، مثل الفاعل والمبتدأ والخبر ، وذكر التوابع والنعت وعطف البيان والمضمر والنهى والاستفهام والتعجب والنداء والحروف المشبهة بالفعل وحروف الاستثناء . وقام بشرح "متن إظهار للبركوى" للنايلس وهى رسالة فى الإعراب مقسمة ثلاثة أقسام : الفعل والفاعل والمفعول ، وذكر أحوال إعراب كل منهما ، وذكر رسالة أخرى تسمى متن عوامل وأخبر أنه لابد لكل طالب معرفة مائة شئ ٦٠ منها عاملاً وهى حروف الجر والإضافة وحروف النصب ، وثلاث منها تسمى معمولات وهى الفاعل ونائب الفاعل وكان وأخواتها والمضارع الخالى من النواصب والجوازم ، وعشرة منها فى الإعراب تبين المنصوب والمجزوم والمعرب .

كتاب مرايح الأرواح :^(١)

وهو من تأليف حسن شوقى بن عثمان الوهيبى الهزار غراوى ، ويدرسه الطالب فى المرحلة الثانية ، وبالنسبة للغة العربية يدرسه فى المرحلة الأولى .

وهو كتاب فى الصرف يوضح معرفة الأوزان الصرفية ، ومعرفة الأبواب الصرفية مثل الصحيح والمضاعف والمهموز والمثال والأجوف والناقص واللفيف .

ويوضح الكتاب أيضاً اشتقاقات المصدر وهى الماضى والمستقبل والأمر والنهى واسم الفاعل والمفعول والزمان والمكان واسم الآلة .

ويوضح الكتاب أيضاً باب الإدغام والإبدال والإعلال .

القسم الثانى من الكتاب يوضح تقسيم الفعل من حيث الأصل الزائد وتقسيم
الأصلى باعتباره الثلاثى والرباعى والمزيد .

الأمثلة - البناء - المقصود وهى كتب تدرس فى المرحلة الثانية ، وبالنسبة للغة
العربية تدرس فى المرحلة الأولى .

كتاب تلخيص المفتاح :

وهو لمحمد بن عبد الرحمن المشهور بخطيب الشام ، يدرسه الطالب فى
مرحلة ما قبل التكمال ، ويتحدث عن البيان والمعانى والبلاغة والفصاحة .

وهو يشرح الأحكام البلاغية فى اللغة العربية وهى ما تتعلق بعلوم المعانى
والبيان والبديع .

ويوضح معنى كلمة البلاغة والكلام البليغ وعيوب الكلام سواء كانت عيوب
لفظية أو معنوية ، ويوضح مسألة مطابقة الكلام لمقتضى حال المخاطب .

والأبواب التى تتحصر فيها علم المعانى وهى الإسناد الخبرى وأحوال المسند
والمسند إليه ومتعلقات الفعل والقصر والإنشاء والفصل والوصل والإيجاز والإطناب .

وتقسيم الكلام إلى خبر وإنشاء .

والكتاب عبارة عن نص أصلى داخل مربع صغير ومزود به شرح للنص يبدأ
من آخر كلمة فى النص . ويدرس الطالب هذا الكتاب فى مرحلة ما قبل التكمال^(١) .

* * *

ب- كتب العلوم الإسلامية :

كتاب المفتاح شرح نور الإيضاح :^(٢)

ويدرسه الطالب فى المرحلة الابتدائية وهو يوازى كتاب الإظهار والكافية
ويتحدث عن الفقه الحنفى .

وشارح هذا الكتاب مصرى الجنسية كان يعمل مفتشاً فى الأزهر الشريف
ومعاهده الدينية ، وقد طبع هذا الكتاب للمرة الثالثة منقحاً عام ١٩٥٨م فى مصر
ويدرس فى المرحلة الابتدائية فى مدارس الإمام سليمان حلى . وهو فى الفقه الحنفى ،

(١) محمد بن عبد الرحمن، كتاب تلخيص المفتاح، ترتيب بكتاش بن بكتاش السلانيكى، تحرير حسن شوقى. Fazilet
Nesriyat Ticaret A.S. Istanbul.

(٢) أبو زيد شلبى ، نور الإيضاح يليه، تكملة نور الإيضاح فى الزكاة والحج ، فضيلت نشریات ، استانبول ،
١٩٩٦م.

وهو شرح لكتاب نور الإيضاح ونجاة الأرواح الذى يعد فى حد ذاته مقدمة فى العبادات تقرب على المبتدئ ما تشتت فى المسائل من المطولات .

ونور الإيضاح مناجاة للأرواح ، صغير فى حجمه ، غزير فى مادته ، ويقول أبو زيد شلبى فى مقدمته : " هو وإن كان سهلا واضح العبارة إلا أنه فى حاجة إلى مزيد من البيان وخاصة للمبتدئين حتى يسهل عليهم فهم مراميه واستيعاب معانيه " ولذا وضع أبو زيد شلبى على هذا الكتاب شرحا أسماه المفتاح شرح نور الإيضاح والحق به رسالة من تأليفه اسمها " منحة الفتاح " وهى رسالة فى الزكاة والحج .

وقد استهل أبو زيد شلبى شرحه بدراسة عن الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان فى صفتين ، ثم عرف هذا المؤلف الفقه وفائدته وأقسام الحكم الشرعى ثم خطبة الكتاب ، ثم المياه التى يجوز التطهر بها ، ثم فصول بيان أحكام السور ، والتحرى فى الأوانى والثياب ، وأحكام الآبار والتطهير والاستنجاء وحكمه وكيفيته ، والوضوء وفرائض وشروط وجوب الوضوء وشروط صحته وتمام أحكام الوضوء وسننه وأدابه وأقسامه ، ثم مالا ينقض الوضوء وما يوجب الاغتسال ومالا يجب الاغتسال منه وبيان فرائض الغسل وأداب الاغتسال ومكروهاته وشروط صحته ، والمسح على الخفين والجبيرة . ثم أبواب الحيض والنفاس والاستحاضة ، وما يحرم بالحيض والنفاس وبما يتم الطهر وقضاء الفرائض ، وما يحرم بالجنابة وحكم الاستحاضة وما يشبهها ، ومتى يثبت العذر ، والأنجاس والطهارة فيها ، وأقسام النجاسة وطهارة الأرض ، والطهارة بالاستحالة وطهارة جلد الميتة ونحوها . ثم كتاب الصلاة وشروط وجوبها وسننها ومتى تجب وأوقاتها ، ثم باب الأذان وأحكامه وما يكره فى الأذان والإقامة . كما تحدث عن العورة . ثم انتقل إلى الحديث عن الصيام حكمه وشروطه وما يفسده ، ثم باب الاعتكاف ، ثم باب الزكاة والصدقات . ثم انتهى بباب الحج سبب وجوبه وشروطه وواجباته ، وزيارة الرسول عليه الصلاة والسلام .

كتاب حركات وحروف القرآن^(١)

إسم المؤلف سليمان حلمى طوناخان ١٣٩٩هـ :

الكتاب يعرض أسلوب قراءة الحروف وحركات المد والضم والفتح والكسر ، كما يعرض نماذج لأشكال الحروف والتدريب عليها .

والكتاب يعتبر من كتب التجويد ولكنه من الكتب اليسيرة ويعطى الكتاب أمثلة على الحركات الإعرابية وشكلها فى بعض الآيات القرآنية مثل سورة الفاتحة وبعض قصار

سور مثل سورتي الصمد والكوثر، كما توجد نماذج لبعض الأدعية وكيفية التدريب عليها لأنها مضبوطة بالشكل، كما يوجد نموذج يتضمن آية الكرسي .

وفي آخر الكتاب جدول يتضمن إثبات الصفات لله تعالى (الصفات الذاتية والصفات الثبوتية) وهي أيضاً مضبوطة بالشكل لتوضيح كيفية التدريب على نطق الحروف. وهو كتاب دين يدرس للطلاب وهو في المرحلة الأولى .

كتاب مجموعة المتون :^(١)

وهو كتاب في الفقه يدرسه الطالب في العام الثاني في اللغة العربية ، ويدرسه في المرحلة التحضيرية بعد الابتدائية .

وهو كتاب يعرض بعض أنواع العلوم الشرعية والبلاغة، فالباب الأول في علم الكلام وإثبات الصفات لله تعالى، والباب الثاني عبارة عن (متن العقائد) لعمر النسفي، وهو عبارة عن شرح لبعض قضايا علم الكلام بطريقة المتن، والباب الثالث في علم الأصول (أصول الفقه) ويشتمل على تعريف لبعض ألفاظ أصول الفقه مثل الإجماع والقياس والواجب والحكم والحسن والظاهر والعام والخاص والمشتراك والمشكل والخفي والمفسر والصريح والكناية والمتواتر والمشهور .

والباب الرابع يعرض بعض المسائل المنطقية ، والخامس يعرض نوعاً من أنواع علم البلاغة وهو علم المعاني ، وما يشتمل عليه من مجاز وتشبيه وكناية واستعارة .

كتاب مختصر القدوري :^(٢)

ومؤلف هذا الكتاب هو أبو الحسن أحمد بن محمد بن جعفر الهمداني ، ويدرسه الطالب في مرحلة قبل التكمال ، وهو كتاب في فقه الأحناف يتناول ستة وستين كتاباً يبدوها بالطهارة وتشتمل على أربعة أبواب ، ثم كتاب الصلاة ويحتوي على ستة عشر باباً ، وكتاب الزكاة ويحتوي على عشرة أبواب، ثم كتاب الصوم ويحتوي على باب واحد وهو باب الاعتكاف ، ثم كتاب الحج ويشتمل على ستة أبواب ، وكتاب البيوع ويشتمل على ثمانية أبواب ، وكتاب الصرف والرهن والحجر والإقرار والإجارة والشفعة ، وكتاب الشركة والمضاربة والوكالة والكفالة والحوالة والصلح والهبة والوقف والغصب والوديعة والعارية وكتاب المزارعة والمساقاة ، وكتاب أحكام النكاح والطلاق والرجعة والإيلاء والخلع والظهار واللعان والعدة والنفقات والحضانة ،

(١) مجموعة المتون، حرره عثمان نوري الأتقلاوى Fazilet Nesriyat ve Ticaret A.S.

(٢) مختصر القدوري ، فضيلت نشریات، استانبول ١٣٩٨ هـ.

وكتاب الولاء ، وكتاب الجنایات والديات ، وكتاب القسامة ، وكتاب الحدود ويشتمل على حد شرب الخمر والقذف والسرقة ، ثم كتاب الصيد والذبائح ، وكتاب الأضحية ، وكتاب الشهادة ، وكتاب القسمة ، وكتاب الوصايا والفرائض . ويدرس الطالب هذا الكتاب فى مرحلة ما قبل التكمال .

كتاب مناجامى . تأليف عبد الرحمن جامى ١٣٠٢هـ

وهو كتاب فى قواعد اللغة العربية، ويبدأ الكتاب بشرح أحوال الكلمة والاسم والإعراب والبناء وأحوال الفاعل والمفعول وأحوال المبتدأ والخبر وأحوال المنادى والحال والاستثناء وكان وأخواتها وإن وأخوتها وأحوال البدل والعطف والنكرة والمعرفة والكناية ومشتقات اسم الفاعل .

ويتناول أيضاً أحوال المثنى والمؤنث وجموع القلة واسم المفعول والصفة المشبهة واسم التفصيل وخواص الفعل المضارع وفعل التعجب وأفعال المدح والذم والحروف . ويدرسه الطالب فى مرحلة ما قبل التكمال .

كتاب درر الحکام فى شرح غرر الأحكام لخسرو الحنفى : (١)

يدرس الطالب هذا الكتاب فى مرحلة التكمال ، ويتحدث عن فقه الأحناف ويتكون من مجلدين .

وبهامشه حاشية العلامة أبى الإخلاص الشيخ حسن بن عماد بن على الوفائى الشرنبلالى الحنفى (غنية ذوى الأحكام فى بغية درر الحکام) وقد كان مدرساً بالجامع الأزهر .

يتكون هذا الكتاب من خمسة وخمسين كتاباً فيها مائة وعشرون باباً وخمسة وثلاثون فصلاً وتذنيبات وثلث مسائل شتى وتكملة وتنمة وتنبيه ، وفيه تسعون قولاً بلفظ أقول . (مصحح الكتاب أحمد رفعت بن عثمان) .

ويتناول هذا الكتاب شرح المسائل الفقهية الخاصة بالعبادات والمعاملات ، ويبدأ ككل الكتب الفقهية بباب الطهارة ونواقض الوضوء وأنواع الماء ، وما هو النيم وكيفيته والمسح على الخفين ، ثم انتقل إلى الصلاة فيبين شروط الأذان والصلاة والإمامة ، وما يفسد الصلاة وما يكره فعله ، وبين النوافل وأنواع الصلوات وسجود السهو وسجود التلاوة ، وانتقل إلى الركن الثالث وهو الزكاة فيبين قيمة زكاة المال

(١) القاضى الشهير بملا خسرو الحنفى ، جزان بهامشة حاشية العلامة أبى الإخلاص الشيخ حسن بن عماد ابن على الوفائى الشرنبلالى الحنفى.. Nesriyet ve Ticaret A.S. Incili Cavus, Istanbul.

والذهب وزكاة الزروع وأنصبتها، ثم بين أحكام الصيام وهو الرابع فعرّفه، وبين مبطلاته ومتى تعطى رخصة الإفطار وبين ماهية الاعتكاف، وانتقل إلى الركن الخامس وهو الحج وبين الفرق بين القران والتمتع والأضحية والجهاد والجزية، وانتقل إلى كتاب النكاح فبين شروط الكفاءة والمهر والرضاع والطلاق والرجعة والإيلاء والخلع واللعان والحضانة والنفقة .

كتاب مرآت الأصول في شرح مرقّات الوصول :^(١)

تأليف : القاضي محمد بن قراموز الشهير بملاخسرو عام ١٣٠٧هـ .

ويدرسه الطالب في المرحلة التكمالية ، وهو كتاب في الفقه .

تناول هذا الكتاب بيان المقصد من الأدلة الشرعية، وتناول أيضاً عدة مقاصد منها المقاصد المشتركة باعتبار وضعها وباعتبار دلالتها وباعتبار استعمالها ، ويتناول الأمور التي تعتبر مشكلة ، والمأمور به وحكمه وحكمة عدم سقوطه ، ويشمل اللفظ العام والخاص والأمور المشتركة والجمع المنكر ، والنص وحكمه وجوب العمل به، والمجمل والمتشابه والحقيقة والمجاز . ويتناول أيضاً تفصيلات عن بعض حروف الجر واستخدامها في أصول الفقه ، والألفاظ الصريحة والكنائية والقصر والاستثناء، والتبديل وأثره على الأحكام الفقهية ، والنسخ أى نسخ الآيات القرآنية بعضها البعض وحكمها أيضاً على أصول الفقه .

ويدرسه الطالب في المرحلة التكمالية النهائية وهو كتاب فقه كما ذكرنا .

كتاب شرح فرائض السراجية :^(٢)

اسم المؤلف : العلامة السيد الشريف الجرجاني .

كتاب شرح الفرائض من الكتب الفقهية التي تختص بالفرائض ، ومعنى الفرائض هنا المواريث وما يتعلق بها من أحكام. فيتناول الكتاب مقدمة عن حكمة تعلم الفرائض وفضلها ، ثم يشرح حقوق الميت ووصيته وقضاء دينه إذا كان عليه دين بعد الوصية، ثم بعد ذلك يبدأ في تقسيم الميراث الشرعي بين الورثة، ويبين الكتاب حال كل وارث وحقه والعصبات والفروع ، ثم يتحدث عن موانع الميراث ويشرح الكتاب لنصيب كل وارث مع الإيضاح بالآيات القرآنية .

(١) مرآت الأصول في شرح مرقّات الوصول، محمد بن قراموز الشهير بملاخسرو. Fazilet Nesriyat ve Ticaret A.S., Istanbul 1310h.

Fazilet Nesriyat ve Ticaret A.S. , Istanbul.

(٢)

وفى آخر الكتاب قصيدة تبين نصيب الوارثين بطريقة الشعر .
ويدرس الطالب هذا الكتاب فى مرحلة التكامل .

كتاب : رسالة شمسية جديدة (١)

تأليف : إبراهيم وهبى أفندى زاده عام ١٣٠١هـ .

وهو كتاب يدرسه الطالب فى مرحلة التكامل وهو فى (علم المنطق) .

تناول هذا الكتاب شرح رسالة فى علم المنطق ، فقام بتعريف علم المنطق وموضوعه والمعلومات التصورية والتصديقية ، وقام بالتحدث عن المفردات ودلالة اللفظ على المعنى ، ومعانى الألفاظ المفردة والجزئية والحقيقية ، وتناول المختصرات الأربعة والفرق بين الاختصارات التى يستعملها ، وتكلم عن النقيض ، وقام بتعريف القياس وأقسامه ولواحق القياس . كما قام بذكر أجزاء العلوم وحدودها ، أى حدود الموضوعات وأجزائها وأعراضها الذاتية فى نهاية الكتاب .

كتاب : شرح العقائد (٢)

تأليف : سعد التفطازانى ١٣٢٦هـ .

تناول هذا الكتاب شرح تفسير المتن الذى كتبه مصلح الدين الكشلى فى شرح العقائد ، ويتناول هذا الكتاب شرح مسائل علم الكلام، فبدأ بإثبات الصفات الواجبة لله تعالى كالوحدانية والوجود والعلم والسمع والبصر مستشهداً على هذا بالأدلة العقلية والنقلية .

وكذلك صفات الإرادة والكلام ومخالفته تعالى للحوادث وإثبات أن هذه الصفات أزلية الوجود ولا يطرأ عليها نقص أو خلل، ثم بعد هذا يتكلم عن البعث وحساب القبر والحوض والصراط والجنة والنار وعن جميع الغيبات التى يجب علينا الإيمان بها، ويتحدث أيضاً عن الشفاعة العظمى لسيد الرسل (صلى الله عليه وسلم) ثم يقوم بعد هذا بتفصيل الفرق بين النبى والرسول، والفرق بين المعجزة وكرامة الأولياء، ثم يختم كتابه بذكر ما قاله الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن الساعة ونزول المسيح عيسى ابن مريم .

وهو كتاب يدرسه الطالب فى مرحلة التكامل ، ويتحدث عن عقائد أهل السنة والجماعة (الماتريديّة) .

(١) Salah Bilici Kitabevi, Bayazit , Istanbul. إبراهيم وهبى أفندى زاده، رسالة جديدة ، استانبول، ١٣٠١هـ.

(٢) Fazilat Nesriyat ve Ticaret A.S.. سعد التفطازانى، شرح العقائد، استانبول، ١٣٢٦هـ.

٦ - كتاب مختصر المعاني (١)

تأليف سعد الدين التفتازانى ١٣٠٧هـ .

تناول هذا الكتاب الفرع الثانى من علوم البلاغة وهو علم المعانى ، ويتضمن هذا الكتاب بالتفصيل الفصاحة فى المفرد ، وعيوب الكلام والفصاحة ، والبلاغة فى التكلم ، وتكلم أيضا عن علم البيان وأحوال الإسناد الخبرى والمجاز العقلى ، وأحوال المسند إليه كحذفه وذكره وإضماره ، وتعريف المسند إليه بالإضافة وتأخير المسند إليه ، وخروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ، وأحوال المسند كتنكيره وتعريفه وتقديره وتأخيرها ، ثم تناول القصر كقصر الصفة على الموصوف وقصر القلب . وشمل الكتاب أيضا باب الفصل والوصل ، ومحسنات الوصل وتناول الإيجاز والإطناب وأنواع الإطناب وطرقه .

ثم تناول بعد ذلك التشبيه وتعريفه وأقسامه المرسل والمؤكد ، وتكلم عن كل من الحقيقة والمجاز المفرد والمركب ، والاستعارة ، والفرق بين المجاز والاستعارة ، وأنواع الاستعارة ، وتعريف المطلقة والمرشحة ، والكناية والفرق بين الكناية والمجاز وأنواع الكناية وتعريفها ، وتناول بعد ذلك علم البديع ، فشرح المطابقة والتضاد والجناس وأنواعه والموازنة والمحسنات البديعية مثل السجع . وهذا الكتاب هو شرح لكتاب التلخيص ، يستفيد منه الأساتذة أثناء تدريس التلخيص .

٧ - كتاب مجموعة الوضعية :

تأليف إبراهيم حقى افندى ١٣١١هـ . (٢)

تناول هذا الكتاب شرح عدة رسائل فى علم الوضع ، وشرح متن الرسالة الوضعية بالتفصيل ، وبين أن معنى الوضع هو جعل الشئ فى حيز معين ، وبين أن الغرض من علم الوضع وغايته هى الاقتدار التام على تمييز الموضوع عن غيره ، بمعنى أنه يقوم بتمييز بعض الأقسام عن البعض الآخر وتمييز موضوعات اللغة والصرف والدحو والاشتقاق وغير ذلك بعضها عن بعض ، وتمييز أمارات الحقيقة عن قرائن المجاز ، فهو كالأداة التى يحصل بها هذا التمييز .

وأوضح أن الوضع العرفى قسمان لفظى وغير لفظى ، وبين أن الوضع ثلاثة أركان ، والركن الأول منها أربعة أقسام :

(١) Salah Bilici Kitabevi , Ali Bilici , Beyazıt , İstanbul. ١٣٠٧هـ ، مختصر المعانى ، استانبول ، ١٣٠٧هـ .

(٢) إبراهيم حقى افندى ، مجموعة الوضعية ، صفا وأنوار ، استانبول ، ١٣١١هـ .

- ١ - لغوى، كوضع كلمة الضرب لمعنى الإيلا .
- ٢ - عرفى، كوضع كلمة الحادثة لمعنى المصيبة .
- ٣ - اصطلاحى، كوضع المبتدأ والخبر للاسمين المعلومين .
- ٤ - شرعى، كوضع إعطاء ربع عشر للزكاة .

واستمر الشارح فى شرح متن الرسالة الوضعية التى تشرح ما تواضع واتفق عليه العلماء ، كما أنه شرح أيضا متن الوضع للأكنى الذى بحث عدة مسائل أخرى فى علم الوضع ، وهذه المواضيع مكمل للرسالة الأخرى ، وشرح تصوير الوضع ، وأعطى نموذجا للوضع ، وبين أن الوضع إما شخصى اعتبر فيه خصوصية حروفه ، أو وضع نوعى اعتبر فيه وجه عام ، وتناول أنواع الوضع الشخصى وهى ثلاثة أقسام :

- ١ - جزئى الوضع والموضوع، كالأعلام الشخصية .
- ٢ - كلى الوضع والموضوع كاسماء الأجناس .
- ٣ - كلى الوضع جزئى الموضوع له مثل الحروف والضمائر والموصولات .

٨ - كتاب أصول الحديث : (١)

تأليف محمود أسعد سيد شهرى ١٣١٦هـ - استانبول .

يشرح هذا الكتاب العلم الخاص بمصطلحات الحديث النبوى الشريف ويتعرض لتعريف مصطلح الحديث نفسه وأقسامه ، ويقوم المؤلف بتعريف لفظ الصحابى والتابعى وتابع التابعين لأنهم هم المشهورين برواية الحديث ، وصحة الحديث وضعفه متوقفة عليهم وعلى إسنادهم .

ويقوم أيضا بتعريف لفظ الإسناد والمسند والمتن والسند والمحدث والحافظ والحجة والحاكم .

كما يقوم المؤلف بتقسيم الحديث باعتبار المسند إليه إلى حديث مرفوع وحديث موقوف وحديث مقطوع .

ويقسم الحديث باعتبار السند والإسناد إلى حديث متصل ومنقطع .

(١) محمود أسعد سيد شهرى ، أصول الحديث، طبعة سى - باب على جوارنده عزيزية، استانبول، ١٣١٦هـ - Osmanli Yayinevi.

كما يعرف الحديث المرسل والحديث المعنعن ، ويبين أن الحديث باعتبار كيفية وصوله إلينا ثلاثة أقسام : متواتر ومشهور وغريب .

وكذا الحديث باعتبار صفته ثلاثة أقسام : صحيح وحسن وضعيف . كذلك يذكر المؤلف شروط الراوى ، وكيفية الطعن فى روايته للحديث ، وأوجه الطعن . كذلك يتحدث عن مسألة اختصار الحديث وروايته بالمعنى ، ويدرس هذا الكتاب للطلاب فى مرحلة التكامل .

* * *

ومن خلال استعراضنا لمناهج مدارس الإمام سليمان نجد أنها مناهج شاملة ؛ يستطيع الطالب عن طريقها أن يتزود بالعلوم والمعارف العربية والإسلامية بداية من القرآن حتى يصل لمعرفة جميع العلوم الإسلامية من فقه وحديث وشريعة ومنطق. ويتخرج الطالب طالب عالم عارف عامل ، يستطيع بعد تخرجه أن يقوم بدور واعظ ومرشد وداعية للجيل الذى يتبعه . ولا تزال هذه المناهج تقرر على الطلبة حتى يومنا هذا ، يتدارسونها ويتكون جيل بعد جيل يعرف دينه وإسلامه بالأسلوب الشرعى الصحيح ، فيظل الإسلام حيا فى القلوب المسلمة من خلال رسالة الإمام المجدد سليمان حلى .

* * *

الخاتمة

ألغت الحركة الكمالية العمل بالإسلام وكل مظاهره في تركيا وتجلّى ذلك في الإجراءات الصارمة التي اتخذتها الثورة الكمالية في فرض العلمانية وفرض الحروف اللاتينية لكتابة اللغة العربية ، ثم تنقية اللغة التركية من الكلمات والاصطلاحات العربية خاصة الإسلامية منها . ثم إغلاق مدارس تحفيظ القرآن الكريم وإصدار قانون توحيد المدارس ، الذي أعقبه بالتالي إغلاق مدارس تحفيظ القرآن وإلغاء تعليم اللغة العربية وإلغاء تدريس العلوم الإسلامية ، وبالتالي تغريب تركيا تحقيقاً لفكرة "شرق غربي" التي سادت أوساط النخبة المثقفة في العهد الكمالي ، "أى البعد عن الشرق" . ولما استشعر المصلحون المسلمون هذا الخطر الذي يهدد الإسلام بالانتهاء من على الساحة التركية قام كل منهم بدعوته لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من إيمان الجيل ، وبالتالي استمرارية الإسلام في الحياة التركية .

وكان لكل مصلح وسيلته في مواجهة الإجراءات الكمالية ؛ وعلى سبيل المثال فقد قام الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي بمحاولته الكبيرة لإنقاذ إيمان الشباب بتأليف رسائل النور، وهى بالدرجة الأولى أفكار فلسفية لتثبيت دعائم التوحيد والإيمان في قلوب من يقرءونها وقد كتبها باللغة العثمانية ، وقام غيره من المصلحين من مشايخ الطرق الصوفية بشرح قواعد الطرق الصوفية في محاولة للحفاظ على الإسلام في نفوس المريدين .

وقامت بعض الدعوات الأخرى بتحفيظ القرآن الكريم خفية عن الحكومة مثلما فعلت الطريقة النقشبندية. لكن حركة الإمام سليمان حلمي أفندي انتهجت نهجاً جديداً ؛ فبالإضافة إلى تثبيت دعائم الإسلام والإيمان عن طريق الأوراد والذكر الخفى كما فى الطريقة النقشبندية - لأن الإمام سليمان حلمي كان شيخاً نقشبندياً - إلا أن الغالب على حركته هو : العودة إلى الإسلام باتخاذ منابعه الأصلية وسيلة لاستبقائه في النفوس والقلوب ، وارتكز هذا الهدف على الوسائل الآتية :

١- تعميم اللغة العربية بين أتباعه حتى تكون الوسيلة المباشرة لفهم منابع الإسلام الأصلية : القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، وفهم التابعين واجتهادات المجتهدين .

٢- تحفيظ القرآن الكريم على اعتبار أنه الوسيلة الوحيدة لاستقرار كلام الله في القلوب ، وبلغته العربية الأصلية وليس عن طريق التفسير التركي له .

٣- تدريس العلوم الإسلامية من فقه وتفسير وحديث وسيرة حتى يكون المسلمون على معرفة حقيقية مباشرة بأمور دينهم .

والواقع أن هذا هو المنهج الأسلم في مواجهة إجراءات الحركة التي هدفت إلى فصل المسلمين عن تراثهم الديني المكتوب بلغتهم العثمانية بحروفها العربية.

ومع استمرار تدريس الحروف اللاتينية في المدارس بعد قيام الجمهورية نسي الشعب التركي القراءة بالحروف العربية وبالتالي ابتعدوا عن تراثهم الإسلامي المكتوب بالعثمانية .

ولذلك كانت دعوة الإمام سليمان حلمي باتخاذ العربية أساساً ومفتاحاً لمعرفة المسلمين بدينهم كان لها معناها ؛ لأنه باللغة العربية يستطيع المسلم معرفة دينه دون أن يكون هناك عائق أمامه ، سواء كان هذا العائق لغة أخرى كالتركية أو حروف أخرى كاللاتينية .

والنقطة الثانية في منهج الإمام هي تحفيظ القرآن الكريم وبالتالي نشره بين المسلمين ، وهو الأساس الأول في الإسلام . ثم تدريس الكتب الأساسية في العلوم الإسلامية واللغة العربية في مدارس ، على أن تكون هذه المدة قصيرة حتى يستطيع تخريج أئمة لهذا الشعب التركي تعوض ما فقدوه من إغلاق المدارس الدينية الرسمية ، وتتكون أجيال تحفظ للإسلام بقاءه .

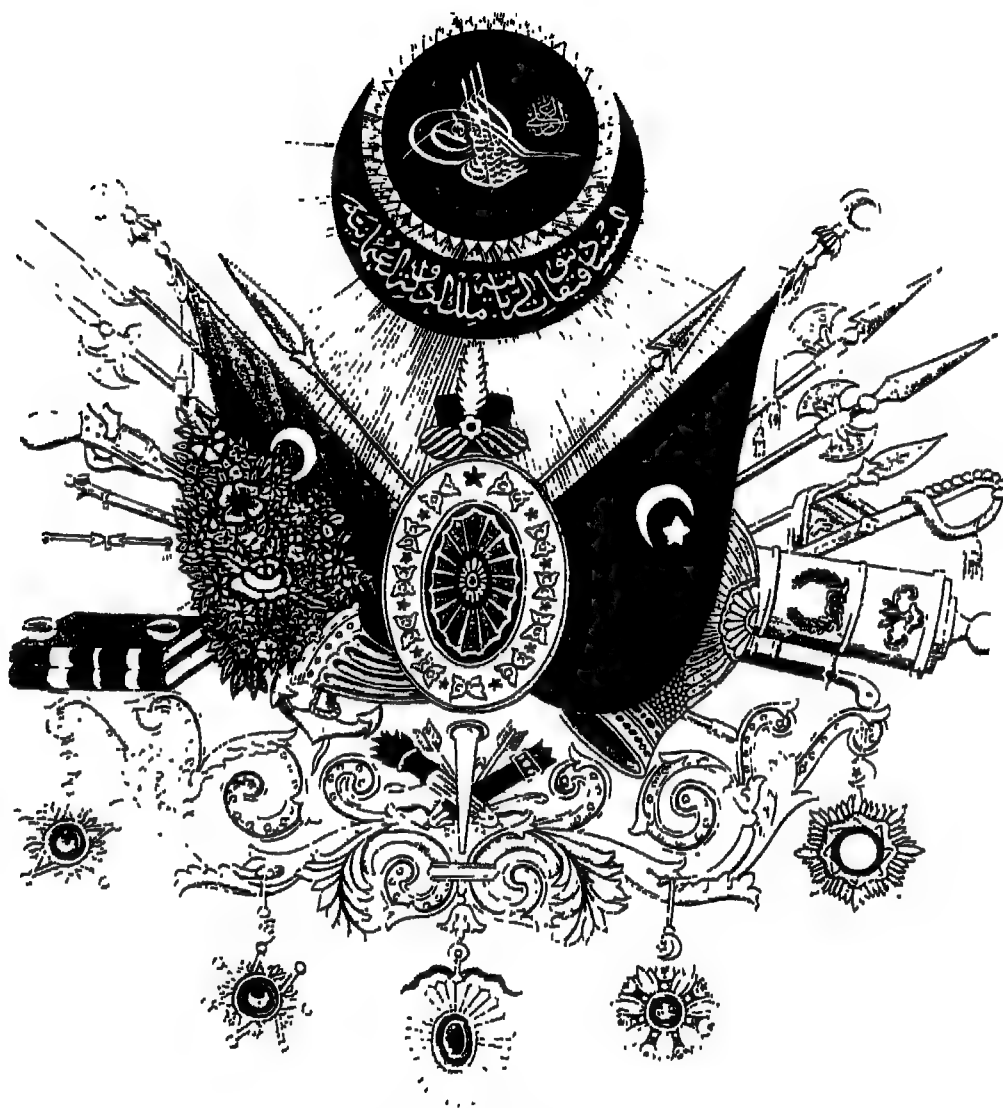
إن اتخاذ هذا النموذج من الدعوات قد نجح في تركيا نجاحاً كبيراً محسوساً سواء في الريف التركي أو في الحواضر التركية .

وهذا النموذج الناجح الذي بدأ جهاده منذ ٦٠ عاماً منذ قيام الحركة الكمالية ولا يزال مستمراً حتى الآن . يمكن أن يكون نموذجاً صالحاً للدول التي عانت مما عانته تركيا ؛ سواء في اتخاذ العلمانية ، أو في قبول الحروف غير العربية في كل من دول آسيا الوسطى الإسلامية مثل أذربيجان وأوزبكستان وطاجيكستان وتركمانستان وقازاقستان وبلاد الشيشان وقيرغيزستان ، أو دول البلقان المسلمة التي تحررت حديثاً من ربقة الشيوعية مثل ألبانيا ، والبوسنة والهرسك ، ومقدونيا .

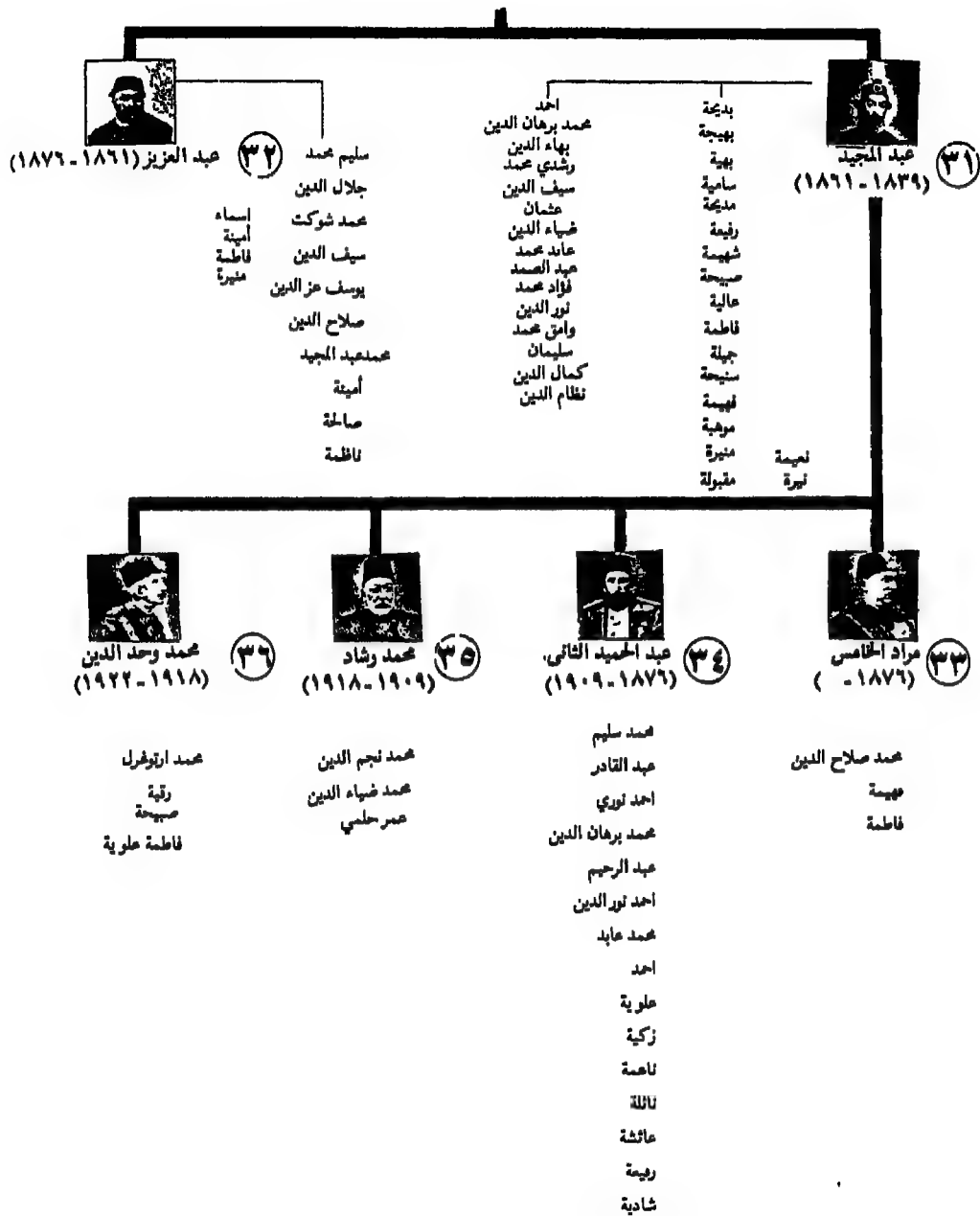
وبذلك نرجو أن نكون قد نجحنا في تقديم النموذج الذي يجب أن يحتذى للعالم الإسلامي كله في استعادته للإسلام .

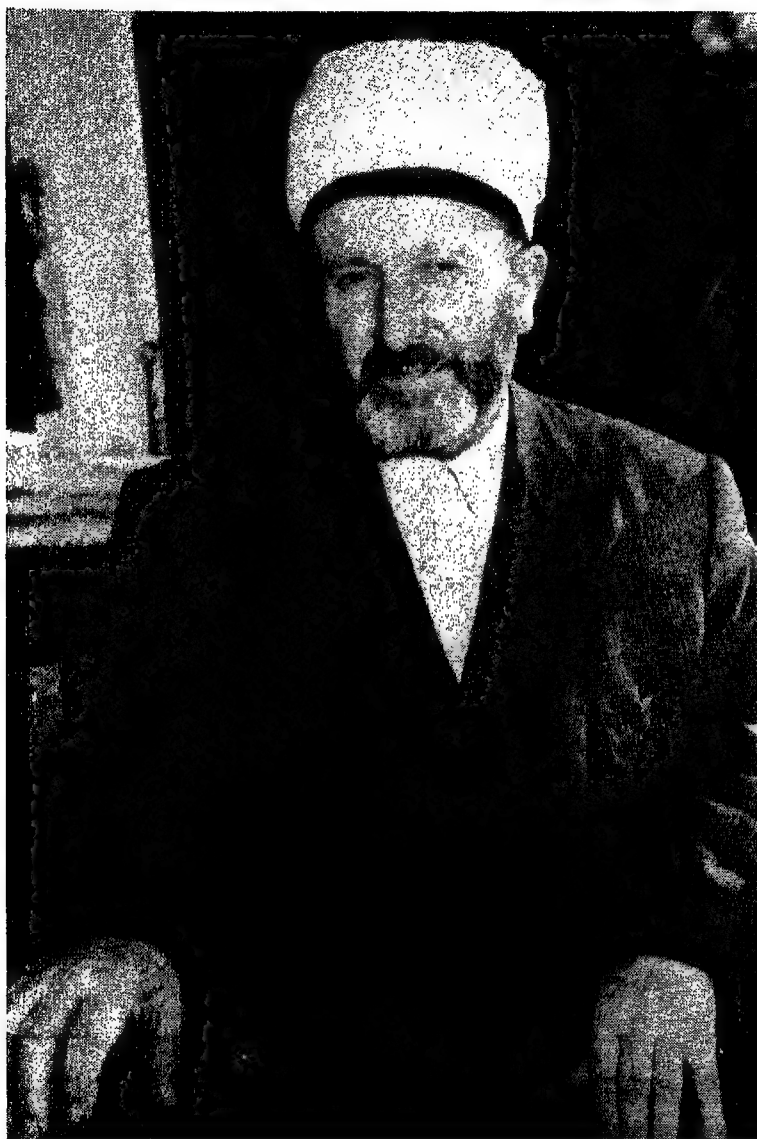
والله الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل .





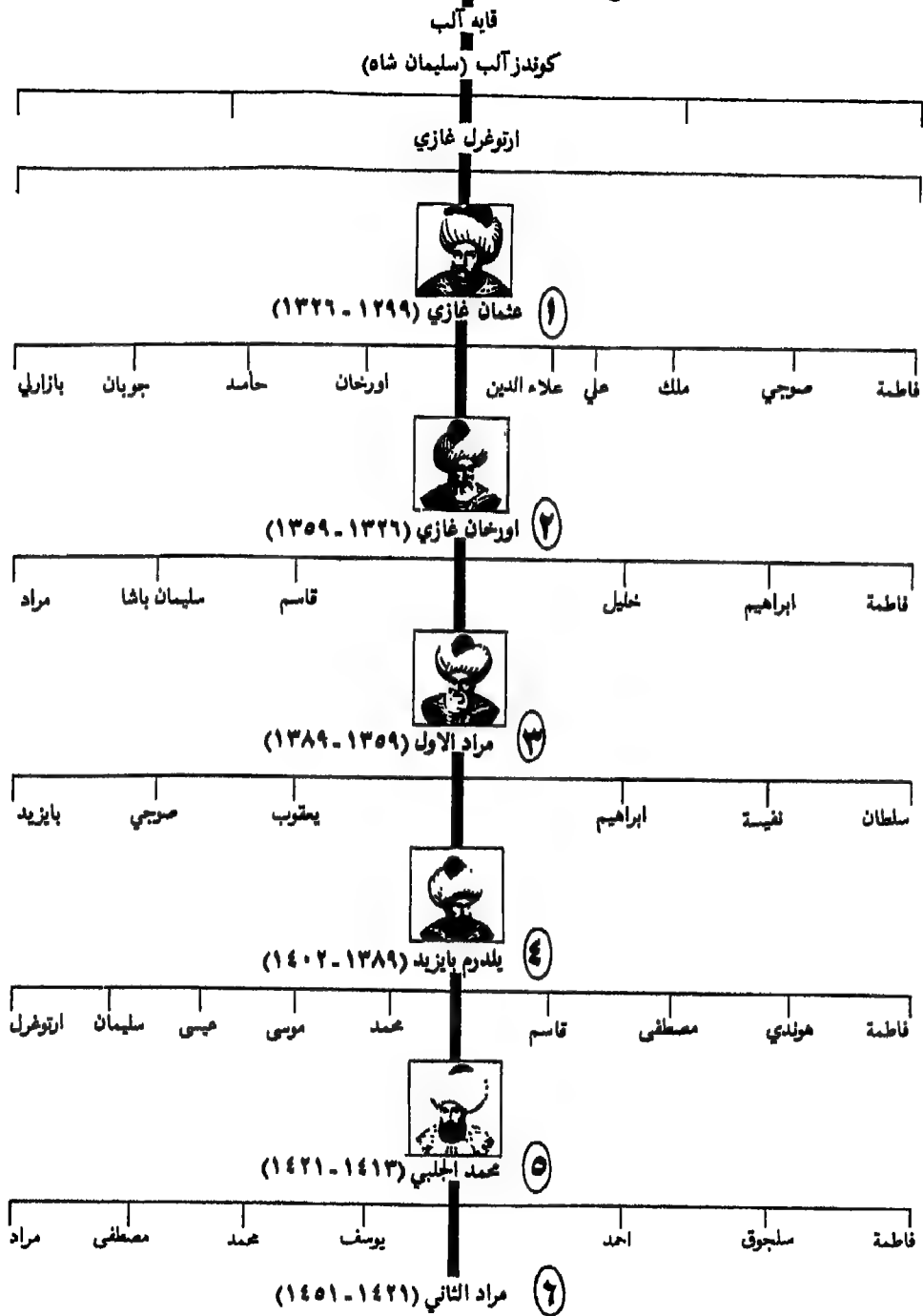
شعار الدولة العثمانية

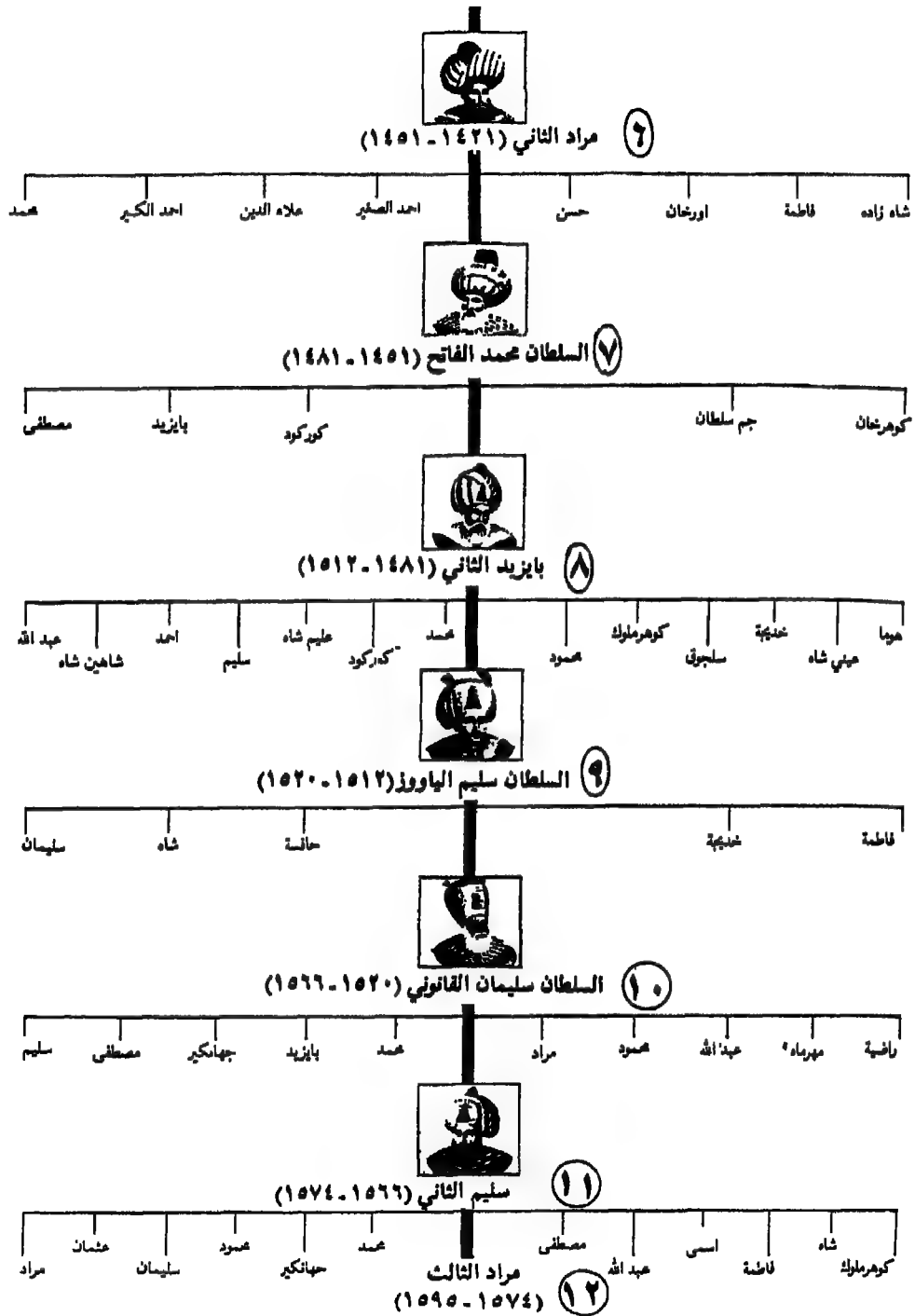




الإمام سُلَيْمَان حَلْبِي

شجرة نسب العثمانيين





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين * والصلوة والسلام على أفضل الخلق نبينا محمدا وعلى آله وصحبه
اجمعين * احسن الله له في الآخرة المحسن والزيادة * وهذه تعليقات رايفة
وتقييدات فائقة على كتاب القدوري ، الذي شاعت بركة كالعلم الضروري
وقد طار في الاقطار ، وسار في الامصار ، وفاف في الاشتهار على الشمس
في رابعة النهار ، حتى اكبا الناس عليه ، وصار مغزاة اليه ، واقتضت
بشبكة الافهام ارجل شواربه ، وقيدت باوتاد الاقدام جل اوابده ،
فنفقت اوش حواشي صفايح صحائفه اللطيفة بما هو في الحقيقة بياض
للصحيفة مع عز وكل فرع الى اصله وكل شيء الى محله حتى الحجج و
الدلائل ، وتعليقات المسائل ، حسنا الله ونعم
الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي
المعظم

ناشر الكتاب

فضيلة نشریات

۱۳۹۸

معارف نظارت جلیله سنه (۲۲۱) ثمری وفي ۲ رجب
۱۳۹۸ وفي ۲ تشرین اول ۱۳۹۸ بخاری رخصت نامه سیل
شرکت صحافی عثمانیه مطبعه سنه
طبع ایدمستند



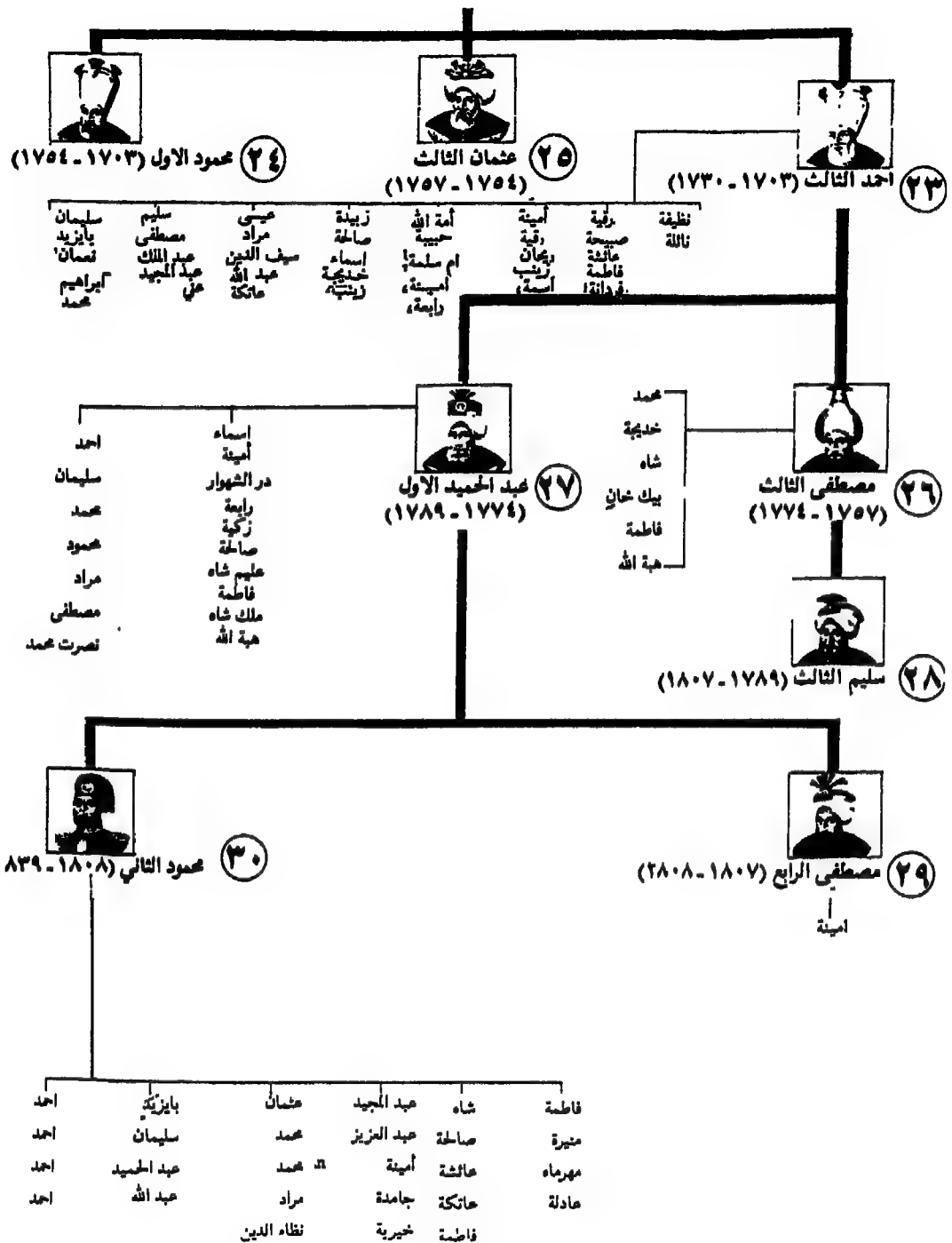
-FAZİLET NEŞRİYAT VE TİC. A.Ş.

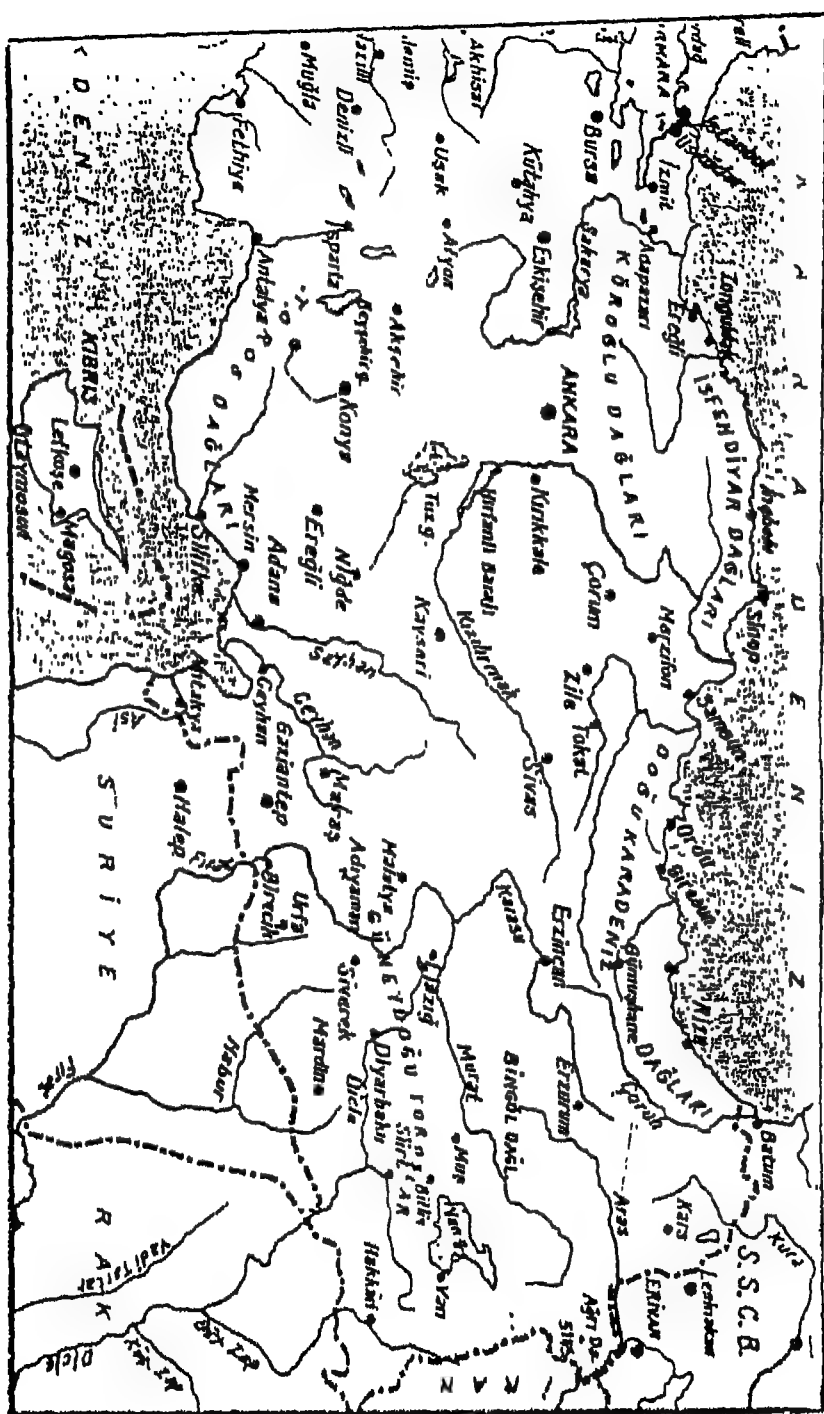
İncili Çavuş Sokağı, No: 27 34410 Sultanahmet-İSTANBUL

Tel.: (0.212) 514 06 37 - 40 Fax: (0.212) 511 45 38

صورة من كتاب مختصر القدوري لادب الحسن احمد بن جعفر الهذلي
ويدرس الطلاب مدارس الديار سليمان حلمي في المرحلة قبل النهائية

صورة من كتاب مناجاة لعبد الرحمن هامي يدرس للطلاب مدارس الازهر وهو كتاب في القواعد





الملاحق

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر

القرآن الكريم

المصادر العربية

- ١- أبو الحسن أحمد بن محمد بن جعفر الهمداني، مختصر القنوري، دار فضيلت للنشر والتجارة، استانبول، ١٣٩٨هـ .
- ٢- أبو زيد شلبى، المفتاح شرح نور الايضاح، دار فضيلت للنشر، استانبول، ١٩٩٦م.
- ٣- إبراهيم حقي افندي، كتاب مجموعة الوضعية، مطبعة صفا وأنوار، استانبول، ١٣١١هـ .
- ٤- إبراهيم وهبي افندي زاده، رسالة شمسية جديدة، دار نشر صلاح بلجى، حى بايزيد، استانبول، بدون تاريخ .
- ٥- السيد الشريف الجرجاني، شرح فرائض السراجية، دار فضيلت للنشر والتجارة، استانبول، ١٣٢٢هـ .
- ٦- حسن شوقى بن عثمان الوهبى الهزارى غراوى، مراح الأرواح، مجموعة الصرف، دار فضيلت للنشر، استانبول، بدون تاريخ .
- ٧- سعد التتازالى، شرح العقائد، دار فضيلت للنشر، استانبول، ١٣٢٦هـ .
- ٨- سعد الدين التتازالى، مختصر المعالى، دار نشر صلاح بلجى وعلى بلجى، حى بايزيد، استانبول، ١٣٠٧هـ .
- ٩- سليمان حلمى طونناخان، حركات وحروف القرآن، دار فضيلت للنشر، استانبول، ١٣٩٩هـ .
- ١٠- عبدالرحمن جامى، ملاجمى، دار فضيلت للنشر والتجارة، استانبول، ١٣٠٢هـ .
- ١١- على بن سلطان محمد القارى، مجموعة المتنون، تحرير عثمان لورى الانقراوى، دار فضيلت للنشر والتجارة، بدون تاريخ .
- ١٢- مجموعة النحو وتشمل :
 - (أ) الكافية لابن حاجب .
 - (ب) الإظهار للبركوى .
 - (ج) العوامل للبركوى .
 مطبعة استانبول، بدون تاريخ .
- ١٣- محمد بن عبدالرحمن، تلخيص المفتاح، ترتيب بكتاش بن بكتاش السلايلى، تحرير حسن شوقى، دار فضيلت للنشر، استانبول، ١٣١٢هـ .
- ١٤- منلاخسرو، مرآت الأصول فى شرح مرقاة الوصول، دار فضيلت للنشر والتجارة، استانبول، ١٣٠٧هـ .
- ١٥- منلاخسرو الحنفى، درر الأحكام فى شرح غرر الأحكام، جزآن، دار فضيلت للنشر والتجارة، وبهامشه حاشية العلامة أبى الاخلاص الشيخ حسن عماد بن على الوفاى الشربللى الحنفى، استانبول، بدون تاريخ .

المصادر العثمانية

محمود اسعد سيد شهرى، أصول الحديث، استانبول ١٣١٦هـ .

المصادر التركية

- 1 - Bakanligi Basbakanlik Arsivi, Vakfiyeler Kismi, N. 162/6.
(أرشيف رئاسة الوزراء فى استانبول، قسم الوكفيات، رقم ١٦٢/٦)
- 2- Mustafa Kemal Atatürk , Tutunaklar B.M.M., Ankara, c.1, 1937.
(مصطفى كمال أتاتورك، مضبطة مجلس الأمة التركى الكبير، الجزء الأول، ١٩٣٧م)
- 3 - Topkapi Arsivi, N. 7081.
(أرشيف طوب قابى، رقم ٧٠٨١)
- 4 - Turk Medeni Kanunu, N. 1025.
(القانون المدنى التركى صورة فوتوغرافية موجودة بمركز بحوث العالم التركى تحت رقم ١٠٢٥ - مترجم إلى العربية) .

ثانيًا : المراجع

المراجع العربية :

- ١- أحمد شوقي ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ١٩٧٠ م .
- ٢- أحمد عبدالرحيم مصطفى ، فى أصول التاريخ العثمانى ، دار الشروق ، ط٢ ، القاهرة ، ١٩٩٣ م .
- ٣- أحمد غلوش ، الجمعية الماسونية حقائقتها وخفاياها ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٦ م .
- ٤- أحمد نورى اللعيسى ، الحركات الاسلامية الحديثة فى تركيا ، دار البشير ، عمان ، الاردن ، ١٩٩٣ م .
- ٥- أريست رامزور ، تركيا الفتاة ، ترجمة صالح أحمد العلى ، مؤسسة فرنكليين منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦٠ م .
- ٦- أنور الحدى ، السلطان عبدالحميد والخلافة الاسلامية ، دار ابن زيدون ، بيروت ، دار الكتب السلفية ، القاهرة ، ١٤٠٧ هـ .
- ٧- أورخان محمد على ، السلطان عبدالحميد الثانى ، دار الوثائق ، الكويت ، ١٩٨٦ م .
- ٨- إبراهيم الدسوقي شتا ، الحركة الاسلامية فى تركيا ، الزهراء للإعلام العربى ، القاهرة ، ١٩٨٦ م .
- ٩- إسماعيل سرهنگ ، تاريخ سلاطين وخلفاء ، الدولة العثمانية ، كتاب حقائق الأخبار عن دول البحار ، ١٨٩٥ م .
- ١٠- السلطان عبدالحميد ، مذكرات ، ترجمة وتحقيق محمد حرب ، دار الوثائق ، الكويت ، بدون تاريخ .
- ١١- السيد أحمد بن زبى دحلان ، الدولة العثمانية ، الفتوحات الاسلامية ، مكتبة الحقيقة ، استانبول ، ١٩٨٦ م .
- ١٢- السيد محمد الدقن ، سكة حديد حجاز العميدية دراسة وثائقية ، الناشر . المؤلف مطبعة الجبلاوى ، القاهرة ، ١٩٨٥ م .
- ١٣- المؤتمر العالمى لبديع الزمان سعيد النورسى ، ط١ ، مطبعة باصم ، استانبول ، ١٩٩٦ م .
- ١٤- ثريا شاهين ، دور الكنيسة فى عهد الدولة العثمانية ، ترجمة محمد حرب ، جده ، ١٩٩٧ م .
- ١٥- جمال عبدالهادى محمد مسعود وآخرون ، أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ، الوفاء للطباعة ، المنصورة ، ١٩٩٤ م .
- ١٦- جورجى زيدان ، مصر العثمانية ، تحقيق محمد حرب ، كتاب الهلال ، العدد ٥١٧ ، القاهرة ، ١٩٩٤ م .
- ١٧- روبير مانتوران ، تاريخ الدولة العثمانية ، ترجمة بشير السباعى ، دار الفكر للدراسات جزآن ، القاهرة ، باريس ، ١٩٨٩ م .
- ١٨- سليم الصويص ، ألتاتورك مفقذ تركيا وبانى نهضتها الحديثة ، مطبعة سنلر ، عمان ، الاردن ، بدون تاريخ .
- ١٩- سليم لزهت ، تاريخ الطباعة فى تركيا ، ترجمة سهيل صابان ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، ١٩٩٣ م .
- ٢٠- سهيل صابان ، ابراهيم متفرقة وجهود ه فى إنشاء المطبعة العربية ومطبوعاته ، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، ١٩٩٥ م .
- ٢١- سيرة امام مجدد ، بديع الزمان سعيد النورسى ، بيروت ، ١٩٧٤ م .
- ٢٢- شكيب أرسلان ، حاضر العالم الاسلامى ، نقله إلى العربية عجاج لويهض ، مجلدين ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٣ م .
- ٢٣- عبدالسلام فهمى ، اللغة العربية فى الأناضول نسخة مخطوطة ، بمكتبة مركز بحوث العالم السركى بالقاهرة ، القاهرة ، ١٩٩٥ م .
- ٢٤- عبدالعزيز محمد الشناوى ، الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ، ج١ ، الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٥ م .
- ٢٥- عصام الدين أبى الخير أحمد بن مصطفى المشهور "بطاشكوبولى زاده" ، الشقائق النعمانية ، تحقيق أحمد صبحى فرات ، جامعة استانبول ، كلية الآداب ، مركز الدراسات الشرقية ، استانبول ، ١٤٠٥ م .
- ٢٦- على حصون ، تاريخ الدولة العثمانية ، المكتب الاسلامى ، ط٣ ، بيروت ، دمشق ، ١٩٨٣ م .
- ٢٧- عمر الاسكندرى وسليم حسن ، تاريخ مصر من الفتح العثمانى إلى قبيل الوقت الحاضر ، مطبعة المعارف ، القاهرة ، ١٩٢١ م .
- ٢٨- فتحى رضوان ، مصطفى كمال أتاتورك ، دار ومطابع المستقبل بالاسكندرية ، ومؤسسة المعارف ، بيروت ، ١٩٨٣ م .
- ٢٩- فهمى الشناوى ، مصرع الخلافة العثمانية ، المختار الاسلامى ، القاهرة ، ١٩٩٥ م .
- ٣٠- ليلى عبداللطيف ، موقف الدولة العثمانية من مطامع اليهود فى فلسطين ، دار الكتاب الجامعى ، القاهرة ، ١٩٨٧ م .
- ٣١- محسن عبدالحميد ، جمال الدين الأفغانى المصلح المفترى عليه ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٥ م .
- ٣٢- محمد الخير عبدالقادر ، نكبة الأمة العربية بسقوط الخلافة العثمانية ، مكتبة وهبه ، القاهرة ، ١٩٨٥ م .
- ٣٣- محمد حرب ، الدولة العثمانية ، موسوعة سفير فى التاريخ الاسلامى ، المجلد ٨ ، القاهرة ، ١٩٩٦ م .
- ٣٤- محمد حرب ، السلطان عبدالحميد آخر السلاطين العثمانيين الكبار ، دار القلم ، دمشق ، ١٩٩٠ م .

- ٣٥- محمد حرب ، العثمانيون في التاريخ والحضارة المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي، القاهرة ، ١٩٩٤م .
- ٣٦- محمد عزة دروزة ، تركيا الحديثة ، مطبعة الكشاف ، بيروت ، ١٩٤٦م .
- ٣٧- محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، مطبعة التقدم ، القاهرة ، ١٩١٢م .
- ٣٨- محمد محمد إبراهيم زعزوت ، دور يهود الدولة في اسقاط الخلافة العثمانية ، القاهرة ، ١٩٩١م .
- ٣٩- محمود شاكر ، التاريخ الاسلامي ، المعهد العثماني ، ج ٨ ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، ١٩٨٧م .
- ٤٠- مصطفى الزين ، ذنب الاناضول ، رياض الريس للكتب والنشر ، لندن ، قبرص ، ١٩٩١م .
- ٤١- نجيب فاضل ، "مسرحة خلق انسان" ، ترجمة محمد حرب ، دار الهلال ، القاهرة ، ابريل ١٩٨٨م .
- ٤٢- نظير حسان سعداوي ، صور ومظالم من عصر المماليك ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٦م .
- ٤٣- نيقولاى ايفانوف ، الفتح العثماني ، ترجمة يوسف عطا الله ، دار الفارابي ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٨م .
- ٤٤- ه.س. ارمسترونج ، الذنب الاخير ، مصطفى كمال ، دار الهلال ، يوليو ١٩٥٢م .
- ٤٥- يلماز اوزتونا ، تاريخ الدولة العثمانية ، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل تركيا ، ترجمة عدنان محمود سلمان ، استانبول ، ١٩٩٠م .

المراجع العثمانية

- ١- أحمد حامد ، ومصطفى محسن ، قرون جديدة وعصر حاضره تركية تاريخي، استانبول، ١٩٢٤م .
(القرون الجديدة ، تاريخ تركيا في العصر الحديث ، استانبول ، ١٩٢٤م .)
- ٢- أنكه لهارد ، تركيا وتنظيمات دول عليه لك تاريخ إصلاحاتي ، ١٨٨٢-١٨٢٦ ، استانبول .
(انكه لهارد ، تركيا والتنظيمات تاريخ الإصلاح في الدولة العلية العثمانية ، ١٨٨٢-١٨٢٦ ، استانبول) .
- ٣- على رشاد ، تاريخ عثمانى ، استانبول ، ١٣٢٩م .
- ٤- على سعيد سراي خاطره لرى ، سلطان عبدالحميد خاتك حياتي، استانبول، ١٣٣٨ .
(مذكراتي في القصر ، حياة السلطان عبدالحميد ، استانبول ، ١٣٣٨) .
- ٥- من اولاد الإمام الرباني صلاح الدين ابن مولانا سراج الدين ، مكتوبلر وبعض مسائل مهمه ، بدون ناشر ، بدون تاريخ
(من اولاد الإمام الرباني صلاح الدين ابن مولانا سراج الدين ، رسالة الرسائل ، بعض المسائل المهمة ، بدون ناشر ، بدون تاريخ) .

المراجع التركية :

- 1 - Abdurrahman Dilipak, Bir Baska Acidan Kemalizm, Istanbul, 1988.
(عبد الرحمن ديلي باك، الكمالية من وجهة نظر اخرى، استانبول، ١٩٨٨) .
- 2 - Ahmed Akgunduz, Tabular Yikiliyor, Istanbul, 1997.
(احمد اق كوندوز، سقوط الرموز، استانبول، ١٩٩٧) .
- 3 - Ali Ak, Suleymancilik, Istanbul, 1987.
(على اق، السليمانيون (مدرسة تلامذة سليمان حلمي أفندي) ، استانبول، ١٩٨٧) .
- 4 - Ali Ural, Genel Yayin Yonetmeni, Sahabeden Gunumuze Allah Dostlari, c. 10, Istanbul, 1996.
(على اورال، اولياء الله من عهد الصحابة حتى وقتنا الحاضر، الجزء العاشر، استانبول، ١٩٩٦) .
- 5 - Amerikan Gizli Belgelerinde Turkiye'de Islamci Akimlar, Tercume Yilmaz Polat, Taksim Fehmi Kuru, Istanbul, 1990.
(تقرير المخابرات الأمريكية عن الحركات الإسلامية في تركيا ، ترجمة إلى التركية يلماز بولات، تقديم فهمي قورو، استانبول، ١٩٩٠م) .
- 6 - Ataturkculuk, Birinci Kitap, Istanbul, 1988.
(بدون اسم، الكمالية، الكتاب الأول، استانبول، ١٩٨٨) .
- 7 - Berkes, Niyazi, Turkiye'de Cagdaslama, Ankara, 1973.
(نيازي بركس، المعاصرة في تركيا، انقره، ١٩٧٣) .
- 8 - Enver Ziya Karal, Osmanli Tarihi, C.8, Ankara, 1983.
(انور ضيا قارال، التاريخ العثماني، الجزء الثامن، انقره، ١٩٨٣) .

- 9 - İskilipli Muhammed Atif, Seriat Medeniyeti, İstanbul, 1975.
(اسكيليلى محمد عاطف، حضارة الشريعة، استانبول، ١٩٧٥).
- 10 - İsmail Kara, Türkiye'de İslamcılık Düşüncesi, İstanbul, 1987.
(اسماعيل قره، الفكرة الإسلامية في تركيا، استانبول، ١٩٨٧).
- 11- Lord Kinross, Atatürk, İstanbul, 1980.
(لورد كينروس، أتاتورك، استانبول، ١٩٨٠).
- 12- M Sukru Hanioglu, Bir Siyasal Orgüt Olarak Osmanlı İttihad ve Terakkî Cemiyeti, ve Jon Türkler, 1889 - 1902, İstanbul, Tarihsiz.
(محمد شكرى حانى اوغلو، جمعية الاتحاد والترقى العثمانية منظمة سياسية، وتركيا الفتاة، ١٨٨٩ - ١٩٠٢، استانبول، بدون تاريخ).
- 13- Mustafa Kara, Tekkeler ve Zaviyeler, İstanbul, 1980.
(مصطفى قره، التكايا والزوايا، استانبول، ١٩٨٠).
- 14- Mustafa Kaplan, Kemalizm ve İslamiyet, İstanbul, 1993.
(مصطفى قاپلان، الكمالية والإسلام، استانبول، ١٩٩٣).
- 15- Naci Fazil Kisa Kurek, Son Devrin Dın Mazlumlari, İstanbul, Tarihsiz.
(نجيب فاضل قبصه كورك، المظلومون في سبيل الدين في العهد الأخير، استانبول، بدون تاريخ).
- 16- Nasit Hakki Ulug, Halifeligin Sonu, İstanbul, 1975.
(ناشد حقى اولوغ، نهاية الخلافة، استانبول، ١٩٧٥).
- 17- Neset Cagatay Türkiye'de Gerici Eylemler, Ankara, 1972.
(نشأت جاغاتاي، الحركات الرجعية في تركيا، مطبعة جامعة انقره، انقره، ١٩٧٢).
- 18- Sehbender Zade Filibeli Ahmed Hilmi, - Zia Nur, İslam Tarihi, Otuken Nesriyat, İstanbul, 1982.
(شهيندر زاده احمد حلمى، تاريخ الإسلام، تعليق ونقل ضيا نور، استانبول، ١٩٨٢ م).
- 19- Yılmaz Oztuna, Büyük Türkiye Tarihi, c.3, İstanbul, 1977
(يلماز اوزتونا، تاريخ تركيا الكبير، الجزء الثالث، استانبول، ١٩٧٧).

المراجع الإنجليزية

- 1 - Jorge Blanco Villalta, Atatürk, Ankara, 1982.
(جورج بلانكو فيلالتا، أتاتورك، انقره، ١٩٨٢).
- 2 - Unesco, Atatürk, Ankara, 1963.
(اليونيسكو، أتاتورك، انقره، ١٩٦٣ م).

ثالثاً : الموسوعات والمعاجم :

الموسوعات العربية :

- ١ - محمد شافيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة، المجلد ١، دار احياء التراث العربى، بيروت - لبنان، ١٩٦٥ م .

الموسوعات والمعاجم التركية :

- 1 - Ethem Ruhi Fıglalı, Mezhepler ve Tarikatlar Ansiklopedisi, İstanbul, 1987.
(اادم روى فغلالى، موسوعة المذاهب والطرق الصوفية، استانبول، ١٩٨٧).
- 2 - Hayat Kucuk Ansiklopedisi, İstanbul, Tarihsiz.
(دائرة معارف حيات الميسرة، استانبول، بدون تاريخ).
- 3 - İslam Ansiklopedisi, Türkiye Diyanet Vakfı, c.7, İstanbul, 1993.
(دائرة المعارف الإسلامية، اصدار وقف الديانة التركى، الجزء السابع، استانبول، ١٩٩٣ م).
- 4 - Mehmet Zeki Pakalan, Türk Tarihi Terimleri Sözlüğü, III, Devlet Kitapları, İstanbul, 1983.
(محمد باك ألين، معجم المصطلحات التاريخية التركية، الجزء الثالث، مطبعة الدولة، استانبول، ١٩٨٣ م).

- 5 - Meydan Larouse Ansiklopedisi, c.11, Istanbul, 1973.
(موسوعة ميدان لاروس، الجزء الحادى عشر، استانبول، ١٩٧٣م) .
- 6 - Midhat Sertoglu, Osmanli Tarih Lugat, Istanbul, 1986.
(مدحت سرت اوغلو، معجم التاريخ العثمانى، استانبول، ١٩٨٦م) .
- 7 - Rehber Ansiklopedisi, c. 11, Istanbul, Tarihsiz.
(موسوعة الدليل، الجزء الحادى عشر، استانبول، بدون تاريخ) .
- 8 - Yeni Turk Ansiklopedisi, Bursa Mad., c.2, Istanbul, 1985.
(الموسوعة التركية الحديثة، مادة بورصة، الجزء الثانى، استانبول، ١٩٨٥م) .

رابعاً : الدوريات

الدوريات العربية :

- ١- الأحرار، العدد ١٦٨١، ١٩٩٦/٨/٢م .
- ٢- المجلة العربية ، عدد ١١٦، الرياض ، مايو ١٩٨٧م .
- ٣- المنار، الجزء ١٢، المجلد ٩ .
- ٤- صحيفة الأخبار، العدد ١٢٣٨، القاهرة، ١٩٢٤م .
- ٥- صحيفة الأهرام، القاهرة، مجلدات ١٩٢٣، ١٩٢٤، ١٩٢٦، ١٩٤٤م .
- ٦- صحيفة صدق الحق، العدد الأول، ١٩٢٦م .
- ٧- مجلة الأدب الإسلامى، المجلد ٤/، العدد ١٤، فبراير- إبريل، ١٩٩٧م .
- ٨- مجلة المجتمع الكويتية، محرم، ١٤٠١هـ .
- ٩- مجلة الهلال، مارس، ١٩٢٥م ويوليو، ١٩٨٨م .
- ١٠- مجلة صراط مستقيم، مجلد عام، ١٩١٠م، استانبول .
- ١١- مجموعة مقالات من صحف ومجلات مختلفة ومصوره بمكتبة مركز بحوث العالم التركى بالقاهرة .

الدوريات التركية :

- 1 - Genc Akademi Dergisi, Istanbul, Ekim, 1995.
(مجلة كنج القادى، استانبول، عدد اكتوبر ١٩٩٥م) .
- 2 - M. Fatih Sarac, Millî Gazete, Eylul, 1992.
(محمد فاتح سراج، جريدة مىلى غازتة، سبتمبر ١٩٩٢م) .
- 3 - Ufuk Dergisi, Sayı I, Istanbul, 1969.
(مجلة افق ، العدد الاول، استانبول، ١٩٦٩م) .
- 4 - Ufuk, Haftalik Siyasi Gazete, 15 Eylul 1976, sayı 371.
(افق، جريدة إسبوعية سياسية، ١٥ سبتمبر ١٩٧٦، العدد ٣٧١) .
- 5 - Uluslararası Bediüzzaman Sempozyumu, /Istanbul, 1996.
(المؤتمر العالمى لبدیع الزمان سعيد النورسى، ط١، استانبول، ١٩٩٦م) .

الرسائل الجامعية

- ١- أحمد مهد الشوابكة، حركة الجامعة الإسلامية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٨٣م .
- ٢- جمال عبدالستار محمد ، الخلافة الإسلامية والحركات المعادية لها فى العصر الحديث، رسالة ماجستير ، غير مطبوعة ، جامعة الأزهر، كلية أصول الدين، القاهرة، ١٩٩٦م .
- ٣- ماجده مخلوف، معروضات أحمد جودت باشا، دراسة وتحقيق وترجمة إلى العربية، رسالة دكتوراه، غير مطبوعة ، جامعة عين شمس، كلية الآداب، القاهرة، ١٩٨٣م .
- ٤- محمد حرب، الشعر التركى المعاصر من بداية الحركة الكمالية إلى نهاية الحرب العالمية، رسالة ماجستير غير مطبوعة ، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٦٧م .
- ٥- محمد حسين الطنوبى ، الحركة الكمالية والعلمانية فى تركيا ، رسالة ماجستير ، غير مطبوعة ، جامعة الاسكندرية، ١٩٨٩م .

الفهرست

الصفحة	الموضوع
٩	المقدمة ..
١٩	الباب الأول : اللغة العربية والعلوم الإسلامية عبر التاريخ العثماني.
	الفصل الأول : تطور الدولة العثمانية من النشأة إلى سقوط
٢٠	الخلافة الإسلامية .
٢١	١ - نشأة الدولة العثمانية .
٢٢	٢ - عهد الإمارة .
٢٦	٣ - عهد السلطنة .
٣١	٤ - عهد الخلافة .
٣٨	٥ - ما قبل حركة الجامعة الإسلامية .
٤٠	٦ - السلطان عبد الحميد والجامعة الإسلامية .
	٧ - ظهور الإتحاد والترقي وهزيمة الدولة
٤٣	العثمانية .
٤٦	الفصل الثاني : مكانة اللغة العربية في الدولة العثمانية .
٤٧	١ - مراتب النخبة الرئيسية في الدولة العثمانية .
٥٠	٢ - مناهج التعليم في الدولة العثمانية .
	٣ - علماء الدولة العثمانية : بنابر مدارس
٥٢	الإمام سليمان حلمي .
٧٢	٤ - أنواع المدارس في الدولة العثمانية .
٧٧	الباب الثاني : قيام الحركة الكمالية وإجراءاتها تجاه الإسلام .
	الفصل الأول : ١ - الجذور التغريبية للحركة الكمالية في
٧٩	التاريخ التركي .
٨٩	٢ - انبثاق الحركة الكمالية .
٩٣	٣ - قيام الجمهورية .
٩٨	الفصل الثاني : الحركة الكمالية وإجراءاتها في مجال الدين .
١٠٢	١ - إلغاء الخلافة .

١١٠	٢- إغلاق التكايا والزوايا .
١١٧	٣- اعتماد القانون المدنى السويسرى .
	الفصل الثالث : إجراءات الحركة الكمالية فى مجالى اللغة
١٢٢	العربية والعلوم الإسلامية .
١٢٤	١- قانون توحيد التدريس .
١٢٨	٢- الإنقلاب الحرفى .
١٣٢	٣- الإنقلاب اللغوى .
	الفصل الرابع : ردود فعال الإتجاهات الدينية من إجراءات
١٣٧	الحركة الكمالية .
١٣٨	مقدمة .
١٤٣	١- ردود فعل النقشبنديين .
١٤٦	٢- ردود فعل النورسيين .
١٥٧	٣- ردود فعل تلامذة الإمام سليمان حلمى .
١٦٣	الباب الثالث : نموذج الإمام سليمان حلمى .
	الفصل الأول : الظروف التاريخية التى صاحبت ظهور الإمام
١٦٤	سليمان حلمى .
	١- السلطان محمد الفاتح والكنيسة
١٦٥	والارثوذكسية .
	٢- معركة نوارين البحرية نتيجة الغدر
١٦٦	الأوربى بالدولة العثمانية .
١٦٦	٣- ثورة البطريركية ضد الدولة العثمانية
١٦٧	٤- الإتجاه الرسمى للتغريب .
	٥- سياسة السلطان عبدالحميد تجاه
١٦٨	الدول الغربية .
	٦- موقف يهود الدونمة من الدولة
١٦٩	العثمانية .
	٧- آليات السلطان عبدالحميد فى سياسة
١٧١	التعليم العثمانية .
	٨- دعاة الجامعة الإسلامية فى عهد
١٧٢	السلطان عبدالحميد .

١٧٣	٩- السلطان عبدالحميد والإمام سليمان حلمي .
١٧٥	الفصل الثاني : الإمام سليمان حلمي طوناخان : حياته - أعماله
١٧٦	مقدمة .
١٧٦	١- حياته .
١٧٧	٢- المراحل الأولى من حياة الإمام .
١٧٨	٣- صفات الإمام سليمان حلمي .
١٧٩	٤- نشاط الإمام سليمان حلمي .
١٨١	٥- الوسائل التي لجأ إليها الإمام لجمع الطلبة .
١٨٢	٦- موقف الإمام سليمان تجاه الحكومة .
١٨٥	٧- موقف الحكومة من الإمام سليمان حلمي
١٨٧	٨- مدارس الإمام سليمان حلمي .
١٩٣	٩- تربية الإمام الإسلامية .
١٩٣	١٠- شخصية الإمام سليمان حلمي
١٩٣	التصوفية .
١٩٧	١١- تلامذة الإمام سليمان حلمي .
٢٠١	١٢- آراء الإمام ونصائحه لتلامذته .
٢٠٢	١٣- أعمال الإمام سليمان حلمي .
٢٠٣	١٤- وفاة الإمام سليمان حلمي .
٢٠٥	الفصل الثالث : مناهج اللغة العربية والعلوم الإسلامية في مدارس الإمام سليمان حلمي .
٢٠٦	١- المراحل التعليمية في مدارس الإمام سليمان حلمي .
٢٠٩	٢- مقررات مدارس الإمام سليمان حلمي
٢٠٩	أ- كتب اللغة العربية .
٢١٠	ب- كتب العلوم الإسلامية .
٢١٩	الخاتمة .
٢٢١	الصور .
٢٣١	الملاحق .. قائمة المصادر والمراجع .
٢٣٧	الفهرست .



General Company for Alexandria
(GCA)
General Company for Alexandria



دار الأمان للخدمات

أ. ب. أبو المصطفى (المحامي) - ت. ٢٤٧٣١٩١
أ. ب. سمعان من ب. الزقازيق - الترم - ت. ٢٤٧٣١٩١

